جامعة عمر المختار

كلية الآداب قسم الفلسفة

أثر المجامع المسكونية على العقيدة المسيحية
من القرن الرابع حتى الثامن الميلادي

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة التخصص العالي "الماجستير"

مقدمة من الباحثة:

صفية عبد السلام حمد محمد

إشراف الدكتور:

د. صالح الطيب كمش

العام الجامعي

2012م

UNIVERSITY OF OMAR AL-MUKHTAR

FACULTY OF ARTS DEPARTMENT OF PHILOSOPHY

THE IMPACT OF THE ECUMENICAL COUNCILS UPON THE CHRISTIAN FAITH FROM THE FOURTH CENTURY UNTIL THE EIGHTH CENTURY

Introduction Letter To Complete The Requirements To Obtain The Degree of Higher Studies (The Master degree)

Submitted by the Researcher
Safia Abdul Salam Hamad Mohammed

The supervision of Dr.
Saleh Tayeb Kamash

Academic year
2012

جامعة عمر المختار

كلية الآداب قسم الفلسفة

أثر المجامع المسكونية على العقيدة المسيحية من القرن الرابع حتى الثامن الميلادي

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة التخصص العالي "الماجستير"

مقدمة من الباحثة:

صفية عبد السلام حمد محمد

لجنة الإشراف والمناقشة

الدكتور: **صالح الطيب كمش**

أ. د. **.....**

أ. د. **.....**

يعتمد

عميد الكلية

.....

التوقيـــــــــــــع

مشـــرف: .....

ممتحن خارجي: .....

ممتحن داخلي : .....

مدير الإدارة العامة للدراسات العليا والتدريب

.....

تاريخ المناقشة / / 2012 م

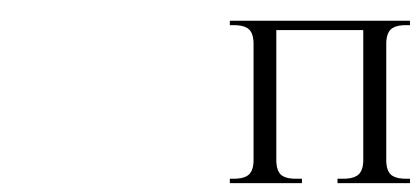

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ
سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ
نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً
أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ
اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]

(سورة آل عمران، الآية: 64)

الإهداء

إلى من ترك لي بريده حباً وعطاءً وأملاً قبل أن يسافر إلى مثواه الأخير
أبـــــــــــي
أدعو الله أن يلحقك بالصالحين ويدخلك فسيح جناته

للنهر روافد، ولكن شيء عظيم أن تكوني النهر
أمـــــــي الغالية

إلى ربيع عمري ... وزهور حديقتي ... إلى تلك الشموع المضيئة في حياتي ...
أخوتي وأخواتي ... وأبناءهم

إلى من هن رفيقات دربي وسندي في كل صعب ... إلى الوجوه النيرة التي لطالما سعدت برؤيتها
صديقاتي

إلى الذي مابرح يجاهد معي في كل دروب العلم ويبذل الجهد الجهيد من أجلي
زوجي أحمد ابريدان
أسأل الله أن يبارك لي فيه وأن يجعلني قرة عين له ويجعله قرة عين لي

إلى الحب الحبيب
ابني عبد الرحمن

وأخيراً أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من أعانني وساعدني في بحثي هذا ولو كان بكلمة طيبة

الشكر

إلى من يستحق الشكر بدون انقطاع
صاحب الفضل والمنة
الله I

يسرني أن أتقدم بالشكر والتقدير
إلى الدكتور الفاضل / صالح الطيب كمش
الذي أعانني على هذا البحث خطة ومنهجاً وقدم لي يد العون بالتشجيع بعلمه وإخلاصه
وإني لأعجز أن أوفيه حقه شكراً وتقديراً

الفهرس

الموضـــــوع	**الصفحة**
الآية	-
الشكر والتقدير	-
الإهداء	-
ABSTRACT.....	-
المقدمة	1

الفصل الأول
المؤثرات الخارجية على العقيدة المسيحية

تمهيد 7

المبحث الأول : ألوهية الابن في الديانات القديمة 8

المبحث الثاني: الصليب في الديانات القديمة 16

المبحث الثالث: التثليث في الديانات القديمة 22

المبحث الرابع: أثر النحل السرية على العقيدة المسيحية 33

المبحث الخامس: بولس 42

تعليق ختامي على الفصل الأول 57

الفصل الثاني
المجامع المسكونية

M 59

المبحث الأول : المجمع المسكوني الأول (نيقية 325م) 64

المبحث الثاني: المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينية 381م). 76

المبحث الثالث: المجمع المسكوني الثالث (أفسس 431م) 80

المبحث الرابع: المجمع المسكوني الرابع (خلقدونية 451م) 85

الموضـــــوع **الصفحة**

المبحث الخامس: المجامع المسكونية بعد خلقدونية 100

1- المجمع القسطنطيني سنة 553م 100

2- المجمع القسطنطيني الثالث سنة 681م 101

3- المجمع النيقاوي الثاني سنة 787م 102

4- مجمع القسطنطينية سنة 869م (المجمع الشرقي اليوناني) 104

** تعليق ختامي على الفصل الثاني 106

الفصل الثالث
الفرق والمذاهب عند المسيحيين

M 109

المبحث الأول : المذاهب المسيحية قبل خلقدونية 110

المبحث الثاني: المذاهب المسيحية بعد خلقدونية 123

المبحث الثالث: انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية 128

تعليق ختامي على الفصل الثالث 140

الفصل الرابع
العقيدة المسيحية

M 142
المبحث الأول : العقيدة في التثليث (تأليه المسيح, وبنوته لله, وتأليه الروح القدس) 147
المبحث الثـاني: عقيدة المسيحيين 161
1- الفداء 161
2- التجسد والخطيئة الأولى 162
3- الصلب 166

الموضـــــوع	**الصفحة**

4- في الإدانة (محاسبة المسيح للناس) 180
5- في الآخرة والبعث عند النصارى 181
6- في يسوع (الكلمة، الألوهية، التجسد، الاتحاد) 183
7- في الأسرار السبعة للكنيسة 185
تعليق ختامي على الفصل الرابع 186

الخاتمة 187
المصادر والمراجع 191
الفهرس 109

THE ABSTRACT

Throughout the research, we find similarity in many respects between the doctrines of Christianity as envisaged by the Gospels, and the beliefs of the pagans; the Divinity of the son are found in the ancient religions at Buddhist (Buddha), and the Indians, represented in (Krishna), and in Minor Asia (Mithras), and (Osiris) in Egypt ... Etc., and this similarity between these pagan beliefs and the doctrines of Christianity in Jesus the Christ raises the question?

If we talk about crucifixion, it is an element of the Christian distinctive, so you see that Christ (Al-Messiah) is the Son of God, which is one of the picture of God, who embodied in him, after his crucifixion to atone by the sin of Adam, and we find it also in the religions of ancient pagan, and the death of the Son of God on the cross, exactly as in Christianity.

And the doctrine of the Trinity in pagan religions, in the ancient Egyptians and Albarhamah and Buddhism, Greece and Persian ... Etc., which preceded the Christian idea, describes the idea of Trinity which had been brought about by the Christians, which say: Father, Son and Holy Spirit, this is what the Christian had reached to, and so, is not a new doctrine, but it is the residues of pagan thought.

As for Paul, who had changed the Christian doctrine from uniformity to diversity, turned it into a new religion affiliated to him, and he was the founder of the religion in its current form character.

Among the factors that influenced the Christian faith are the academies spatial, regional and ecumenical, which was held the beginning

of the fourth century and the first assembly is Nicaea in 325 AD in explaining the motives that led to the held of the assembly and a statement of its decisions and resolutions of the synagogues after which, and the resulting division of the doctrines and views have fallen to the Christian faith later, and settled in present shape till now in the question of trinity and crucifixion and redemption ... Etc.

Our attention was towards the statement of faith and the surrounding discussions and disagreements, and we explained the doctrine of each band, and the assembly which had been emitted after him, and we counted their teams apart, and we decided the views of each group in detail; we dealt in the big sectors and doctrine exclusively, in the Trinity and the Incarnation and Redemption, crucifixion and conviction and the resurrection ... Etc.

I had finished, as I started believing in God of which no God but him

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين.

وبعد ،،،

نقدم في هذا البحث دراسة عن المجامع المسكونية منذ بداية عهد المملكة المسيحية حتى نهاية الوحدة وبداية الانقسام، مفصلين فيها المراسيم الملكية الآمرة بانعقادها، والبدع التي عقدت بسببها والقوانين والقرارات التي صدرت عنها، ونلاحظ من خلال البحث أن هناك تشابهاً في كثير من الوجوه بين عقائد الديانة النصرانية كما صورتها الأناجيل وعقائد البوذية والبرهمية والفرعونية القديمة والوثنية والفلسفة الإغريقية وغيرها، فعقيدة التثليث كانت شائعة في الديانات القديمة قبل ميلاد المسيح υ وبعده، وكذلك عقيدة الصلب والفداء ترجع أصولها إلى الديانات القديمة ففكرة الصلب وردت إلى المسيحية من عقائد أخرى خاصة عقيدة الهنود إذ نجد هذا المعتقد عند الهنود قبل المسيح بمئات السنين وكما هو الحال في التشابه في التثليث والصلب نجدها كذلك عند بولس فهو لم ينفر من الطقوس الوثنية، بل اقتبس كثيراً منها، وليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن ينفروا منها، ومن ذلك التحريف الذي ألحقه بالمسيحية قوله بأن يسوع المسيح υ جاءه على طريق دمشق وأمره بالتكريز بالمسيحية في غير المختونين، وابتداعه ألوهية المسيح υ، وإضافة معتقدات وثنية إلى المعتقدات المسيحية مثل جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد وأهمل السبت المقدس عند اليهود، واقتبس من الوثنيات أعياد رأس السنة وعيد القيامة وعيد الغطاس "تعميد المسيح υ".

هكذا يتبين إن كثيراً من عقائد المسيحية كالتثليث والصلب والفداء والقربان المقدس والتعميد لها ما يشابهها في الديانات القديمة السابقة على المسيحية، وبما أن اللاحق يستفيد من السابق فهناك احتمال كبير أن يكون كتبة الأناجيل قد اعتمدوا على مصادر وروايات تنتمي إلى الديانات القديمة وترجع إلى مئات السنين قبل ميلاد المسيح υ، والأناجيل لا تقدم لنا مسيحية عيسى υ، بل تقدم ديانة هي مزيج من العقائد والفلسفات القديمة.

دخلت الديانة المسيحية مصر في منتصف القرن الأول للميلاد على يد مرقس الإنجيلي، ودخل الناس أفواجاً فيها، ولا يمكن أن ننسى الاضطهاد الذي أثاره قيصر روما ضد المسيحيين، كما لم تسلم المسيحية من تشويه على يد الأمميين الداخلين فيها، وقامت محاولات من جانب بعض المفكرين والفلاسفة الداخلين حديثاً في الإيمان المسيحي لتفسير المسيحية على ضوء الآراء والفلسفات الوثنية لتقريبها للعقول، فنتج عن ذلك انحرافات فكرية وعقدية كثيرة، أضف إلى ذلك أولئك الذين حاولوا تكييف المعتقدات المسيحية على مقتضى تصورهم.

لذلك أخذت المسيحية منذ أول عهدها بمبدأ حل المشاكل بواسطة مجامع دينية، وعلى هذا فيمكن القول أن فكرة المجامع قد انبثقت في الكنيسة الأولى لحل المشكلات الإيمانية، وهذا ما سوف نذكره في بحثنا عن أثر المجامع المسكونية على العقيدة

المسيحية بالتسلسل التاريخي والوصفي.

ومن الثابت تاريخياً أن النظام المجمعي كان معمولاً به منذ أقدم العصور التي وجد فيها تبادل الرأي, فقد عمل به في الوثنية، كما أن الفكرة المجمعية لها جذور في اليهودية، فقد عقد رؤساء كهنة اليهود مجامع للسيد المسيح ومجمع لمحاكمته، وآخر لمحاكمة التلاميذ لكرازتهم بالإيمان المسيحي مثل ما نجده في الأناجيل "حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا"[1] .

وكذلك "وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس"[2] .

كما عقدت الكنيسة أول مجمع في أورشليم للنظر في بحث شروط قبول الداخلين من الأمم إلى المسيحية، وبعد مباحثات كثيرة صدر القرار بقبولهم، ووجب عليهم أن يمتنعوا عن الذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا، وأخذت الكنيسة عن الرسل هذا المبدأ، فكانت تعقد المجامع كلما حدث خلاف في البيعة أو وجد من الأمور ما يستدعى ذلك.

وفى بداية القرن الرابع الميلادي تصدّى أريوس لآراء بولس وأذاع بين الناس أن المسيح ليس إلهاً، وإنما هو مخلوق لله الواحد الأحد، وكثر أتباع أريوس حتى عرفوا بالأريوسيين وحكم على أريوس في مجمع نيقية عام 325م بالحرمان في عهد قسطنطين، ولكنه ظل على رأيه، وبعد مناظرات جرت بين الفريقين تضافرت الجهود لانتصار عقيدة بولس على عقيدة أريوس وأتباعه وانتهى المجمع بقرار خطير طمس معالم المسيحية التي جاء بها عيسى υ.

وأخذت المجامع تتوالى بعد مجمع نيقية وتتخذ من القرارات المشابهة لذلك القرار الخطير لمسيحية بولس بكل صورها.

وكانت حصيلتها القول بألوهية المسيح υ وكونه ابن الله وألوهية الروح القدس والقول بالثالوث المقدس: الأب والابن والروح القدس، وكذلك بالخطيئة الموروثة وعقيدة الخلاص عن طريق القرابين ووساطة الكاهن بين العبد وربه، وأن المسيح له طبيعة واحدة لاهوتية، وأخرى أن له طبيعتين إحداهما ناسوتية والأخرى لاهوتية.

هذه هي العقيدة التي نتجت من المجامع بدءاً من مجمع نيقية وأخذت تضيف ما من شأنه أن يعلي من شأن الكنيسة ويقوي من سيطرتها على مقاليد الأمور، فأضافت إليها عقيدة عصمة البابا وحق الحرمان وحق الغفران.

ويزعم النصارى أن المجامع هيئات شورية، والناظر في تلك المجامع التي بحثت في العقيدة يجد أنها تنتهي ولم يتفق المجتمعون على الأمور التي بحثت، فيكون هناك جبر وموافقة قسرية على قول من تلك الأقوال، وإذ لم يكن الجبر والقسر يحدث الانقسام وتذهب كل مجموعة بقولها الذي جاءت به كما سيتضح من دراسة تلك المجامع، وهذا يتنافى مع كونها هيئات شورية إلا أن يقال إنها هيئات شورية إلزامية.

---

[1] متى 26: 3.

[2] مرقس 15: 1.

من كل ما سبق تتضح أسباب انقسام الكنيسة بعد انفضاض مجمع خلقدونية والحكم على البابا ديوسقورس الإسكندري، وحاول أتباع مجمع خلقدونية أن يحولوا الأساقفة المصريين عن إيمانهم ويقبلوا قرارات المجمع ويوافقوا على رسالة ليون؛ ولكنهم رفضوا وتمسكوا بعقيدة الكنيسة وبأقوال الأباء، وهكذا أصبح مجمع خلقدونية بداية لانقسام الكنيسة الجامعة إلى شطرين: الكنائس الأرثوذكسية وهى التي تضم أتباع البابا ديوسقورس، والكنائس الخلقدونية "الكاثوليكية" وهى التي تجمع من قبلوا قرارات المجمع، وأخذت هذه الانقسامات مستمرة وتأخذ أسماء عدة وبأشكال مختلفة.

والعقيدة المسيحية تقوم على ثلاثة أسس الخطيئة الأصلية، وألوهية السيد المسيح وصلبه، وإنكار الصلب هو إنكار لقضية الفداء والألوهية.

وفي القرون الثلاثة الأولى للميلاد كانت المسيحية قريبة العهد بمبعث المسيح υ؛ ولكنها كانت في محنة من جهتين الأولى الاضطهاد على المسيحيين وإنزال أبشع ألوان العذاب من قبل الرومان وغيرهم من اليهود، والثانية الأفكار التي روج لها بولس في حياته في رسائله المعروفة، ومسيحية بولس تقوم على التثليث وتأليه السيد المسيح υ والصلب والفداء وما نتج عن هذه الأفكار من معتقدات وأعياد وطقوس أصبحت عليها المسيحية حتى اليوم، كما عرضت في الفصل الأخير من هذا البحث.

وقد تم تناول أثر المجامع المسكونية على العقيدة المسيحية من خلال مقدمة وفصول أربعة، هي:

- **الفصل الأول**: المؤثرات الخارجية على العقيدة المسيحية.
- **الفصل الثاني**: المجامع المسكونية.
- **الفصل الثالث**: الفرق والمذاهب عند المسيحيين.
- **الفصل الرابع**: العقيدة المسيحية.

ثم أتبع ذلك بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات، يليها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا ... لتكون هذه الدراسة لمسة لتتبع ـ وليست طعناً في الديانة المسيحية ـ الأفكار التي اعتمدت عليها الديانة المسيحية المحرفة، ومن أين استقت تلك الأفكار.

والله الموفق،

الباحثة

الفصل الأول
المؤثرات الخارجية على العقيدة المسيحية

M

المبحث الأول : ألوهية الابن في الديانات القديمة.
المبحث الثـاني: الصليب في الديانات القديمة.
المبحث الثـالث: التثليث في الديانات القديمة.
المبحث الرابـع: أثر النحل السرية على العقيدة المسيحية.
المبحث الخامس: بولس.
** تعليق ختامي على الفصل الأول.

:M

إن الأديان التي اعتنقها الإنسان لا يحصى عددها، وأكثرها متشابهة تمام التشابه، ولا تختلف إلا في أسماء الآلهة وفي بعض الجزئيات التي لا أهمية لها، والسبب في ذلك هو تحريف العقيدة التي جاء بها الأنبياء، فهم يدخلون على تعاليم النبي بعض العقائد الوثنية التي كانوا يعتقدون بها قبل النبي، بل يقتبسون من بعض الديانات الوثنية إلى دينهم، وبذلك تسير نحو الفساد لا إلى الإصلاح بما أدخل عليها من الخرافات التي اخترعتها أوهامهم وزينتها لهم تصوراتهم، والأمم الوثنية عبدت آلهة متعددة، حتى أنهم لم يتركوا قوة من قوى الطبيعة إلا جعلوها آلهة، ومن الأمم من عبد الحيوان ومنهم من عبد وقدس أحد بني آدم حتى أنهم قالوا إن الله مثلث الأقانيم ودعوها الأب والابن وروح القدس، كالبوذيين والبرهميين وغيرهم، كما سنرى ذلك مفصلاً.

وجدير بالذكر أن ما كانت عليه الأمم القديمة من الجهل، إنها كانت تقبل ما يعرض عليها من دون تردد، مع الزيادة في عقائدهم الوثنية، كما نجد ظاهرة الصليب عند الوثنيين وتصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة وفداء عن الخطيئة. كذلك النحل السرية في الديانات القديمة وخاصة عند اليونان وما يترتب عليها من طقوس وعبادات وأسرار تشبه المسيحية.

المبحث الأول
ألوهية الابن في الديانات القديمة

قضية نسبة البنوة إلى الله ليست غريبة على العقل البشري, ولا هي بالمستحدثة في تفكيره, ولم يكن المسيح وحده هو الابن الوحيد للإله الذي جاد بحياته من أجل البشر؛ بل هناك غيره ممن ظهروا في التاريخ, وفي مختلف الأمم والشعوب؛ فقد عرف العديد ممن ألحقت بهم فكرة أنهم أبناء الإله تجسدوا وماتوا من أجل البشر.

وأول إشارة لظهور الإله الابن في تمثال الأم الأناضولية وقد احتضنت ابن الإله إلى صدرها[1] .

ونجد عند الهنود الوثنيين كرشنة ابن الله، صلب في الهند نحو عام 1200 ق.م، وكرشنة هو المخلص والفادي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والآقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الأب والابن وروح القدس، وهناك روايات عن والدة كرشنة ابن الله واسمها (ديفاكى)، وقالوا إن الملائكة تمجدها، وأنها طاهرة، وهذه القصة تنطبق علي مريم العذراء ودخول الملاك عليها، وقال لها: "سلام لكِ أيتها المنعم عليها, الرب معكِ"[2] , كما عرف مولد كرشنة من نجمه الذي ظهر في السماء, وهو نفسه ما قاله النصارى عن ولادة السيد المسيح υ, وهو ظهور نجمه في المشرق بواسطتها عرف الناس محل ولادته. كما تذكر الروايات عن ولادة كل منهما أن الأرض سبحت، ورتلت الملائكة فرحاً وسروراً, وظهرت من السحاب أنغام مطربة، كما هو الحال عند النصارى في يسوع المسيح بن الله[3] .

ويروى عن كرشنة ويسوع أنهما من سلالة ملوكانية؛ وأن المسيح كان يلقب (بملك اليهود)، ولكن ولد في غار بحال الذل والفقر كليهما, ويروى عن كرشنة عندما ولد أضئ الغار بنور عظيم، وصار وجه أمه ديفاكي يرسل أشعة نور ومجد, ولما ولد المسيح أضئ الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عيني القابلة وعيني خطيب أمه (يوسف النجار). ومن بعد الولادة والرضاعة صارت أم كرشنة تندب سوء عاقبة رسالته، فكلَّمَها وعزَّها, والأمر نفسه عند مريم العذراء، وقال المسيح لأمه وهو طفل: يا مريم أنا يسوع بن الله وجئت كما أخبرك جبريل الذي أرسله أبى إليك وقد أتيت لأخلص العالم . وعند الهنود يقال عن ولادة كرشنة في الغار عرفت البقرة أن كرشنة إله وسجدت له* ؛ أما في رواية يسوع عرف الرعاة يسوع وسجدوا له, وآمنوا بكرشنة واعترفوا بلاهوتيته, وكذلك آمن الناس بيسوع وقالوا بلاهوتيته وأعطوه الهدايا من طيب ومر, وسمع نبي الهنود (نارد) بمولد الطفل الإلهي، كرشنة فذهب وزاره وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد, ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا المجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم قائلين: أين هو

---

[1] خزعل الماجدي, أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ, عمان, دار الشروق, ط1, 1997م, ص96.

[2] لوقا، 1: 28.

[3] محمد علي البار، المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، جدة، دار السعودية، ط1، 1987م، ص36.

*** وهذا الاعتقاد في عبادة البقر عند الهنود القدماء إلى عصرنا هذا.**

المولود ملك اليهود؟ وسمع ناندا خطيب أم كرشنة (ديفاكى) نداء من السماء يقول له: قم وخذ الصبي وأمه فهرَّبَهُما إلى كاكول واقطع نهر جمنة لأن الملك طالب إهلاكه، وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك طالب إهلاكه[1] .

وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الإلهي وطلب قتل الولد، ولكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنة, وكذلك قصة الطفل يسوع[2] .

اسم المدينة التي ولد فيها كرشنة هي (مطرا)، وفيها عمل الآيات العجيبة, ولم تزل محل تعظيم عند الهنود العابدين للأوثان القائلين أن كرشنة ابن الله, وأنه الله إلي يومنا هذا, كما نجد أن المدينة التي هاجر إليها المسيح في مصر هي المطرية ويقال أنها عمل فيها آيات وعجائب عديدة[3] .

كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنة بزمن قليل، كما نجد ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع بزمن قليل أيضاً، وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح[4] .

عندما ذهب كرشنة إلى مطرا كان في احتياج إلى التعليم فأتى له بمعلم خبير وبوقت قليل فاق أستاذه في جميع العلوم. كما يروى أن يسوع المسيح أرسل إلى المعلم زاخوس كي يعلمه فكتب له الحرف ألف, باء, وقال ليسوع قل: ألف، فقال الرب: أخبرني أولاً معنى الأحرف وترتيبها، وعن الحروف المستقيمة والمنحنية والحروف المثناة والتي لها نقط، ولماذا وضعت في هذا الترتيب، وصار يخبر المعلم بأشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها في كتاب[5] . ومن العجائب أنه في أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر، ونظر إليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعاً من الموت وعادوا أحياء, كذلك الرواية نفسها عن يسوع وأنه لمس الصبي الملسوع بيده فعاد إلى حال صحته.

كما نجد ذات الصفة عند كل من يسوع وكرشنة في أول الآيات والعجائب وهى شفاء الأبرص, وكل منهما مات على الصليب. لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شر عظيم، وأحاط بالقمر هالة سوداء، وأظلمت الشمس في وسط النهار، وأمطرت السماء ناراً، وصار الشياطين يفسدون في الأرض. وعند موت المسيح حدثت مصائب جمّة متنوعة، وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت, وأظلمت الشمس من السادسة إلى التاسعة، وفتحت القبور، وقام كثير من القديسين وخرجوا من

---

(1) محمد أبو زهرة, مقارنات الأديان - الديانات القديمة, القاهرة, دار الفكر العربي, 1974م, ص ص30-40 (بتصرف).

(2) محمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان، القاهرة، مطابع الكتاب العربي، ط1، ص16.

(3) المصدر السابق، ص20.

(4) محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان - الديانات القديمة, ص35.

(5) فوزي محمد حميد, عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة, طرابلس, جمعية الدعوة الإسلامية العالمية, ط2, 1999م, ص457.

قبورهم, وكرشنة وهو مصلوب ثقب جنبه بحربة, وكذلك حال المسيح, ومات كرشنة، ثم قام من بين الأموات, كما يذكر عن قيام المسيح بعد موته ونزل كرشنة إلى الجحيم, وكذلك عيسي المسيح υ[1] .

صعد كرشنة بجسده إلى السماء، وكثيرون شاهدوه صاعداً, وكذا الحال في يسوع, ولسوف يأتي كرشنة؛ والرواية نفسها مع اليسوع في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب, وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء، وكل منها يدين الأموات في اليوم الأخير. كرشنة هو الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء, وكذلك يسوع.

كان كرشنة يحب تلميذه (أرجونا) أكثر من بقية التلاميذ, وكذلك يسوع يحب يوحنا أكثر من بقية التلاميذ[2] .

وكان كرشنة على خلق وعلم؛ وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية، وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين، وهو الكاهن العظيم برهما، وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت, كذلك غسل يسوع أرجل التلاميذ، وهو الكاهن العظيم القادر, ظهر لنا بالناسوت. كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره الإلهية, ويسوع هو ابن الله العظيم القدوس. كرشنة هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بإلوهيته, ويسوع الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى. إذاً هناك تشابه عجيب يصل إلى التطابق بين سيرته ونهايته، وبين سيرة ونهاية المسيح عند المسيحيين[3] .

وكما هو الحال في كرشنة نجده كذلك في بوذا؛ البوذيون قد زعموا أن أمه بشرت به في المنام, وأن ولادة بوذا سبقتها معجزات, وأن الإله حلّ فيه, وحياته كلها قد أحيطت بالمعجزات، وأن الأوصاف التي انتهوا بها إلى أنه هو المنقذ المعزى, والذي قدم نفسه فداءً للخليقة من الخطايا, وهذه الأوهام عند البوذيين الذين يسكنون في التبت في الشمال, ومن الغريب أن الأوهام التي جعلها بوذيو التبت أوصافاً لبوذا تتوافق مع ما ينحله المسيحيون لشخصية المسيح بعد تغيير النصرانية[4] .

لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان, وفتح غطاء التابوت بقوة إلهية, وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض, وسوف يأتي مرة ثانية على الأرض ويعيد السلام والبركة فيها, ويدين الأموات، وهو الكاهن العظيم والواحد الأزلي, وأنه لم يأت لينقض الناموس بل أتى ليكمله, وبحسب تعاليم بوذا يجب أن تكون أعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى, وبوذا له أتباع وتلاميذ قال لهم أتركوا الدنيا والغنى وينذروا عيشة الفقر, وقال بوذا لتلميذه الحبيب (أناندا) أن كلامي لا ريب فيه, فلا يزول

---

(1) محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان ـ الديانات القديمة, ص38.

(2) إبراهيم سليمان الجبهان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، عالم الكتب، ط4، 1976م، ص60.

(3) محمد طاهر التنير, العقائد الوثنية في الديانة النصرانية, بيروت، ط2، 1933م، ص192.

(4) محمد أبو زهرة, مقارنات الأديان ـ الديانات القديمة, ص ص48-58.

ولو وقعت السموات على الأرض, وقال بوذا أن الرجل الحكيم لا يتزوج قط, وكان بوذا يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها، كما نجد تطابقاً عظيماً بين تعاليم وديانة بوذا, وتعاليم يسوع وديانة النصرانية, ويدعون يسوع المسيح υ بمثل الأسماء والألقاب التي دعي بها بوذا مثلاً المخلص, المولود البكر إلهاً مباركاً, قدوس الله, إلهاً مباركاً إلى الأبد, رب الأرباب, وملك الملوك, حمل الله, رب المجد, خالق كل شيء, الفادي, الوسيط, الكلمة, ابن الله, حامل الآثام, ينبوع الحياة, نور العالم, وكانت أمه تسمى العذراء القديسة, وملكة السماء[1] .

وتنتشر ديانات الشرق في الإمبراطورية الرومانية, وكان هناك عدد من عبادات الخلاص أخذتها روما عن الشرق منها (هيسوس) من آسيا الصغرى (ميثراس أومذرا) من فارس, و(أوزوريس) من مصر.

أما عن عبادة ميثراس فهي ديانة فارسية الأصل قبل الميلاد بحوالي ستة قرون, انتشرت بشكل ملحوظ في القرون الأولى, ثم نزحت إلى روما حوالي 70 للميلاد, وصعدت إلى الشمال حتى وصلت بريطانيا, وكان الفرس يعتقدون أن ميثراس كان وسيطاً بين الله والناس, وكان مولده في 25 ديسمبر, وكان له 12 حوارياً, مات ليخلص البشر من خطاياهم, دفن ولكنه عاد للحياة بقيامته من قبره, صعد إلى السماء أمام التلاميذ وهم يبتهلون ويركعون, هو رب الشمس وأنه إله نور الحق وأنه البطل المجاهد ضد قوى الشر وجيوش الظلام, كما نصّت عبادتهم على خلود الروح, وعلى القيامة بين الأموات, وعلى الحساب في اليوم الآخر, ولها نظام كهنوتي دقيق, حيث مارست التعميد أو الاغتسال, والعشاء الرباني, وقدست يوم الأحد, وأفرزته لعبادة (ميثراس) الأسبوعية, وقدست يوم 25 من شهر ديسمبر من كل عام لقيامة ميثراس وولادته الولادة الثانية, وعروجه إلى السماء, وهكذا نجد أن دعوة المسيح توائم ديانات الخلاص في الشرق, وأن ديانة ميثراس لم تنته في روما إلا من بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية[2].

لا شك أن هذا التشابه يثير التساؤل ؟ أهو التقليد والمحاكاة أم خضوع للمألوف والمتوارث عن الأجداد الوثنيين مع التبديل والتعديل ؟

في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطينوس أسقف كنتبرى ببريطانيا يقول: دع البريطانيين وعاداتهم، وأبق لهم أعيادهم الوثنية، واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد واضعاً إله المسيحيين موضع إله الوثنيين[3] .

---

[1] محمد طاهر التنير, العقائد الوثنية في الديانة النصرانية, ص ص196-212 (بتصرف).- انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1986م، ص ص141-179.- انظر: ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، بيروت، مكتبة المعارف، ط4، 1979م، ج4، ص ص52-86.- انظر: عدد من المؤلفين، موسوعة الأديان، دار النفائس، لبنان، ط2، 2002م، ص ص148-150.

[2] علاء أبو بكر, بولس يقول: دمروا المسيح وأبيدوا أهله, القاهرة, مكتبة وهبة, ط1, 2006م, ص ص136-137 (بتصرف).

[3] مصطفي حلمي، الإسلام والأديان، الإسكندرية، دار الدعوة، ط3، 2002م، ص ص89-90.

ويعلق محمد أبو زهرة على هذه المقارنات بقوله: "وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرّفة, فقد عُلِمَ إذن المشتق والمشتق منه, والأصل وما تفرع عنه وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم"[1] .

برومثيوس صلب في القوقاز عام 547 ق.م؛ وقد كانت قصة قتله ودفنه ثم قيامته من بين الموتى تمثل على مسارح أثينا في اليونان تمثيلاً صامتاً, قبل المسيح بخمسة قرون[2] . وهناك آخرون في التاريخ يمثلون هذا الابن الإله، الذي نزل من عليائه وتجسّد بصورة البشر, ثم صلب وقتل لأجل خلاص الإنسانية من الخطايا[3] .

هناك وثنيات مصرية وإغريقية ورومانية وهندية وعربية إلخ؛ ونعرض ديانة وثنية تدعى ديانة بعل, تقابل نفس رواية المسيح، وهي ديانة بابلية انتقلت مع موجة الفتوحات البابلية إلى شمال الهلال الخصيب, وظل الكنعانيون يدينون بها، وفي كثير من الأحيان كان اليهود يتركون ديانتهم ويعبدون بعلاً, ونهاية هذا الإلة تكاد تكون هي الصورة التي صورت بها نهاية المسيح عيسى υ وهى كالآتي:

أُخِذَ بعل أسيراً، وحُوكم علناً وجرح بعد المحاكمة, واقتيد لتنفيذ الحكم على الجبل, وكان معه مذنب حكم عليه بالإعدام, وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت, وطلب الشعب إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر, بعد تنفيذ الحكم على بعل عمَّ الظلام, وانطلق الرعد واضطرب الناس, وحرس على قبر بعل حتى لا يسرق أصحابه أو أتباعه جثمانه, وبكت الأمهات بعلاً, وقام بعل من الموت وعاد للحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء[4] .

أن تسمية المسيح في الإنجيل ابن الله ولفظ أب على الله جل وعلا دعا الكنيسة إلى اتخاذ ذلك دليلاً على البنوة الحقيقية وإلى اعتبار المسيح ابن الله حقاً[5] . ومن ذلك قول بولس عن المسيح: "وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات"[6] , وقوله: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح"[7] , وهذه التسمية عامة تطلق على غير ابن مريم, فقد روى عن المسيح أنه كان يقول: "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون"[8] , وكذلك قوله: "لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات"[9] ، وقول لوقا: "بن آدم ابن الله"[10] , ونجد أن المسيح ينهى أن يطلق عليه ابن الله؛ لأنه يخاف من اللبس والجهل والخلط والضلال، فكان ينهى الناس عن هذا اللفظ وكذلك

---

(1) محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان ـ الديانات القديمة, ص40.
(2) بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، دمشق، ط1، 1998م، ص308.
(3) انظر: عبد الرزاق رحيم صلال الموحى, العبادات في الأديان السماوية, دمشق, الأوائل, ط1, 2001م, ص ص211-215.
(4) علاء أبو بكر, بولس يقول دمروا المسيح وأبيدوا أهله, ص13.
(5) محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام, القاهرة, دار الفضيلة، ب. ط، ب. ت، ص ص80-88.
(6) رسالة بولس إلى أهل رومية 1: 4.
(7) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كونثوس، 1: 3.
(8) متى 5: 9.
(9) متى 5: 45.
(10) لوقا 3: 38.

الشياطين, "وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول: أنت المسيح ابن الله, فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح"[1] .

[1] **لوقا 4: 41.**

المبحث الثاني
الصليب في الديانات القديمة

اتخذ الصليب رمزاً لبعض الديانات القديمة, قبل أن يكون رمزاً للمسيح والمسيحية، فقد اقترن بعدد من آلهة الخصب الشرقية القديمة, وجاء في كتاب المعتقدات القديمة: "أن موت كرشنا ورد بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة بضربة حربة", وقال العلامة دوان المقصود من الشجرة (الصليب), وقد صوّر كرشنا مصلوباً، كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين, ومعلق بقميصه صورة قلب الإنسان[1] .

وقال العلامة هيجين عند كلامه عن الإله أندار أحد أشكال الإله بعل, الذي يعبدونه ويقولون أنه سفك دمه بالصلب, وثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم: إن صورة الصلب موجودة في كتبهم ويدل شكل الصليب على الخصب والعطاء في اللغة السومرية, وقد اتخذ رمزاً للإلهة الفينيقية (يارات), وهى إلهة مدينة بيروت, وأحد أشكال إلهة الخصب (عشتار)، وكان يتم صلب الضحية على صليب تنفيذاً لحكم الإعدام فيها، وهى طريقة معروفة عند أمم كثيرة؛ فقد حكم الإسكندر الكبير على ألف من سكان صور بالصلب, وقد توّعد (كورش) بصلب كل من يحول دون تحقيق عودة اليهود من بابل إلى فلسطين, وقد صلب كثير من اليهود بعد استيلاء تيطس على أورشليم ... أما عند الرومان فكان الصلب قصاصاً للعبيد ولأقبح الجرائم، وكثيراً ما كان يسبق الصلب تعذيب الضحية بالجلد, وبعد ذلك يحمل صليبه إلى حيث يصلب للتنفيذ[2] .

وللصلبان ثلاثة أنواع رئيسية هي: صليب على شكل ×, وآخر على شكل t وثالث على شكل سيف, وقد كان الصليب علامة ذل وعار قبل المسيح؛ ثم صار الصليب افتخار وطهر، وقد اعتقد أتباع المسيح أنه صلب على خشبة اتخذوها لهم رمزاً وشعاراً لإنكار الذات واقتفاء أثر المسيح, وصار النصارى يعظمون تلك الخشبة التي اعتقدوا أن المسيح صلب عليها, واعتقدوا ببركتها وغشوها بالذهب واللآلئ ...، وقالوا عنها أنها ما مسها ذو عاهة إلا عوفي، ولا مريض إلا شفي, ثم اتخذوا الصلبان رمزاً دينياً وتبركوا بها، وتفنّنوا بصناعتها وزخرفتها[3] .

والعلامة دوان قال: "في جنوب الهند يعبدون إلهاً صلب اسمه بالى ويعتقدون بأنه فشنو تجسد ويصورونه مثقوب الجنب واليدين". قالت مسس جمسون: "كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد اليدين والرجلين بحبل على خشبة وتحت رجليه صورة حمل". والسوريون يقولون: :إن تموز الإله المولود البكر من عذراء, تألّم من أجل الناس ويدعونه المخلص والفادي المصلوب". "ورواية صلب الفراسيوس الهائلة التي كتبها اسيوس في أثينا قبل المسيح 500 عام, وهو أقدم شعر باقٍ إلى الآن

---

(1) محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ص56-57.
(2) أحمد شلبي، المسيحية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1984م، ج2، ص167.
(3) فوزي محمد حميد، عالم الأديان، ص ص270-271.

بخصوص الصلب". ويقال عن أوسيريس إنه إله, وقد وجد صليباً بإحدى الهياكل الخربة في الإسكندرية, وعليه صورة هذا المخلص المصري الذي يعدونه أعظم مثالاً لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة. وقال أريان عن رموز الإسكندر: "إن جيوش بورس يوجد على علمها صورة إنسان مصلوب"[1] .

الإله المصلوب من ضمن المكتشفات الأثرية في موقع شتاك حيوك في جنوب الأناضول, نُحِت على جدار معبد منذ 6000 ق.م, أُكتشف في عام 1958م لمرحلة النيوليت*[2] . وعبد المكسيكيون إلهاً مصلوباً فداء عن الخطيئة وأنهم كانوا يدعونه ابن الله الفادي.

وتظهر على شكل غائب الملامح بشكل جذع مستقيم عمودي, وفيه سره وتشكل أيديها المرتفعة للأعلى المستقيم الأفقي الذي يمنحها شكل الصليب, وكذلك تشكل أرجلها المستقيم الأفقي الثاني كساقين مبسوطتين[3] .

يرمز الصليب إلى الخصب في عصر النيوليت؛ وهو إذ يعبر عن تقاطع عمودين صغيرين في الغالب مثل علامتي الجمع والضرب (+, ×) فإنه ينطلق من تصور أقدم يعبر عن لقاء ذكري وأنثوي, أو عن الأطراف الأربعة للإنسان أو الجهات الأربعة للمكان, وربما عبّر قبل ذلك عن النار وتكوينها من احتكاك عمودين حجريين في عصر الباليوليت, وذلك يعبر عن الطاقة، كما عبّر عن الخصب في النوليت, وقد ظهر الصليب في بعض فخاريات حسونة, ونجده كذلك في فخاريات سامراء المعبر عنه بعلامات الجمع أو الضرب, وهناك طبق فخاري يظهر فيه الصليب في المركز واضحاً وآخر في الأطراف.

وظهر الصليب من الطراز الذي سمي فيما بعد بالمالطي على إناء خزفي ذي ألوان حمراء وسوداء, وهو من ثقافة حلب, وكذلك نجده على إناء آخر على شكل مندالا زهرية مطوقة بصلبان كثيرة, وهاتان القطعتان من الألف الرابع ق.م، ويظهر الصليب واضحاً في ثقافة أريدو والعبيد؛ ولكنه أكثر وضوحاً في معبد الإلهة أنانا في الرافدين؛ حيث التصميم الداخلي للمعبد جاء على شكل صليب واضح[4]. أما عن صليب الأناضول الذي وجد على جدران معبد يعود تاريخه إلى الألف السادس ق.م, بأشكال متعددة, تشير أحياناً إلى الإنسان والهلال.

كذلك نجد صليب شتاك حيوك للإلهة الأم في الأناضول أيضاً, ونجد نوع آخر من الصلبان، وهو الصليب المعكوف (السواستيكا) كان المعتقد السائد بأن الصليب المعكوف الذي هو رمز للنازية مأخوذ من أحد الرموز الآرية التي ترجع إلى الثقافة الهندوأوروبية؛ ولكن حقيقة الأمر تفيد أن هذا النوع من الصلبان قد ظهر في الألف السادس ق.م في الثقافة العراقية القديمة في سامراء, وهو يشير إلى الخصب المتحرك

---

[1] نقلاً عن: محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص58.

*** النيوليت: مرحلة الزراعة البدائية.**

[2] خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص89.

[3] المصدر السابق، ص89.

[4] المصدر السابق، ص145.

أو الخصب الذي يأتي بعد حركة أو طقس, ويمكننا في ثقافة سامراء تمييز أربعة من الأواني الخزفية التي فيها ما يشير إلى خطين (عمودي, وأفقي) منكسرين يدلان على الحركة حول مركز معين وتشكل صليباً معقوفاً حول هذا المركز[1] .

المندالا, تظهر بأشكال لا حصر لها على الأواني الفخارية, وكذلك المروحيات الرباعية والخماسية والسداسية والسباعية والثمانية الأذرع, وكل هذا في فخاريات أريدو, وكذلك رمز الإلهة أنانا وهما القصبتان المعقوفتان, وهذه الرموز وغيرها في الرافدين في الحضارة السومرية, وكذلك في مصر نجد المندالا والنجمة الثمانية والصليب في وسطه دائرة. ونجد في عصر الكالكوليت (عصر المعادن) ظهر الصليب بكثرة بمختلف أشكاله, ويتضح هذا الرمز عند اختراع رموز الكتابة في نهاية هذا العصر، فقد كتب اسم الشمس، وهو يدل على الإلهة الذكورية بالعلامة المسمارية pqr، وهى علامة تشبه الصليب على ألواح الوركاء من الطبقة الرابعة[2].

"الصليب له ماضٍ سحيق؛ يعود إلى أيام سيدنا موسى υ وبني إسرائيل في برية سيناء إذ تمردوا على الله وتنكروا له, فعاقبهم الله بالحيات والعقارب لما صرخوا لموسى يطلبون الخلاص من هذه الضربات أمر الله Y بأن يصنع حية نحاسية ويعلقها على طرف خشبة ويؤمر التأب من بني إسرائيل بأن يرفع وجهه إليها فيشفى، وتوارثتها الأجيال كعقيدة بقوة الرغبة في الخلاص وضاع الحق بالباطل، وظلت هذه العبادة قائمة رغم أن الوصية الإلهية الثانية من الوصايا العشرة تنهى عن هذا "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي, لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً"[3] .

والعصوان المتعامدان أصبح مزيجاً من الأمر الإلهي والعبادة الوثنية, فالعبادة الوثنية جعلت لتقريب الإله الذي يتعبدون له, وأن ترمز إليه بعصوين متعامدين على شكل صليب.

وأصبح الصليب رمزاً للحياة والتضحية منذ آلاف السنين, وهذا الرمز وجد منقوشاً على الألواح الحجرية الموضوعة فوق القبور البالغة القدم, ولقد شغل الصليب مكانة دينية مرموقة في مصر وآشور وفارس والهند[4] .

والتعبير بحمل الصليب مستعارة من الأنظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب, فهو صليب يتجدد كل يوم كلما تجددت الآمال والآلام في الحياة اليومية العملية, فلابد إذن لحمل الصليب من خطوة تسبقه وخطوة تعقبه؛ أما السابقة فهي إنكار النفس بمعنى أن يقول تلميذ المسيح لنفسه الأمارة بالسوء (لا) لأن حمل الصليب هو حمل العار مضافاً إلى ألم الموت لأن الرومان لم ينفروا من الصليب فقط بل فزعوا من ظلمه, كذلك كان شعور اليهود بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة؛ لأنه مكتوب في ناموسهم "ملعون كل من علق على خشبه", والخطوات اللاحقة هي اقتفاء آثار المسيح كقوله: "وتبعني"، إذن ليس حمل صليبنا غاية, ولكنه وسيله لهذه الغاية وهى اتباع

---

[1] المصدر السابق، ص160.

[2] المصدر السابق، ص169.

[3] إبراهيم خليل أحمد، محمد ع في التوراة والإنجيل والقرآن، القاهرة، مكتبة الوعي العربي، ط3، ب.ت، ص161.

[4] المصدر السابق, ص161.

المسيح حيث يمضى في إنكار الذات والرضاء بالفداء وإتباع تعاليمه[1] .

ويقال إن الإمبراطور قسطنطين قد اتخذه رمزاً للإيمان المسيحي نقلاً من المحورين المتعامدين للمجموعة الشمسية التي كانت جيوشه قد جاءت بها من بلاد الغال رمزاً لعبادتهم الشمس, وعلى هذا يكون الصليب رمزاً دينياً قديماً جداً[2] .

أما مسألة الصلب والاعتقاد بالفداء عند النصارى رأس الأيمان, وقد جاء ذكر الصلب في إنجيل متى الإصحاح 27, وإنجيل مرقس الإصحاح 15, وإنجيل لوقا الإصحاح 23, وإنجيل يوحنا الإصحاح 19, ونذكر مثالاً لما أتى في الأناجيل عن الصلب "المسيح افتدانا من لعنة الناموس, إذ صار لعنة لأجلنا, لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة"[3] , ونجد ذكر الصلب في كافة الرسائل ويصورونه مصلوباً كصورة كرشنا مصلوباً تماماً, وأما الوقت الذي صلب فيه فمختلف فيه.

"ولقد استخدم الصليب منذ آلاف السنين كعلامة على الحياة, ففي مصر القديمة الفرعونية كان الصليب كمركز للحياة وللحب والتضحية, ووجد في مدينة الأقصر بمصر على جدران معبد الأقصر كتابة قديمة تبشر بالأم العذراء والروح القدس المصري كان يرسم قابضاً على صليب أمام وجه الأم العذراء"[4] .

قصة الصليب قيلت قبل عيسى على الستة عشر إلهاً مخلصا كلها متشابهة وكان كل ديانة ترث من سابقتها, ثم أصبح الصليب في عهد الإمبراطور هرقل رمزاً للجيوش الصليبية[5] .

أما عن الصلب في المسيحية فمقامه مقدس؛ ولكن لا يرتفع هذا التقديس إلى مرتبة العقائد, أما الصليب فليس له ذلك الحظ، وإن كان شعارهم وموضع تقديس الأكثرين, وحمله علامة على أتباع المسيح, "وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه, ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني"[6] .

وحمل الصليب يعنى إنكار النفس واقتفاء أثر المسيح في هذا الإنكار؛ وجاء في شرح بشارة لوقا لكنا قد أصبحنا بحكم صلبه عنا تحت التزام شرعي لأن نكون شركاء المسيح المتألم, أن شركتنا الشرعية مع المسيح المصلوب ينبغي أن ترافقها وتدعمها شركة اختيارية فعلية معه, إن صلب المسيح معناه مات عنا, ولكن صليب كل مؤمن معناه موت النفس عن الأنانية وحب الذات, وقول كل واحد ليس ما أريد أنا بل ما تريد أنت يا رب, إنه من واجبات كل مسيحي أن يحمل صليبه مختاراً طائعاً[7] .

وهكذا أصبحت كل القصص التي قيلت عن الآلهة الوثنية تقال بالمثل تماماً عن عيسى, تلك القصص التي كانت تكرر في المعابد القديمة صيغت في ألفاظ وركزت حول

---

[1] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، مطبعة يوسف، مصر، ط3، 1966م، ص116.

[2] إبراهيم خليل أحمد، محمد ع في التوراة والإنجيل والقرآن, ص161.

[3] رسالة بولس إلى أهل غلاطية، 3: 13.

[4] إبراهيم خليل أحمد، محمد ع في التوراة والإنجيل والقرآن, ص161.

[5] محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية للديانة النصرانية، ص63.

[6] إنجيل لوقا 9: 23.

[7] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص115.

المسيح بدلاً من أوزوريس الفراعنة أو أي واحد من الآلهة الآخرين[1] .

[1] **إبراهيم خليل أحمد، محمد ع في التوراة والإنجيل والقرآن, ص25.**

المبحث الثالث
التثليث في الديانات القديمة

من خلال دراستنا لتاريخ الأديان لا نستطيع أن ننكر ما بين المسيحية والوثنية من صلات وثيقة وأواصر متينة؛ بل يلزمنا ويجب علينا أن نبين كيف أن المسيحية هذه تحدرت من الوثنية, وصار لها نسب واحد وأصل مشترك. إننا لا نستطيع أن نفهم المسيحية حق الفهم, إذا لم نعرف جذورها الوثنية, فقد كان للوثنية قسط وافر في تطور الدين المسيحي.

إن الدراسات التاريخية للمسيحية وأصولها تثبت أن كل ما ليس له أصل في الإنجيل مقتبس من أسرار الوثنية؛ إذن فإن التثليث ليست فكرة مسيحية أساساً, وإنما جاءت من الأديان الوثنية القديمة[1] .

فالتثليث موجود ومعروف عند قدماء المصريين, والهنود في البرهمية والبوذية, وعرف عند أمم وثنية أخرى؛ كاليونان والرومان والفرس والصين ... إلخ.

يقول تشرني في اقتباس المسيحية من الوثنية: "فإن مختلف العناصر الوثنية وجدت طريقها للمفاهيم أو العقائد المسيحية والممارسات الدينية فإن تقديس مريم العذراء وصورتها مع ابنها المسيح الطفل بين ذراعيها, تدين تقريباً إلى قدر من تأثير صور الإلهة إيزيس مع حورس الطفل على حجرها". يقول واليس برج: "... لذلك ما وجدت المسيحية شعباً في العالم مهيأ العقل كلياً لتقبل تعاليمها كما وجدته في شعب مصر"[2] .

الإله البشري في مصر اسمه أوزيريس, ويسمى في بابل تموز, وأودونيس في سورية وأتيس في روما, وديونيسيوس عند الإغريق, وهذه الآلهة بشرية ماتت وبعثت من الأموات في اليوم الثالث من أجل خلاص البشرية من الموت, والآلهة البشرية ولدت من عذراء, تماماً كما هي العذراء والدة المسيح, ومنهم من نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات كما نزل إليه المسيح[3] .

"لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي, الأب والابن وروح القدس"[4] . "كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي؛ (أي أن الإله ذو ثلاثة أقانيم)"[5] .

---

[1] نقلاً عن: لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتي، دمشق، ط1، 1996م، ص ص212-215.

[2] المصدر السابق، ص213.

[3] المصدر السابق، ص218.

[4] محمد طاهر التنير، العقائد الثنية في الديانة النصرانية، ص30.

[5] المصدر السابق، ص14.

وإذا عدنا إلى التراث الهندي نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هي التثليث؛ (أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم)، والبوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم, يسمونه "فو"، ويقولون له الثالوث النقي "فو"، فهو واحد ولكنه ذو ثلاثة أشكال, وأنصار لاوكومتندا وهو الفيلسوف الصيني المشهور, وكان قبل المسيح υ بأربع سنين وستمائة, يدعون "شيعة تاوو", وهو العقل الأبدي انبثق منه واحد, ومن هذا الواحد انبثق ثان, ومنه انبثق ثالث، ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء, وهذا القول بالتوليد والانبثاق أدهش العلامة موريس لأن قائله وثني[1] .

في الديانة الصينية والكنفوشوسية, كانت عبادتهم كلها تتلخص في أن يقيموا الشعائر ويقدموا القرابين للإله الأعظم وأرواح أسلافهم وقوى الطبيعة المختلفة, وهذا كان له أثره في إقامة المعابد والهياكل, فقد كانت المعابد في الصين على هيئة هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز إلى مذابح ثلاثة لكل معبود هيكل:

1- مذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرضية (قوى الطبيعة).
2- مذبح الأرواح حيث كانوا يعتقدون أن أرواح آبائهم وأجدادهم وملوكهم تهديهم في تلك الحياة.
3- مذبح الإله العظيم وهو خاص بعظيم السماء, وهذا المذبح أقدم المذابح وأعظمها وأكبرها, مذبح الإله الغير منظور.

ومن وحي ما تقدم نعرف من المذابح الثلاثة, أنه لابد أن يكون هناك ثالوثٌ إلهيٌ على غرار الثالوث الهندي, فقد تحولت العبادة من كونها لإله السماء غير المنظور إلى أن أصبحت لثالوث وضعه فيلسوف صيني يدعى "فوفي"[2] .

الثالوث الصيني:

1- تي ين ـ أو الإله المجهول غير المنظور.
2- تشانج ـ أرواح الآباء والحكماء والملوك.
3- ني سر ـ الشمس والكواكب السيارة.

وكانت المذابح تقام حولها الأصنام والتماثيل التي ترمز إلى صورة الآباء والحكماء والملوك وقوى الطبيعة, ومن ذلك أصبح الصينيون يعبدون الأصنام, ومن الصين انتقلت إلى اليابان, حتى أصبحت العائلة المالكة في اليابان آلهة, وأعظم الآلهة الإمبراطور[3] .

إن التاريخ يروي لنا أنه في القرن الثاني والثالث والرابع الميلادي قد دخل الرومان والمصريون أفواجاً أفواجاً في المسيحية, فمن حق العلم أن يحكي ما كان يسيطر على هذه الأمم من أفكار دخل بها إلى النصرانية, وفي رأسه تعاليم الوثنية, إن زايلها بعقله المدرك فعقله الباطن مازال مستقراً لها وهؤلاء أثّر تفكيرهم في المسيحية,

---

(1) ليون جونيه، مقدمة (أو المدخل لدراسة) الفلسفة الإسلامية، ترجمة محمد يوسف، طبعة باريس، 1923م، ص170.
(2) محمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان، مصدر سابق، ص14.
(3) المصدر السابق، ص14.

التي لم يكن لها قوة تحميها, ونجد التاريخ يحكي عن مدينة الرومان أنها لم تكن متناسقة اجتماعياً, فلم يكن توزيع الثروة يتحقق فيه العدل الاجتماعي, فكان هناك أثرياء وفقراء, وشعورهم بالبأساء والآلام يجعلهم في حاجة إلى عزاء من الدين وسلوى باليوم الآخر, وملاذ إلى حياة روحية, والفلسفة لما لها من سلطان على العقل, لما وجدت الأوثان تسقط قيمتها أرادت أن تحل محلها الدين حينئذ التحمت الفلسفة بالشعور الديني.

"إن الفلسفة استخدمت نظريات علوم اليونان لتهذيب الآراء الدينية, أما في الإسكندرية ومدرستها التي كان امنيوس شيخها المتوفى سنة 242, اعتنق في صدر حياته الديانة المسيحية, ثم ارتد إلى وثنية اليونان"[1] .

وفلسفة المعاصرين لنشأة الديانة المسيحية, ترى أن فلسفة الرومان ترمي إلى إيجاد ألفة بين الوثنية واليهودية ومسيحية المسيح υ، كما ترى أن فلسفة الإسكندرية ترجع العالم في تكوينه وتدبيره إلى ثلاثة عناصر أو ثالوث مقدس, المنشئ الأول والعقل الذي تولد منه, كما يتولد الولد من أبيه والروح الذي يتصل بكل حي ومنه الحياة, فإذا عبّرنا عن المنشئ الأول بالأب، وعن العقل المتولد عنه بالابن وعن الروح بروح القدس[2] .

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى, ولاحظنا أن هذا المذهب كان منتشراً ومعروفاً قبل مجمع نيقية بأمد طويل, وأنه المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية, وأن بطريرك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب, كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية والمجمع القسطنطيني الأول، كما سنقدم في الفصل القادم.

ومما تقدم يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة. وهى فلسفة دينية ذهبت إلى احتواء المعتقدات السائدة والأساطير والطقوس, وعبادات الشرق, والسحر, والكيمياء القديمة[3] .

والسؤال هنا أيهما استقى أو أيهما كان الينبوع ؟ أاتخذت الأفلاطونية الحديثة من النصرانية ؟ أم النصرانية هي التي أخذت من الفلسفة ؟ الزمن هو الذي يفصل ويحكم، وسنجد أن الثالوث تقرر في مجمع نيقية سنة 325 بعد الميلاد, وأفلوطين ولد سنة 205 ق.م وتوفى سنة 270 ق.م والمتقدم أستاذ للمتأخر كما يرجح العقل, وهكذا اتخذت المسيحية فكرة التثليث من الفلسفة[4] .

وكان أفلاطون قد أدرك تلك المشكلة التي تقول إذا كان الله واحداً وحدة مطلقة فكيف يخلق الكثرة ؟ وإذا كان كماله المطلق يقتضي عدم التغير لا يمكن أن يصدر عنه العالم المتكثر المتغير مباشرة، ويجب إذن أن تتوسط بينهما وسائط أزلية متدرجة حسب نظام ميتافيزيقي, وهذا ينتج عنه ثلاثة أقانيم أو عقيدة التثليث التي تتمثل في الله

---

[1] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص37.

[2] فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، ص71.

[3] سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الرياض, أضواء السلف، ط3، ب. ت، ص306.

[4] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ص35-38.

والعقل والروح الآلهة, قال أفلاطون: "إن المسيطر على العالم ثلاث قوى هي الكلمة (المكون الأول), والعقل, والروح"[1] .

وهكذا كان التزاوج بين اليهودية والفلسفة الإغريقية، ليس فلسفة فقط بل دين, وهو المسيحية التي تأثرت من الآراء والأفكار الفلسفية عند اليونان, وأول هذه الأقانيم هو مصدر كل كمال، وهو الذي دعاه المسيحيون الآب والثاني الابن والثالث وهو دائماً روح القدس[2] .

والتعدد في الديانة الفرعونية كان في كل مظاهر الطبيعة حتى وصل مجموع الآلهة المعبودة إلى أكثر من 2000 إله, كما عبد المصريون ثالوثات إلهية.

انحرف الكهنة المصريون واتخذوا من صفات الله ثالوثاً، وهى الوجود والحكمة والحياة (آتون ـ رع ـ آمون)، وظلوا يستحدثون أسماء وآلهة حتى صارت تاسوعاً, والتاسوع المصري عبارة عن:

- الثالوث الأول:آتون ـ رع ـ آمون.
- الثالوث الثاني:تين ـ نوت ـ شو.
- الثالوث الثالث: إيزيس ـ أوزوريس ـ سيت.

وكانت تقام صلوات موجهة إلى التاسوع المصري وأناشيد تنادى قوى الطبيعة على أنها آلهة, وتلك الصلوات تصدر منهم للتماثيل الرمزية لهذه الثالوثات التي تعددت حتى أصبح لكل مدينة إله[3] .

كما أخذ المصريون ديانتهم عن الهنود منذ 700 سنة قبل المسيح, وكانوا يعبدون الإله "آمون" ذا الثلاثة أقانيم وهي آمون الأب, كتونس الابن, موث الأم.

ونجد كذلك في معابدهم وآثارهم رسوماً خاصة يعبرون بها عن عقيدتهم في التثليث الذي يفسرونه بالمادة والقوة والروح, ويرمزون له في صورهم بهيئة شيخ هرم وشاب يحمل صليباً وجناحي صقر, وفي أحيان أخرى يرمزون له بوكر وأفعى وجناح طير[4] .

وكذلك يظهر الثالوث الإلهي مبكراً في أريحا، فقد ظهرت مجموعات ثلاثية من التماثيل تتكون كل منها من رجل وامرأة وطفل, والواقع إن ذلك التمثيل الأخير يضفى صورة حية على تجسيم التعبير عن ظاهرة الخلق الجديد. ونرى مثل هذا الثالوث نشأ منعكساً من ظهور العائلة واستقرارها والتي تتمثل في ثلاثة أطراف هي: الأم والأب والابن، والتي تجسّدت بصورة آلهة تؤثر في مجريات الزراعة وظواهر الطبيعة. وهناك ثالوث (شتاك حيوك) في الأناضول حيث المظهر الثلاثي للآلهة هو منظر مألوف تعج به معابد وأماكن شتاك حيوك, ويتألف غالباً من الإلهة الأم وهي إما على شكل صليب أو نسر, والإله الأب وهو على شكل صليب أو ثور، والإله الابن وهو على شكل رأس ثور في الغالب[5] .

---

(1) إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، القاهرة، دار المنار، ط2، 1992م، ص28.
(2) ليون جونيه، مقدمة لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص ص70-94.
(3) محمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص26.
(4) محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام, ص144.
(5) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز الحضارات السابقة، دمشق، دار الفكر، ط1، 1996م، ص141.

وإذا كنا قد لمحنا الثالوث الإلهي في أريحا وشتاك حيوك, فإن ثالوث العبيد يتضح عبر أشكال متجانسة, فالأم والأب والابن في هيئة شيطانية وأفعوانية حيوانية, وهذا الثالوث في النصف الأول من الألف الثالث ق.م, في تل اسمه (اشنونا) في ديالي حيث الإله الأب (أبو) وزوجته وما يدل على ابنه, وبالطبع فإن هيكل الآلهة السومرية سيتحفنا بالكثير من الثالوثات الإلهية.

أول ثالوث نجده في حضارة سومر, والثالوث الثاني يشمل إله القمر وإله الشمس وإله البرق والرعد, والثالوث الثالث الأنثوي (نمو ـ كي ـ انانا) في سومر أيضاً[1] .

نلاحظ أن تطور الثالوث الإلهي من أريحا إلى العبيد إلى سومر يهيئ أرضية متماسكة لتواتر هذا الثالوث حتى العصر المسيحي.

والبرهمية* تعدد الآلهة عندهم وصلت إلى 33 إلهاً، ثم أصاب عقائدهم التغيير والتبديل فاعتقدوا بالثالوث الإلهي أو إن كان ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين في نشأة كل أقنوم من أقانيمه وعمله وصفاته, وذلك أنها تقرر أن الإله براهما كان قبل الوجود, وأنه خلق العالم وسمّي نفسه الخالق ثم انبثق منه الإله شيفا، وهو الإله المدمر الموكل بالخراب والفناء, ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن، ولهذا انبثق من براهما إله ثالث حافظ مجدد وهو الإله فيشنو[2] .

براهما هو الإله الخالق, وهو مانح الحياة ورب الأرباب وسيد الآلهة, ويمثل الخير وينسبون إليه الشمس التي منها الدفء وتجري بسببها الحياة في الحيوان والنبات وهو خالق الكون فهو خالق ومخلوق.

فيشنو هو الحافظ, وإله الحب الذي ينقلب كثيراً إلى إنسان ليقدم العون إلى بني البشر, ويعدون كل معاني الخير والسمو هي من فيض فشنو, ويقول البيروني (ت 440هـ): "وأعظم ما يتجسد فيه فيشنو هو شخصية كرشنة, وله زوجة اسمها لاكشمي"[3] .

شيفا معناه العطوف؛ ولكنه في الحقيقة المهلك، وهو إله الشر والقسوة والخراب ومسبب الهرم بعد الشباب، وهو الذي يسبب الكوارث والأوبئة والفيضانات, وينسبون إليه النار باعتبارها عنصر الخراب, وهو الذي يصنع نهاية لكل شيء, لذلك يخشونه ويقدمون له القرابين ولو كانت من البشر, وله تماثيل منحوتة في الصخر, وتمثاله يوضع فوق رأسه عدد من الجماجم, وله زوجة اسمها (كالي)[4] .

هذه الأقانيم الثلاثة لإله واحد, وهو الروح الأعظم واسمه (أتما)، وهناك آلهة

---

[1] خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص ص101، 136، 142.

*** الديانة البرهمية 1000-500 ق.م، مصدر المعلومات عن هذه الفترة ملحمتان تسميان المهابهراتا. هي ديانة معقدة ومتعددة الآلهة؛ حيث عبدوا قوى الطبيعة, وتأليه الإبطال, وكذلك نجد التوحيد عندهم في رب للأرباب (براهما).**

[2] علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، مصر، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط1، 1964م، ص107 (بتصرف).

[3] شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص49.

[4] فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، ص182.

أخرى أدنى منها سلطاناً وقوة وعبادة عند البرهمية* .

وفي القرن التاسع قبل الميلاد, وصل فكر الكهنة إلى إبراز النتيجة التي تقرب من التوحيد أو تصل إليه, فقد جمعوا الآلهة في إله واحد, وقالوا أنه أخرج العالم من ذاته, وهو الذي يحفظه ثم يهلكه ثم يرده إليه, وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء فهو براهما** من حيث هو موجد, وهو فيشنو من حيث هو حافظ, وهو شيفا من حيث هو مهلك, وهكذا فتح الكهنة الهنود الباب للمسيحيين فيما يسمى: (تثليث في وحدة, ووحدة في تثليث)[1] .

وذكر في الويدا آلهة متعددة؛ ولكنها اجتمعت في ثلاثة آلهة رئيسية هم فارونا في السماء, وإندرا في الهواء, وأغني على الأرض[2] .

ونلاحظ في الثالوث الهندي أو الهندوسي جعل الكهنة للديانة أسراراً خفيّة وأسراراً ظاهرة, فكثرت الرموز والطقوس والشعائر، ومن هنا نشأ ما لم يكن أصلاً في الديانة البرهمية، وهو الثالوث الهندي المعروف (براهما ـ فيشنو ـ شيفا)[3] .

ونجد الثالوث أيضاً في بلاد الرافدين وسورية عند الأكاديين عام 2180 ق.م وكان الثالوث الأسمى يتكون من السماء متجسمة في الإله الأكبر (أنو) والهواء متجسمٌ في الإله (أنليل), والأرض ومياه المحيطات متجسمة في الإله (انكي أو أيا) وعندهم ثالوث آخر يتكون من الأجرام السماوية وهي الشمس (شماس) إله العدالة, والقمر (سن) الذي يقاس به الزمن وكوكب الزهرة (عشتار) وهو مزدوج الشخصية, فهو مذكر في الصباح ومؤنث في الليل, وهو إله حرب وإله لذة معاً, كما اتخذ كل مظاهر الطبيعة والملوك أيضاً آلهة[4] .

كما اتصفت ديانة البابليين بكثرة الآلهة، ولكل مدينة رب يحميها, بل ولكل أسرة آلهتها المنزلية تقام إليها الصلاة حتى شريعة حمورابي استهلت بأسماء الثالوث الأكبر للآلهة البابلية المؤلفة من أنو وبل ومردوخ كبير الآلهة البابلية, وكان عند البابليين ثالوث ثان مؤلف من سين إله القمر, وهو الابن الأكبر للإله أنليل, وشماس إله الشمس, وهو القاضي الأعظم, إله العدالة والحق والنور, وعشتار* إله الجمال والحب

*** والبراهمة هم رجال الدين, يرجعون كل شيء إلى الآلهة الثلاثة, ويمكن أن يرجعوا كل شيء إلى إله واحد. فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة, ص171.**

**** فبراهما اسم الله في اللغة السنسكريتية, وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس ويدركه العقل, وهو مصدر الكائنات كلها, لا حد له, وهو الأصل الأزلي المستقل الذي منه يستمد العالم وجوده, وجاء في كتاب (الباجا فاتا بورانا) وهو من الكتب الهندية المقدسة، أن كاهناً توجه إلى الآلهة براهما وفيشنو وشيفا وسألهم: أيكم الإله بحق؟ فأجابوا جميعاً: اعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة, فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وإعدام, ولكنه في الحقيقة واحد, فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى. فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة, ص171.**

(1) أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ج4، ص ص51-52.

(2) المصدر السابق، ص65.

(3) محمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص14.

(4) فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، ص118.- انظر: شوقي أبو خليل، الحضارة العربية والإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص141.

*** وعشتار هي نجم الزهرة ابنة أنو وأحياناً ابنه سين, وتدل عبادة عشتار على المكانة السامية التي كانت للمرأة والأمومة في بابل.**

والعطف[1] .

وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم هنّ أهورمازدا ـ متراث ـ أهرمان, فالأول الخلاق, والثاني ابن الله, وأهرمان المهلك.

ونجد الأقيانوس وهم شعوب استراليا, يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم, لها نفس التسميات المسيحية الإله الأب والابن والروح القدس. والهنود الحمر كان يطلق عليهم اسم الهندوس الكنديين وكان لهم إله مثلث الأقانيم, ويصورونه بشكل صنم ذي ثلاثة رؤوس على جسد واحد, ويقولون إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد, وإرادة واحدة[2] .

كما أن "الإسكندنافيين يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم, يدعونها (أودين وتوراوفري)، ويقولون عن هذه الأقانيم الثلاثة إنها إله واحد"[3] . أودين الأب, وتورا الابن البكر, فري مانح البركة والنسل والسلام, ويرمزون للأب بتمثال بيده حسام والابن لابساً تاجاً وبيده صولجان, ويصورون فري واقفاً علي شمال تورا, ويثبتون في تمثاله علامتي التذكير والتأنيث.

أما عن "سكان الجزائر عبدوا إلهاً مثلث الأقانيم, فيقولون الإله الأب والإله الابن والإله روح القدس, ويصورون روح القدس بهيئة طير", وهكذا نرى التشابه بين أديان الوثنيين التي كانت تعتقد بالتثليث والنصارى[4] .

وثالوث السيبيريين, الأقنوم الأول وهو خالق كل شيء, والأقنوم الثاني وهو إله الجنود, والاقنوم الثالث وهو روح المحبة السماوية. أما عن المكسيكيين يؤمنون كذلك بإله مثلث الأقانيم, يسمونه "تزكتليبوكا" ويسمون الأقنومين الآخرين "أهوتزليبو شتكي وتلاكوكا"[5] .

مما تقدم نخلص إلى القول بأن التثليث ظاهرة عالمية لا تكاد تخلو منه أمة من الأمم, الأمر الذي يحملنا على تفسير هذا الإجماع, متسائلين إن كان ناتجاً عن نقل أو تقليد أو محاكاة, كما قد يفسر اللاحق بالسابق, أم هو ناتج عن أعماق الإنسان, كائناً ما كان عرقه أو لونه أو مكانه.

من خلال هذا العرض التاريخي لعقيدة التثليث عند الشعوب والأمم التي سبقت المسيحية يتضح تماماً أن فكرة التثليث التي أتى بها المسيحيون ليست عقيدة جديدة أتتهم من السماء عن طريق الوحي كما يدعون؛ بل هي من رواسب الفكر الوثني الذي كان منتشراً في تلك الفترة خلال الحكم الروماني لمنطقة الشرق الأوسط كلها.

---

(1) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص145.

(2) محمد الصادقي، عقائدنا، بيروت، دار العالم الإسلامي، ط1، 1972م, ص48.

(3) محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص143.

(4) خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص89.

(5) محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص144.ـ وانظر: علاء أبو بكر، بولس يقول دمروا المسيح وأبيدوا أهله، ص ص112-117.ـ وانظر: عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية، ص210.

المبحث الرابع
أثر النحل السرية علي العقيدة المسيحية

ظهرت الديانات السرية* في بلاد اليونان, فقد انتشرت في عصر الاستنارة أيام بركليز الذي تولى الزعامة من 460 ق.م إلى 430 ق.م، وكان لكل مدينة يونانية آلهتها, وكان اليونان يصدرون في علاقاتهم بالآلهة عن العواطف الثلاثة وهى عرفان الجميل, والمصلحة الخاصة, وخوف العقاب, إذ أن الآلهة كانوا يعتبرون بناة المدينة وحماتها, فكان تكريمهم واجب والإلحاد خيانة للوطن أي جريمة يعاقب عليها القانون، فنشأت تيارات دينية تسعى إلى حياة روحية أسمى, تهدف إلى التوفيق بين حياة الإنسان وحياة الآلهة السعيدة الخالدة عن طريق إيجاد علاقة بالآلهة، فنشأت أسرار ونحل سرية تعد أتباعها بالنجاة من مصاعب الحياة وبالسعادة في الحياة الأخرى, "إن حياة الإنسان ظل زائل, ووجوده بعد الموت ظل الظل"[1] . وكانت لهذه النحل طقوس واحتفالات سرية يكشف فيها عن رموز مقدسة وتقام فيها طقوس رمزية لا يتعبد بها إلا المطلعون على أسرارها, وهذه الطقوس في العادة تمثل عذاب إله من الآلهة وموته وبعثه, أو تحيي ذكرى هذا العذاب والبعث والموت بطريقة شبه مسرحية, وتعد تلك الجماعات أو المشتركون في تلك النحلة بحياة أبدية خالدة.

ومن أسباب انتشار الديانات السرية في اليونان, لاحظ اليونانيون الفارق الكبير بين شقاء الإنسان وسعادة الآلهة كما في الآلهة الأولمبية, والبحث عن علاقة تكفل المشاركة في السعادة الإلهية, لذلك نشأت الديانات السرية بين اليونانيين التي تؤمن لهم النجاة من مصائب الحياة والسعادة في الأخرى، واللحاق بالآلهة بعد الموت؛ وبهذا وجد اليونانيون في الديانات السرية الغذاء الروحي الذي افتقدوه في الآلهة الأولمبية[2] .

"ديانات الأسرار قديمة لم يكن يسمح بحضور اجتماعاتها إلا للأعضاء الداخلين المطلعين على أسرارها, وهذه الديانات السرية كانت تقوم على طقوس وعبادات تدور حول فكرة الخلاص والفداء والذبيحة أو الوليمة المقدسة التي كان الأعضاء يشتركون فيها"[3] .

النحلة الهوميرية:

والرواية الهوميرية تتحدث عن اختفاء بيرسيفوني وبحث أمها عنها؛ لأن ديمترا إلهة قديمة وكذلك هي مانحة القمح والغلال، كما أن ديونيسيوس واهب الخمر, وتذكر الرواية أن إله الشمس هو الذي أخبر ديمترا بما حدث لابنتها، فراحت تفتش عن ابنتها

*** الديانات السرية: هي ديانات تقوم على الاحتفالات الدينية السرية وفيها تقام الطقوس والعبادات السرية التي ترمز إلى موت الإله وبعثه, والهدف منها نوال المطلعين والقائمين بهذه الطقوس الخلاص والنجاة والتطلع إلى الحياة الأبدية. ول ديورانت، قصة الحضارة، مصر، جامعة الدول العربية، ط3، 1983م، ج11، ص341.**

(1) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1936م، ص6.

(2) أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 2004م، ص163.

(3) المصدر السابق، ص160.

حتى وصلت إلى ألوسيس حيث أكرمها الملك كيلوس والملكة ميتانير, وكانت ديمترا في بيت أحد الفقراء في ألوسيس اسمه ديسوليس واسم زوجته بابو وعندما جاء ابناهما أيوبوليس وتريبتوليموس إلى ديمترا أخبراها بما حدث لابنتها, وتجعل ديمترا الولد الرضيع لمضيفها خالداً بعد أن تدهنه بنوع من الدهن الإلهي وتطرحه في النار, وخوف أمه عليه جعل ديمترا تفصح عن حقيقتها, وديمترا تستطيع أن تنشئ حياة جديدة في الربيع بعد موات الأشياء الظاهري في الشتاء, كما إن إعطاء القمح والغلال يعني تقدماً حضارياً في حياة البشرية، وكذلك تهب القانون وتجلس العدالة زيوس على العرش لتراقب الحياة الأرضية[1] .

هذه النحلة دخلت أثينا أيام صولون solon (594 ق.م، أحد الحكماء السبعة), وأصبحت عيداً, وكان أتباع تلك النحلة يتطهرون في فصل الربيع بغمس أنفسهم في ماء ألوسيس بعد أن يحجوا إليها من كل صوب حاملين المشاعل وعلى رؤوسهم صورة الإله ديونيسيوس حتى ألوسيس فيضعون الإله في الهيكل وسط مراسم التعظيم, ويقضون ما بقي من يومهم في الرقص والغناء المقدسين, وهذه الطقوس تسمى بالإسرار الصغرى, وتليها طقوس أخرى تستمر أربعة أيام تبدأ بالاستحمام والصوم, في بهو سري يتناولون عشاءً ربانياً مصنوعاً من دقيق الحنطة والماء, ثم يجري تمثيل قصة اختطاف برسيفوني وحزن أمها ديمترا عليها, وتكون نهاية القصة أو الاحتفال: زواج كاهن يمثل زيوس بكاهنة تمثل ديمترا, وهذا الزواج الرمزي يثمر بسرعة عجيبة, حيث يعلنون بعد قليل (بأن سيدتنا قد وضعت غلاماً مقدساً), وبعدها تستمر الأسطورة بالنزول إلى كهف مظلم تحت الأرض, ثم الصعود إلى حجرة عليا تتلألأ فيها الأنوار[2] .

يظهر لنا من هذه الديانة أن أهم طقوسها هو التطهر, والعشاء الرباني ثم النزول إلى الجحيم, والصعود منه مطهرين قريبين من الإله في نظرهم.

وهنا نلاحظ بسهولة الشبه بين هذه النحلة والديانة المسيحية, ففي كلاهما الاعتراف بأم إلهية, وفكرة العشاء الرباني عند ألوسيس الكعكة المقدسة (دقيق الحنطة والماء) يقابل الافخارسيتا, وهي تحول الخبز والنبيذ إلى دم وجسد السيد المسيح.

والزواج بين زيوس وديمترا يقابل في المسيحية دخول روح الله أو ابنه في جسد مريم, وولادة طفل مقدس, التطهر والاستحمام في الماء والصوم, بل والمسح بالدهان أو التعميد كما فعلت ديمترا مع ابن مضيفها وباركتهما, وأهم فكرة في الهوميرية وهي الإله الذي ضحى بنفسه ليفتدي البشر أي ديونيسيوس تكمل عندنا صورة موازية لما في المسيحية, حيث نجد موته وقيامته من جديد فكرة مشابهة للصلب والقيام في المسيحية.

النحلة الأورفية:

---

[1] حسين الشيخ، ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ، لبنان، دار العلوم العربية، ط1، 1996م، ص66.

[2] محمد جمال الكيلاني، الفلسفة اليونانية أصولها ومصادرها، الإسكندرية، دار الوفاء، ط1، 2008م، ص112.

تتصل بالإله ديونيسيوس وهو في الأصل من آلهة (تراكيا)، وهو إله النبيذ والخمرة فيما بعد, أما عند الأورفية فقد أصبح إله التضحية, أي ابن الإله الذي مات افتداء للبشر، وهي نحلة واسعة الانتشار عظيمة التأثير تنسب إلى شاعر من أهل تراقيا اسمه (أورفيوس)* .

واعتبر القدماء أورفيوس إلهاً من الآلهة, ويقول عن نفسه إن نسبه إلهي, فأمه الربة كاليوبي calliope، أما أبوه فهو الإله أبوللو Apollo إله الخمر في تراقيا, وخادماً لأبولون ومعلماً لديانة ديونيسيوس, كما اعتبر نبياً ومفسراً للأسرار الخفية عن أصل الآلهة وطبيعتها وأن تعاليمه مزيج من الآراء والعقائد الأسيوية والهلينية, كما علم تلاميذه العزائم والرقى كحكماء الشرق, وحول ديانة ديونيسيوس التي جاءت من آسيا بما يوائم الروح اليونانية، فخلصها من عناصرها البدائية حتى أصبحت وسيلة تهذيب النفس وهاديتها, وقد أصبحت تعاليمه غاية في التعقيد النظري. فهو كاهن وفيلسوف, وكان شخصية غامضة, يعتقد البعض أنه رجلٌ حقيقي في حين اعتقد آخرون أنه كان إلهاً أو بطلاً خيالياً, وهو المعلم والنبي الذي يعرف الأسرار ويفسرها مثل أصل الآلهة وطبيعتها, ويعرف الطريق الذي يجب سلوكه حتى تسير النفس إلى مقرها الصحيح[1] .

والأورفية تمتاز بالإيمان الراسخ بالعدالة الإلهية, وبالعالم الروحاني, وبالطهارة الباطنة, ويتدين الأورفيون* بالزهد والتقشف ويحرمون اللحوم وعن ارتداء أي شيء يصنع من مواد حيوانية أو تقديم قرابين دموية, ولا يذوقون الخمر إلا في مواسم القربان وهو مجرد رمز والسكر هو حالة الاتحاد مع الله, واحتفظوا بعقيدة اليونان الأقدمين في أساطيرهم عن أورفيوس الفنان فزعموا أنه يزور عالم الموتى ويعود منه, وجعلوا له موعداً يحزنون فيه على موته وموعدا يحتفلون فيه ببعثه, ويتشابه الاحتفال ببعثه والاحتفال ببعث أدونيس إله الربيع[2] ؛ بينما باقي الأسرار كانت تعتقد أن الطقوس وحدها كفيلة بتحقيق أغراضها دون التكمل خلقياً, بل كانت تستبيح بعض المخازي وتدمجها في شعائرها, وتتصور العالم الآخر تصوراً مادياً, وتمتاز الأورفية بأن إلههم عديم النظير بين آلهة اليونان فهم يمجدون فيه الضحية المظلومة والفوز

*** وأورفيوس من خلال الأساطير رجلاً عطوفاً مفكراً موسيقياً زاهداً من كهنة الإله ديونيسيوس الذي هو إله الخمر، ثم إله التضحية أي ابن الله الذي مات لينجى البشر, كان بارعاً في العزف على القيثارة لدرجة أن الحيوانات تستأنس بموسيقاه فتتخلى عن وحشيتها, وقد افتتنت به نساء تراكيا, ولما رفض مواصلتهن مزقنه إرباً إربا ... ويقال أن أحد العلماء جمع أغانيه حوالي 520 ق.م. انظر: محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية، طنطا، دار الحضارة للطباعة والنشر، ط1، 2003م، ص ص5-7.**

(1) حربي عباس عطيتو، اتجاهات التفكير الفلسفي عند اليونان، القاهرة، أورينتال، ط1، 2008م، ص33 (بتصرف).

*** أما من يسمون بالأورفيين, فهم جماعات أو الأخويات السرية, وقبول الأعضاء الجدد يتم بعد إخضاعهم لفترة من التدريب والتربية, حيث يشاركون في شعائر خاصة سرية ويحرم عليهم إفشائها لغير الأخوان, ويلبسون زياً واحداً هو البياض, ويعيشون حياة زهد وتقشف وبساطه, ويقومون بتأملات صامته حول أقوال المعلم, ويمتنعون عن أكل اللحوم وإيذاء الحيوانات, وعقيدة التقمص التي اعتنقوها والتي تقول بأن نفس الإنسان تتجسد بعد الموت في الحيوانات. محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، دمشق، دار علاء الدين، ط1، 1999م، ص104.**

(2) عباس محمود العقاد، حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1969م، ص82.

النهائي للضعيف صاحب الحق, وكانت شائعة في الطبقة الوسطى المثقفة, فهذّبوا الأساطير القديمة وكانوا طليعة العلم الطبيعي, وكان للأورفية أثر فعال في الشعراء والمفكرين, بل يمكن القول إنها وجهت الفلسفة وجهتها العقلية الروحية على أيدي فيثاغورس وسقراط وأفلاطون, ولما اشتد اختلاط اليونان بالشرقيين شعر فلاسفتهم بالحاجة إلى دين, فعادوا إلى الأسرار يشرحون أقوالها[1] .

يعبدون الإله ديونيسيوس بطريقة خاصة, ولهم طقوس معينة في التطهر استمرت حتى القرن الرابع ق.م في أثينا, وكانت لهم كتب مقدسة عرفت بالإنجيل الأورفي, وقد نقل أفلاطون عن هذه المجموعات مراراً في الجمهورية وفي القوانين والمأدبة[2] .

كما ربطت الأورفية الحياة في العالم الآخر بالرحمة وربطت الحياة على الأرض بالألم, واعتبرت حلول النفس في الجسم سقوطاً لها من العالم الآخر، كما أنهم يمنعون الانتحار, وذلك لأن الانتحار كفر وعدول عن الامتحان؛ ومن ثم عن الثواب[3] .

المانوية:

مؤسسها هو ماني* بن فاتك الحكيم, وهي بدعة مسيحية ثنائية صريحة في القرن الثالث الميلادي, فقال ماني ما قال زرادشت من أن العالم مبدءان, أحداهما نور والآخر ظلمة؛ ولكنه رمى إلى وضع دين جديد تتحد فيه سائر الأديان, قال: "لقد اندمجت الكتب القديمة في كتبي, فتألفت منها حكمة كبرى لا نظير لها في كل ما أعلن للأجيال السالفة"[4] . وذلك بعد عيسي υ, قال عن نفسه أنه رابع ثلاثة تقدموه: المسيح وزرادشت وبوذا, ويمتاز هو عليهم بأنه واعظ وكاتب, بينما اقتصروا على الوعظ, أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية, وقال عن مذهبه إنه دين جديد تتحد فيه سائر الأديان, يدور على القول بأن للعالم مبدأين أحدهما النور والآخر الظلمة, وأنهما أزليان لم يزالا, ولن يزولا, وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم, وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين, داركين سميعين بصيرين, وهما مع ذلك في النفس, والصورة, والفعل, والتدبير متضادان، وفى الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظل, واختلفت المانوية في المزاج وسببه الخلاص, ورأى ملك النور هذا الامتزاج وأمر ملكاً من ملائكته، فخلق هذا العالم على هذه الهيئة لتخلص أجناس النور من أجناس الظلمة، وذلك هو القيامة والمعاد, وما يعين على التخلص والتميز, ورفع أجزاء النور: التسبيح والتقديس والكلام الطيب وأعمال البر.

---

(1) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص8.

(2) محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية، طنطا، دار الحضارة للطباعة والنشر، ط1، 2003م، ص3 (بتصرف).

(3) محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية، ص25.- انظر: محمد جمال الكيلاني، الفلسفة اليونانية أصولها ومصادرها، ص ص112-116.- انظر: أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ص ص168-171.- انظر: حربي عباس عطيتو، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، ص ص63-66.

*** ولد في بابل، وكان أبوه فارسياً ينتمي إلى شيعة ثنائية فأنشأه عليها وأدعى ماني النبوة وشرع يعظ ثم قصد الهند وأعلن هناك "أمل الحياة" وسمح له شابور أن يعظ في المملكة ولكن مذهبه لقى معارضة شديدة لخروجه عن الزرادشتية, وقتله بهرام بن هرمز بن سابور.**

(4) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص259.

وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال كلها, والصلوات الأربع في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحق, وترك الكذب, والقتل, والسرقة, والزنا والبخل والسحر وعبادة الأوثان, وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله[1] .

ويدعى أنه جاء بالوحي الذي وعد به يسوع تلاميذه, وأنه خاتم المرسلين, ويذهب إلى أن يسوع لم يولد بل جاء رجلاً كاملاً, وأنه لم يصلب بل الذي صلب الشيطان, وكان يرفض العهد القديم ويحمل على اليهود, والناس عنده طوائف ثلاث: طائفة الصديقين* أو المختارين, وهم أتباعه الأوفياء علماً وعملاً, وطائفة المستمعين** وهم المعتنقون مذهبه غير العاملين به, وطائفة الخطاة وهم أهل الأديان الأخرى.

والمانوية منظمة في كنيسة بابل؛ فهناك الإمام ويليه اثنى عشر معلماً تشبهاً بالحواريين يليهم اثنان وسبعون أسقفاً, فجماعة الكهنة والشمامسة, وكان لها سران يمنحان للصديقين: المعمودية والقربان, وكانت لها طقوس وأعياد انتشرت في الشرق وفي الغرب حول البحر المتوسط ثبتت إلى القرن الثالث عشر[2] .

المرقيونية:

وجاءت نحل مختلفة وأهواء متباينة ونزعات متضاربة وبأسماء كثيرة, فمنهم من كان يقول إن هناك آلهة ثلاثة: صالح وطالح وعدل بينهم, وهم أتباع مرقيون، وزعم أصحاب هذه النحلة ـ كما قال ابن البطريق ـ أن مرقيون هو رئيس الحواريين, وهي من آثار المجوس الذين يقولون بإله الخير وإله الشر, ولكن أصحاب مرقيون أثبتوا أصلين قديمين متضادين أحدهما النور والثاني الظلمة، واثبتوا أصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج, فإن المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع, وقالوا إن الجامع دون النور وفوق الظلمة, وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم[3] .

ميثرا "mithra":

ديانة ميثرا جاءت إلى العالم من فارس يمثل النور والحكمة, وكانت في هذه البلاد منتشرة لمدة تقترب من ستة قرون, ولقد وصل هذا الدين إلى روما حوالي سنة 70 ق.م، وانتشر في الإمبراطورية الرومانية حتى وصل إلى الجزيرة البريطانية واكتشفت آثاره في بعض الأماكن[4] .

---

(1) أبي الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1975م، ص244.

*** فالصديقون لا يتزوجون ولا يتولون منصباً عاماً, ولا يحملون سلاحاً ولا يحاربون ولا يذبحون الحيوان ولا يأكلونه ولا يشربون الخمر, هؤلاء تصعد نفوسهم إلى النعيم بعد الموت تواً.**

**** والسماعون يشاركون في الشعائر ولكنهم لا يقوون على القيام بسائر التكاليف وهؤلاء تبقى نفوسهم بعد الموت في هذا العالم فتدخل في جسم آخر فآخر حتى تدخل في جسم صديق وتلك هي المرحلة الأخيرة قبل الصعود إلى النعيم؛ أما الخطاة فهالكون في جهنم.**

(2) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص259.

(3) أبى الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، ص252.

(4) محمد غلاب، الفكر الإغريقي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، د.ت، ج2، ص105.ـ انظر مصطفى حسن النشار، فكرة الألوهية عند أفلاطون، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، ص ص64-70.

ويذهب هذا الدين إلى أن صاحبه ميثرا ولد في كهف في 25 ديسمبر, وقد ولدته أم عذراء, وأنه جاب الآفاق يبشر برسالته، وكان حواريوه الاثنا عشر رجلاً, وأنه مات في سبيل البشرية واحتفل بقيامه من القبر بفرح عظيم, وقد أطلق عليه المخلص, واعتناق هذه العقيدة كان يستلزم التعميد Baptism وكانت تقام حفلات مقدسة لإحياء ذكراه, ومما هو جدير بالذكر أن هذا الدين كان قوياً إلى القرن الثالث الميلادي, ولولا ما لاقته هذه العقيدة من اضطهاد وعسف في روما والإسكندرية، كما اعترف بذلك القديس جيروم لطغت وابتلعت المسيحية, وعلى أية حال فإنها لم تمت إلا بعد أن ذابت في المسيحية[1] .

وميثرا كان شخصية مزدوجة تجمع بين صفتين محبوبتين: إحداهما صفة النور الذي يبدد الظلام, والحق الذي يمحق الباطل, والأخرى صفة المناضل رب الجنود الذي قيل في كتاب المجوس المعروف بكتاب (الافستا)، إنه يسوق جحافله منتصراً لتغليب إله الخير أهورمزدا على إله الشر أهريمان, وهو كذلك إله محبوب عند غير الجنود كالرعاة والعاملين بالليل, يعبده الرعاة والملاحون ويهتدون بنوره في أعمالهم الليلية, ويعتقدون أنه يولد في الجسد الآدمي، كما يولد الفقراء في كهف مهجور, ولهذا يتخذون له المعابد من الكهوف, وربما حببه إلى العباد ذلك الحنين المعهود في الناس إلى استطلاع الأسرار والطموح إلى الترقي في درجات العلم بالمجهول, فقد كانت لعباده درجات سبع يتنقلون فيها من درجة إلى درجة على أيدي الأئمة المختارين, ويتعاطون الشعائر في كل احتفال سراً أو جهراً على ملأ من الصفوة المقربين, ومنها تناول الخبز والخمر واعتبار الشهد المقدس الذي يوضع على اللسان رمزاً إلى حلاوة الإيمان[2] .

ولما كان ميثرا إلهاً مرتبط بالشمس, لذا كانت معابده تبنى تحت الأرض حتى يتمكن كهنته من التحكم في كمية الضوء اللازم للقيام بطقوسهم, وكأغلب ديانات الأسرار فالموضوع الرئيسي هو تحقيق التوحد مع الإله[3] .

المريمية:

المريمية فرقة ظهرت في القرن الخامس الميلادي, وكان أصحابها ممن كانوا وثنيين واعتنقوا المسيحية, وحاولوا التقريب بين ما كانوا يعبدون والعقيدة الجديدة, فاعتبروا مريم ملكة السماء أو إلهة السماء بدلاً من الزهرة, وهم يقولون أن عيسى وأمه إلهان (وهذه الفرقة قد بادت).

---

(1) محمد جابر عبد العال الحينى، دراسات إسلامية في العقائد والأديان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط1، 1971م، ص250.

(2) حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة، تقديم: علي عبد المعطي، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1992م، ص32.

(3) حسين الشيخ، ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ، ص ص78-85.- انظر: إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص22.

المبحث الخامس
بولس

لابد للباحث في النصرانية من الإحاطة بشخصية بولس (Paols 10-70م) الذي حول مجرى العقائد والعبادات عما جاء به عيسى υ إلى ديانة أخرى مخالفة تماماً, تنسب إلى بولس أكثر مما تنسب إلى أحد سواه؛ فهو أشد دعاتها, وقد نحا المسيحيون خطاه وسلكوا مسلكه واعتبروه قدوة, بدلاً من نسبتها إلى المسيح υ ، فمن هو بولس؟ أو شاؤل ؟

إن اسم بولس كان اللفظ اليوناني المرادف للاسم العبري شاؤل؛ ولهذا ظل الاسمان يطلقان على هذا الرسول منذ طفولته, ولد واضع اللاهوت المسيحي في طرطوس, حوالي السنة العاشرة ميلادية, وكان أبوه مواطناً رومانياً تاجراً ثرياً اسمه كيساي البنياميني من الفريسيين اليهود (فكان يهوديا رومانيا), ونشأ ابنه على مبادئ هذه الشيعة الدينية المتحمسة, ونجد كُتّاب المسيحية متفقين على أنه يهودي ونال حظاً كبيراً من التعليم[1] , ولكنه جاء أيضاً ما يدل على أنه روماني: "فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضي عليه؟ فإذ سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً: انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل, لأن هذا الرجل روماني, فجاء الأمير وقال له قل لي: أنت روماني؟ فقال: نعم، فأجاب الأمير: أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية, فقال بولس: أما أنا فقد ولدت فيها، وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه, واختشى الأمير لما علم أنه روماني ولأنه قد قيده"[2] .

وهذان نصان متعارضان والأرجح أنه يهودي, لأنه ذكر أنه روماني لكي يتخلص من التعذيب، وأعمل الحيلة والدهاء التي هي من صفاته, ويقول عن نفسه في كتبه, أو فيما نقله عنه تلميذه لوقا "أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات"[3] , وتعلم في أكاديمية القدس الفريسية, وطرطوس كانت حلقة الاتصال بين آسيا الصغرى والشام ومفرق طرق تجارية هامة, وبها أفكار ومعتقدات وافدة إليها من البلدان المحيطة بها, كذلك ازدهرت في طرطوس المدارس اليونانية والفلسفات اليونانية، وبالأخص الفلسفة الرواقية, ويؤكد المؤرخون وجود مفردات رواقية في رسائل بولس[4] .

يقول المسيحي ول ديورانت: "هذه الأديان الخفية ـ الوثنية ـ هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس, وأعدت بولس لدعوة اليونان"[5] .

"لقد كون بولس المسيحية علي حساب عيسى, فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية ... وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود, ليجذب إليه العامة منهم, وأدخل صوراً

---

(1) راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، الكويت، ط2، 1985م، ص ص21-24.
(2) أعمال الرسل 22: 25-29.
(3) أعمال الرسل 23: 6.
(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص249.
(5) المصدر السابق، ص250.

من فلسفة الإغريق ليجذب إليه أتباعاً من اليونان, وعيسى أصبح ابن الله, حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي, واحتّلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا (حورس وأوزيريس) ووضعتا في كل الكنائس"[1] .

وكان من أشد أعداء المسيحية وأبلغهم كيداً لها وإيذاءً لمعتنقيها ما يدل على ذلك "أما شاؤل فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم"[2] .

كما نجد اعترافه الصريح بذلك الماضي مخاطباً اليهود "كنت غيوراً لله, كما أنتم جميعكم اليوم، واضطهدت هذا الطريق, حتى الموت مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساء, كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذا أخذت أيضاً منهم رسائل للإخوة إلى دمشق, ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا"[3] .

وعند دخوله المسيحية وعندما كان بولس قريباً من دمشق في طريقه إلى أورشليم, "فبغتة أبرق حوله نور من السماء, فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاؤل شاؤل! لماذا تضطهدني ...؟ فقال: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: "قم وكرز بالمسيح وللوقت جعل يكرّز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله"[4] .

ولم تكن فكرة أن يسوع ابن الله قد عرفت من قبل, وكان ذلك سنة 38م, أي بعد وفاة المسيح, ثم دخل بولس النصرانية, وأصبح معلماً لها, وأخذ الزمام في يده وهو الذي لم ير المسيح قط ولا سمعه يتكلم, ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح, صلة أدخلته المسيحية, وسكبت في نفسه تعاليمها, ولقد تشكك الناس في أمر بولس, ولكن تلميذه لوقا أخلص له الود وأمن برسالته فخدم أستاذه وأحله محلاً رفيعاً لا يقل عن مقام عيسي نفسه, وكتب لوقا رسالة أعمال الرسل, ولكنها في الحقيقة قصة حياة بولس, وأفرغ فيها أفكار أستاذه, حتى أصبح في الصف الأول مع أنه هو وأستاذه لم يروا عيسي قط, ويقول القديس "ترنليانوس" أسقف قرطاجة: "إن إنجيل لوقا ينسب كله إلى بولس", وعلّم بولس الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب؛ بل إنه ابن الله, نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً, ويصلب ليكفر عن خطيئة البشر, فموته كان تضحية مثل موت ضحايا الآلهة القديمة[5] .

شروط الرسالة لا تنطبق علي بولس فمن شروطها:

- أن يكون مدعي الرسالة من أصل شجرة النبوة, وبولس ليس معروفاً له تاريخ ولا مولد ولا شجرة فكل ما نعرفه عنه عن طريق كتاباته بنفسه.
- المعجزات وهذا الشرط لمدعي الرسالة يأتي بمعجزات خارقة لنواميس الكون

---

[1] لينة الحمصى، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص208.
[2] أعمال الرسل 9: 1-2.
[3] أعمال الرسل 22: 3-6.
[4] أعمال الرسل 9: 3-20.
[5] راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، ص21.

المخالفة لسنن الطبيعة, وبديهي أن يعارض الرسول بها قومه ويلومهم بواسطتها الحجة ويقيم بها الدليل, ولم يرد عن بولس أي معجزة صغيرة أو كبيرة[1] .

- أن يبعث الرسول من عند الله بكتاب, ورسائل بولس الثلاث عشرة نرى لزاما علينا أن نبحثها لنرى هل هي إلهامية من الله أم هي محض رسائل شخصية بحتة أرسلها إلى أصحابه وأتباعه؟

"الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته, بل بإعلان يسوع المسيح فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها, وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي ...؛ ولكن لما سرا لله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم, للوقت لم استشر لحماً ودماً, ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي, بل انطلقت إلى العربية (ARAPIA بمعنى بلاد العرب)، ثم رجعت أيضاً إلى دمشق, ثم بعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً, ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب، والذي أكتب به إليكم هو ذا قدام الله, إني لست أكذب فيه ..., ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم ... وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به ... وأما المعتبرون أنهم شيء مهما كانوا لا فرق عندي الله لا يأخذ بوجه إنسان فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء ... يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون إنهم أعمدة أعطوني برنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم "أي لغير بني إسرائيل"، وأما هم فللختان (أي لبني إسرائيل الذين كانوا يمارسون الختان) غير أن نذكر الفقراء (بينهم)، وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله, ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة ... لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان"[2] .

ونقول: كتب بولس عبارة عن رسائل شخصية محضة؛ وذلك من خلال الآتي: بولس يخطئ في التشريع, ويخطئ في الوحي المزعوم, ومن ذلك قوله: "فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه حينئذ قال له بولس: سيضربك الله أيها الحائط المبيض, أفأنت جالس تحكم علي حسب الناموس وأنت تأمر بضربي مخالفاً للناموس؟ فقال الواقفون: أتشتم رئيس كهنة الله؟ فقال بولس: لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة لأنه مكتوب: رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً"[3] .

فإذا كان بولس ذا وحي لعلم أولاً إن الذي يضربه هو رئيس كهنة الله ولطبق الناموس ولم يشتمه, كما نجد بولس في رسائله يتهم الله جلَّ شأنه بالحماقة والضعف والجور والظلم, ويدعي لنفسه إنجيلاً, ونراه يبطل أحكام التوراة العملية ويشرع.

وبولس أول من أخرج الدعوة إلى باقي الأمم, بعدما كانت خاصة ببني إسرائيل، ويؤكد بولس على أن هذا من وحي يسوع ليعطي الموضوع صفة شرعية فقال:

---

(1) أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دعوة التقريب بين الأديان، السعودية، دار ابن الجوزي، ط1422،1هـ، مجلد أول، ص ص93-98.

(2) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 1: 11-24، 2: 1-13.

(3) أعمال الرسل 23: 2-5.

"وأعرفكم أيها الإخوة إن الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان, ولا علمته بل بإعلان من يسوع المسيح"[1] .

وكذلك من أعمال بولس إلغاء الشريعة الموسوية التي يقول السيد المسيح: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس (الشريعة) أو الأنبياء, ما جئت لأنقض بل لأكمل فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل"[2] .

إلا أن بولس ورغبته في ترغيب الوثنيين في الدخول للمسيحية ألغى بعض تشريعات موسى υ, وشرع عكس ما قاله عيسى υ, مثل إلغاء الختان, وأحل لهم لحم الخنزير, كما ألغى السبت وجعل عوضاً عنه الأحد (وهو يوم الشمس عند الوثنيين)، وأبطل النجاسة وحلل ذبيحة للصنم وحلل حرمة الدم والمخنوق, ونصح بشرب الخمور, وحلل زواج الأرملة الذي يحرمه المسيح, فقد غير بولس أحكام عيسى والتوراة، وأبطل الوصايا العشر, كما جاء بفكرة الخطيئة, وتجسد الابن وصلبه فداءً للبشرية, وهي إحدى عناصر العقيدة المسيحية الحاضرة, وقد اقتبسها بولس من الأفكار الدينية الوثنية السائدة[3] .

يقول ول ديورانت: "ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لا تجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح, أما أسس هذا اللاهوت فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم, ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله يكفر بموته عن خطيئته"[4].

يقول ول دورانت: "إن بولس هو واضع حجر الأساس في عقيدة التثليث تلك العقيدة التي أدخلوا بها عيسى υ في شركه ثالوثية مع الله؛ ومن ثم يصبح هو الإله المشتمل على الأقنومين الآخرين"[5] .

لقد فتح بولس للمسيحية الباب إلى القول بالتثليث وأصبحت كلماته التي ضمنها رسائله كتاباً مقدساً لها ما للإنجيل من حرمة واحترام.

ويقول ول ديورانت إن بولس يقول: "إن المسيح هو حكمة الله, وابن الله الأول. وبكر كل خليقة, فإن فيه الكل, والكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل. وليس هو المسيح المنتظر (المسيا) اليهودي"[6] .

ويمكن أن نقول أن بولس أول من فسّر عملية صلب المسيح هي فداء وتكفير عن الخطايا, ونجد ألقاب جديدة للمسيح (ابن الله), (الرب), (السيد), (صورة الله), (السابق الوجود), (المخلص), (الفادي), وهذه الألقاب كانت مستخدمة عند بني إسرائيل قبل بولس؛ ولكن بالمعنى المجازي لا الحقيقي, أما بولس أطلاقها على يسوع بالمعنى الحقيقي لا المجازي, أما عن قضية التثليث وألوهية الروح القدس لم يُعطِ

---

[1] رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 1: 11-13.
[2] متى 5: 17-19.
[3] ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص255.
[4] المصدر السابق، ص263.
[5] المصدر السابق، ص264.
[6] المصدر السابق، ص265.

بولس تعليماً واضحاً عنها, وتعرض لذكر الأب والابن, تارة على أنه إله وأخرى على أنه دون مرتبة الله, وتعرضه لروح القدس كان وصفه إياه على أنه روح بمعنى تيار قوي غير طبيعي يؤثر في الناس[1] .

ويعتبر بولس هو المؤسس للأسرار الكنسية، حيث أصبحت بعض التقاليد الشائعة لدى الحواريين, كالتعميد وتناول الخبز جماعة, أصبحت مع بولس شعائر مقدسة، وهذا من تأثير بولس بأساطير الشفاعة والخلاص الشائعة في بيئته الوثنية, يقول ول ديورانت: "إن المسيحية لم تقض علي الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المتحضر عاد إلى الحياة في صوره جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها"[2] .

وبولس عدّ نفسه رسولاً, وأخذ يبشر بإنجيل ادعى أنه لم يقبله من إنسان ولا تعلمه من أحد، بل بإعلان المسيح، بل بقي مستقلاً عنهم بتعاليمه ما يقارب الثلاث سنوات ليسافر بعدها إلى أورشليم حيث قابل الرسول بطرس وحده من بين جميع التلاميذ, ثم رأى يعقوب رئيس كهنة أورشليم, ويجمع أهل الاختصاص على أن رسائل بولس كتبت بين عامي 54 /67م, مما يجعلها أقدم من الأناجيل ويذكر بولس عن يسوع أنه كان إسرائيلياً من نسل داود وأنه كان في الأصل غنياً ثم افتقر من خلال سعيه إلى الخير العام, كما يقول أنه قتل إعداماً على الصليب، كما يحملّ اليهود مسؤولية قتله, كذلك يذكر أنه التقى بشقيق ليسوع اسمه يعقوب، وذلك خلال زيارتين إلى أورشليم وكذلك لا يتحدث في رسائله عن والد يسوع ولا يذكر والدته ولم يذكر امرأة عذراء ولا يتحدث عن معجزاته ولا أقاربه ولا أصله ولا يحيى ولا زكريا ولم يصف عيسى بأسمائه[3] .

يقول بولس: "كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضاً ومن يعترف بالابن فله الأب أيضاً"[4] .

أرسل الله نبيه عيسى إلى بني إسرائيل وأيده بالمعجزات, وإن ولادته نفسها معجزة, وهو نفسه يهودي, فكانت دعوته توحيد؛ لأنها مكملة لرسالة موسى, والإنجيل الذي علمه للناس مكمل للتوراة, فرسالة موسى رسالة توحيد والتوراة تدعو إلى توحيد الله, ويطلب من النصراني الذي آمن برسالة عيسى أن يؤمن بالتوراة والإنجيل أي بالعهدين معاً, فكيف يسوغ إدخال ونسب التثليث والألوهية والفداء لعيسى, إلا أن تكون بدع بولس وتصنيفاته[5] .

والنقاط الرئيسة المهمة لبولس هي:

- إن المسيحية ليست ديناً لليهود فقط بل هي دين عالمي.
- التثليث ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.

---

(1) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص211.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص275.

(3) كمال الصليبي، البحث عن يسوع، عمان، دار الشروق، ط1، 1999م، ص101 (بتصرف).

(4) رسالة يوحنا الأولى 2: 23-24.

(5) انظر: كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص ص101-102.ـ انظر: حمدي عبد العال، الملة والنحلة في اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام، الكويت، دار القلم، ط1، 1989م، ص ص114-116.

- والإنسان لا يستطيع أن يحقق الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط وإنما بالإيمان بيسوع, وإذا آمن بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياه.
- قيامة المسيح من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه ليحكم ويدين البشر.
- أن يسوع المسيح لم يكن نبياً بشرياً بل كان إلهاً.
- وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر.
- وبولس هو الذي وضع فكرة الخطيئة الأولى.
- كما أن بولس هو الذي أعلن أنه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة, ولا التمسك بتعاليم موسى υ لأن تطبيق هذه الشعائر ليس كافياً لخلاص الإنسان. وإنما الإيمان الحق هو الذي يحقق للإنسان خلاص روحه وجسده[1] .

لقد حاول بولس في دعواته الثالوثية التمسك "بفكرة فلسفية هي خليط من تعاليم المدارس الفلسفية الإغريقية والإسكندرية الشرقية من جهة وثقافات الهند وفارس وأن يصهرها كلها في بوتقة واحدة"[2] .

ومنذ ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة في الدعاية للمسيحية, ولم تذكر الكتب عن من تلقى المسيحية؛ لأنهم يعتبروه موحياً إليه بذلك, وأخذ بولس في التطواف في الأقاليم ينشئ الكنائس ويقوم بالدعاية ويلقي الخطب وينشئ الرسائل، حتى كانت رسائله هي الرسائل التعليمية وبعض الشرائع العملية, وله أربع عشرة رسالة, وقد قالوا إنه قتل في اضطهادات نيرون سنة 66 أو 67 صلباً وقطع رأسه بالسيف[3] .

ومن صفات بولس التي نستخلصها من رسائل أعمال الرسل أنه امتاز بثلاث صفات:

- إنه كان نشيطاً دائم الحركة ذا قوى.
- والصفة الثانية أنه كان ألمعياً شديد الذكاء بارع الحيلة قوي الفكر.
- والصفة الثالثة أنه كان شديد التأثير في نفوس الجماهير, قوي السيطرة على أهوائهم وحائزاً على الثقة ممن يتحدث إليه.

وبهذه الصفات أصبح محور الدعاة للمسيحية وقطبهم, وأصبحت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه منسوبة إليه[4] .

أدخل بولس جملة من العقائد الوثنية على النصارى وفصل شريعة موسى التي جاء عيسى متمماً لها, ولقد تبين برنابا أمره، وبرنابا كان من الذين زكوا بولس أول الأمر أمام التلاميذ واصطحبه في بعض أسفاره، ونشأت بينهم خصومة أو مشاجرة شديدة في أنطاكية يصورها سفر أعمال الرسل أنها خصومة شخصية حول اصطحاب مرقس معهما, ونجد برنابا في مقدمة كتابه يقول: "إن الذين أضلهم الشيطان بدعوى

---

(1) محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، دمشق، دار القلم، ط2، 2002م، ص131.
(2) عبد الرازق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية، ص149.
(3) سنية قراعة، الرسالات الكبرى، القاهرة، دار مطابع الشعب، ط1، 1966م، ص316.
(4) أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دعوة التقريب بين الأديان، ص98.

بنوة المسيح لله, وترك الختان, الذين ظل في عدادهم أيضاً بولس"[1] , وفي آخر فصل من ذلك الكتاب المنسوب إلى برنابا "وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله, وقد خدع في عدادهم بولس"[2] .

وأخطر العقائد الفكرية التي دسها بولس في الإيمان النصراني، ثم صارت مع مرور الزمن أركان العقيدة النصرانية ما يلي:

1- دعوة ألوهية المسيح وربوبيته.
2- دعوة بنوة المسيح.
3- مقالة التثليث[3] .

وأسلوبه فلسفي كما نلاحظ في مباحثه ورسائله وهي ضرب من فلسفة أرسطاطاليس والتي كان بولس على جانب كبير من معرفة الفلسفة اليونانية وسمو المدارك وقوة الحجة وشدة العارضة وجلاء البيان, وقد رأى بعضهم أن مباحثه الفلسفية عن الجسد والنفس من الوجهة الدينية من أسمى ما كتبه الباحثون الدينيون.

يقول بولس: "فإني كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين, فصرت لليهودي كيهودي, لأربح اليهود, وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس, وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لله, بل تحت ناموس المسيح, لأربح الذين بلا ناموس, صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء, وصرت لكل شيء لأخلص على كل حال قوماً"[4] .

بل إن كتاباته أصبحت مبادئاً يؤمن بها, فأي تناقض بين نداء المسيح بالسلام "أطرد الجارية وابنها, لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة, إذن أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة"[5], وهذه التفرقة العنصرية في الدولة المسيحية هي وليد الإيمان بمثل هذه المبادئ التي تناقض المسيحية التي نادى بها المسيح؟ إن المسيح وصّى بمحبة القريب مثل محبة الله, وانتشرت المسيحية في الإمبراطورية الرومانية بسبب رحلات بولس في آسيا وأوروبا والى كتاباته التي تحتل المكانة الأولى بين كتابات الحواريين, وكذلك لاعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية واعترافه بها, وبهذا وضحت معالمها وبرزت تعاليمها[6] .

وبهذه الرحلات وخروجه من الدعوة الإقليمية بإرادته الذاتية للتبشير بالمسيحية إلى أوروبا وآسيا الصغرى واليونان, وبذلك أصبحت الدعوة عالمية, لحسم خلاف بينه وبين بني قومه اليهود الذين تربصوا به ليقتلوه لزندقته, ونتج عن هذا الخروج إلى المواءمة بين عقائد الخلاص المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية والعقيدة الجديدة التي نادى بها يسوع المسيح وامتزجت مع النظريات الفلسفية الإغريقية والديانات

---

(1) أحمد أيبش، إنجيل برنابا، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، 2007م، ص486.
(2) إنجيل برنابا، ترجمة: خليل سعادة، القاهرة، مكتبة كنوز، ص342، 222: 3-4.
(3) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص211.
(4) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس9: 19-23.
(5) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 4: 30-31.
(6) إبراهيم خليل أحمد، محمد ε في التوراة والإنجيل والقرآن، ص128.

الوثنية، كما يتضح ذلك في الانحراف الذي أصاب العقيدة المسيحية من التوحيد إلى التثليث[1] .

مع أننا نجد نصاً للسيد المسيح يقول: "إلى طريق أمم لا تمضوا ... بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[2] . بولس غير صادق وكان هذا شأنه مع كل اليهود الذين آمنوا بعيسى υ, لدرجة أنهم اشتكوه للحاكم الروماني, وتزعم طائفة النصارى في بادي الأمر, ثم غير اسمهم إلى المسيحيين في أنطاكية خارج فلسطين, وفي سبيل ذلك يدنس الهيكل: "فإننا إذ وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود ... أيضاً أمسكناه وأردنا أن نحكم عليه حسب ناموسنا"[3] ، كما أنه أحدث في الدين ما لم يأت به عيسى من الله واتهمه تلاميذ عيسى υ بالخروج عن تعاليم عيسى وموسى والأنبياء, وأمروه بالتوبة والعودة إلى دين آبائه وأجداده, كما اتهمه فستوس بالتخريف والهذيان عندما سمعه يقول بالقيامة من الأموات, وبخداعه الحاضرين بقوله إن هذا ليس إلا قول الأنبياء: "فإذا حصلت على معونة من الله بقيت إلى هذا اليوم شاهداً للصغير والكبير, وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون، إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات مزمعاً أن ينادي بنور للشعب وللأمم، وبينما هو يحتج بهذا قال فستوس بصوت عظيم أنت تهذي يا بولس! الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان"[4]. كما عارضه بعض تلاميذ يسوع في تعاليمه وتركوه, ومنهم برنابا أحد الحواريين الذين عاصروا عيسىυ , خلاف بولس الذي لم ير عيسى υ في حياته على الإطلاق, فقد حدث أن التقى بولس وبرنابا وسارا فترة من الوقت يعظان ويبشران معاً؛ ولكن برنابا الذي شاهد عيسي ورافقه رفض القول بتأليه المسيح ورفض دعوة الثالوث والأقانيم التي كان يبشر بها بولس, فانفصل عن بولس وكتب رسالة يشرح فيها الحقيقة للناس محذراً إياهم من قبول التعاليم المخالفة: "أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوي التقوى, مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله, ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً, مجوزين كل لحم نجس الذين ظل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يظلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله, وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً"[5] .

يتحدث بولس عن الختان فيقول: "أنا بولس أقول لكم: فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر, لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً, ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة"[6] .

---

[1] إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في الأديان، ص19.

[2] متى 10: 5-7.

[3] أعمال الرسل 24: 5-6 .

[4] أعمال الرسل 26: 22-25.

[5] إنجيل برنابا، ص342.

[6] رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 5: 2-7.

كما يرى بولس أن الأعمال الحسنة التي يقوم بها الإنسان وسلوكه الطيب لا يشفعان له للمصالحة مع الله, لأن الخلاص ليس إلا عطية، ولا يمكننا أن نفعل حيال ذلك أي شيء؛ "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم, هو عطية الله, ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد"[1] ، كما يذكر مثل هذا النص "... لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما"[2] .

ونجد فكرة بولس عن عقيدة جديدة، وهي الصلب والفداء بموت عيسى وسفك دمه, "وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر, في الإعمال الشريرة, قد صالحكم الآن. في جسم بشريته بالموت, ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه"[3] .

"كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاه هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً"[4] .

"أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء"[5] . "الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا, حسب غني نعمته"[6] أما من جهة الزواج والطلاق فلبولس رأي مخالف لقول عيسى υ, بولس يقول: "من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها"[7] .

أما في إباحة بولس للمطلقة الزواج يقول: "إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني"[8], ويقول بولس: "أما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب: إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها"[9] .

وله آراء شخصية اعتبرت من وحي الله؟ "من زوج فحسناً يفعل, ومن لا يزوج يفعل أحسن, المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حياً, ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط, ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي, وأظن إني أنا أيضاً عندي روح الله"[10] .

"أما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً"[11] .

---

[1] رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس 2: 8-10.
[2] رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 2: 16-17.
[3] رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي 1: 21-23.
[4] رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 5: 18-20.
[5] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 1: 30-31.
[6] رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس 1: 7-8.
[7] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 7: 1-3.
[8] متى 5: 31-33.
[9] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 7: 12-13.
[10] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 7: 38 -40.
[11] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 7: 25-26.

وألغى بولس كل تعاليم عيسى υ وجعل دخول الجنة يتوقف على الصلب والفداء، فقال: "إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم"[1] .

كما يعترف بأنه كاذب ومحتال، فقال: "فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطي"[2] .

كما نجد النفاق من صفاته أيضاً عندما نافق كل طائفة حسب عقيدتها "فأراد بولس أن يخرج هذا معه فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين في تلك الأماكن"[3] ، كما نافق عبدة الأصنام في أثينا عندما رأى صنماً مكتوباً عليه إله مجهول، فقال لهم لقد جئتكم لأبشركم بهذا الإله؟ "لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه "لإله مجهول"، فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به"[4] .

وأسس بولس عبادات جديدة لم يتبعها النصارى الأوائل, والتي بها من الوثنيات القديمة مثل اختراع اسم المسيحيين؛ أي (عابدي المسيح), وألغى نظام المشايخ ووضع لهم نضام القساوسة والأساقفة رؤساء الكهنة بدلاً من الشيوخ, كما شجّع على الرهبنة, وحرّض على زواج المؤمنين والمؤمنات من الكافرين والكافرات, كما أيّد الطلاق وحلل زواج الرجل المطلق, وتعدد الزوجات, وهذا عكس كلام المسيح, كما يقول بتغطية رأس المرأة في الصلاة فقط لأجل الملائكة والتي لا تفعل يقص شعرها, كما اخترع رسم الصليب داخل الكنيسة, وعبادة الصليب, كما ألغى الصوم والأعياد, ويشترط في الأسقف أن يتزوج امرأة واحدة وغير مدمن الخمر, أي يشرب قليلاً وله أولاد، وكذلك مساعد الكاهن (الشماس) وتناقض وهاجم الصوم الذي يصومه المسيحيون وهاجم الرهبنة, كما اخترع وضع أيدي القساوسة على الناس لأجل إعطائهم البركة, وقوله إن الخمر يعالج أمراض المعدة والأسقام الكثيرة؟ كما ألغى السجود في الصلاة, وألغى الناموس وألغى يوم السبت, وألغى الختان واخترع لهم عقيدة الخطيئة والفداء, واخترع لهم أسطورة صلب يسوع, وحمل المرأة مسؤولية الخطيئة الأولى ونفاها عن الرجل[5] .

ويعطينا القس إبراهيم خليل بعض التفرقة بين السيد المسيح في دعوته وبين دعوة بولس في كتابه محاضرات في النصرانية, إن طريقة عيسى تميّزت بطابع البساطة والسمو حتى يفهمها الزرّاع والصنّاع والمثقفين والأميين, والرجل والمرأة دون أدنى إجهاد للذهن, والدين يعرفه بأن يعيش المرء في إطار أحكام الشرع ولا يتعدى أوامر الله ولا يقترف نواهيه, إن الدين حياة وقوة وليس مجرد تعاليم. وخالف بولس عيسى في كثير من الأمور والتعاليم, فالجنة عند بولس "ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً"، ونجد المسيح υ يقول: "وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي"[6] .

---

(1) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 17-18.
(2) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 3: 7-8.
(3) أعمال الرسل 16: 3-4.
(4) أعمال الرسل 17: 23-24.
(5) علاء أبو بكر، بولس يقول دمروا المسيح وأبيدوا أهله، ص ص84-95.
(6) لوقا 22: 29-30.

كما يقول (جيني بير) في تصور بولس للسيد المسيح, هو إن عيسى إنسان سماويٌ أي إنسان سبقت عناصر حياته الروحية في الوجود وجوده الجسدي, ويبدأ حياته بالروح الإلهية نفسها فعيسى هو الروح, وجاء عيسى إلى الأرض لينشئ إنسانية جديدة هو أدمها, يحررها من أثقال الخطايا بقبوله أن يعيش عيشة الإنسان, ويموت ميتة الإثم المشينة, إنه صورة الله الخفية وهو أول الخلق فشخصه هو المكان الميتافيزيقي الذي يجتمع فيه الله والخليقة[1] .

[1] انظر: أبو عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ترجمة: محمد عبد الغني شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 2006م، ص ص73-74.

تعليق ختامي على الفصل الأول

ومن هذا العرض أمثلة واضحة على تأثر الديانة النصرانية بالأديان الوثنية قبلها؛ بل إن الأديان الوثنية تغلبت على ديانة المسيح υ وصبغتها بصبغتها, غير أنه ليس ثمة شك أن اتخاذ المسيحية ـ فيما بعد ـ ديانة رسمية للبلاد ـ يعني الإمبراطورية الرومانية ـ ساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة؛ لاسيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالاً إلى جو غريب تمام الغرابة, بل بدا الولوج في المسيحية عملية رفيقة في كثير من التدرج الشعوري العاطفي, إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار, كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة, يضاف إلى ذلك أن القول بوجود وساطة بين الله والناس أمر مألوف عند الفرس وأهل الأفلاطونية الحديثة سواء.

كذلك يتضح أن الديانات السرية هي الطقوس والعبادات السرية التي تدور حول الاعتقاد بفكرة الخلاص والفداء وترمز إلى نجاة الإنسان من الخطايا, كما نجد هذه المعتقدات في المعمودية عند المسيحيين, كما أن هناك طقوساً أخرى تشبه العشاء الرباني عند المسيحيين, وكل الديانات السرية تتفق على المعمودية والعشاء الرباني؛ ومن ثم الدخول في تجربة الموت والقيامة مع الاختلاف في التسميات فقط. والمعاني التي تدور حولها هذه الديانات هي الخلاص من الخطايا وضمان النجاة والسعادة في الحياة الخالدة الأبدية.

الفصل الثاني
المجـــــامع المسكـــونية

M

المبحث الأول : المجمع المسكوني الأول (نيقية 325م).

المبحث الثـاني: المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينية 381م).

المبحث الثـالث: المجمع المسكوني الثالث (أفسس 431م).

المبحث الرابـع: المجمع المسكوني الرابع (خلقدونية 451م).

المبحث الخامس: المجامع المسكونية بعد خلقدونية

1- المجمع القسطنطيني سنة 553م

2- المجمع القسطنطيني الثالث سنة 681م.

3- المجمع النيقاوي الثاني سنة 787م.

4- مجمع القسطنطينية سنة 869م (المجمع الشرقي اليوناني)

** تعليق ختامي على الفصل الثاني.

M:

لبث المسيحيون أكثر من ثلاثة قرون وليس لهم كتاب يسيرون عليه وليس لديهم نظام ديني خاص يتبعونه وما عليه المسيحية الآن من عقيدة التثليث وألوهية المسيح, لم يكن واضحاً منذ العصور الأولى للمسيحية, وخاصة لدى تلاميذ المسيح, وإن أول من حرّف سيرها عن المنهج الذي نهجه المسيح وعلمه هو بولس الرسول, فكان هو الخطوة الأولى نحو مسيحية مختلفة تمام الاختلاف عن مسيحية المسيح وقررتها المجامع المسكونية والمكانية والإقليمية التي تم انعقادها منذ بداية القرن الرابع الميلادي, ومنذ اللحظة الأولى التي ابتدأت فيها المسيحية بالانحراف عن العقيدة الأصلية التي جاء بها المسيح بدأ الخلاف بين المسيحيين حول أركان العقيدة المسيحية.

ولابد لنا قبل ذكر المجامع المسكونية التي حددت عقائدهم, من أن نوجز الحديث عن هذه المجامع وتعريفها لدى المسيحيين:

جرت العادة ومنذ بداية التاريخ المسيحي أن يجتمع القادة الروحانيين من القساوسة "Priests" والأساقفة "Bishops" والبطارقة "Patriarchs" بين آونة وأخرى لتقرير قواعد الإيمان القويم وتقديم تأويلات تفسير سر الثالوث وعقيدة الصلب والفداء والقيامة, بغية الوحدة العقدية بين النصارى.

عرفت مثل هذه الملتقيات الدينية بالسينودس "Synods" المشتق من الكلمة اليونانية سندوس "Sundos" التي تعنى الاجتماع من أجل المناقشة في القضايا اللاهوتية للوصول إلى اتفاق عام حولها, ومصطلح "Syond" دلَّ في الغالب على ملتقيات دينية محلية ضيقة.

أما مصطلح المجمع "Council" عنواناً للمجمع المسكوني ذي الصبغة العالمية, وقد أحصيت سبع مجامع مسكونية تم عقدها في مدن آسيا الصغرى, ما بين القرنين الرابع والثامن.

وهذا التقليد في المجامع كان معروفاً عند اليهود وهو ما يعرف بالمجلس الأعلى السنهدرين "Sanhedrin"، وعلى غرار السنهدرين عقدت هذه المجامع.
والمجامع جمع مجمع, والمجمع في الاصطلاح الكنسي هو مجلس يعقده الرسل (تلاميذ المسيح الاثنى عشر) أو الأساقفة وهم الدرجة العليا في الكهنوت المسيحي للمداولة في قضايا دينية كنسية وتقريرها.

المسكوني "Ecumenical" استخدم هذا المصطلح ابتداء من مؤتمر أكسفورد عام 1937م وأطلق على الكنيسة والجماعة والدولة، وهو مأخوذ من الكلمة اليونانية بمعنى (مسكن)، وفي اللغة اليونانية الكلاسيكية "he oikoumene" تعني (الأرض المسكونة)، ويقصد منها العالم اليوناني فحسب، ثم جاء ذكرها في إنجيل (لوقا 2: 1-2) ويقال اليوم حركة مسكونية بمعنى الحركة التي تهدف إلى الوحدة المسيحية العالمية, أي مؤتمر عام شمل علماء المسيحية في الأرض المسكونة[1] .

---

[1] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ط3، 1979م، ص464.

ويعتبر عصر المجامع حلقة هامة من حلقات تاريخ الكنيسة، وهو سلسلة مترابطة الحلقات صاغت للكنيسة قانون إيمانها، ووضعت هذه المجامع من القوانين والقرارات ما يكفل لها السير في أمن وسلام.

والمجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية, رسم الرسل نظامها في حياتهم, وعقدت مجمعها الأول في أورشليم برئاسة يعقوب الرسول لبحث شروط الداخلين من الأمم إلى المسيحية, والنظر في مسألة ختان الأمم؛ ومن ثم نسجت الكنيسة بعد ذلك على منوالهم.

أنواع المجامع:

ثلاثة أقسام: مجامع مكانية ـ إقليمية ـ عامة "مسكونية"[1] :

1- مجامع مكانية غير مسكونية: وهي المجامع التي لا تشترك فيها كل الكنائس, لتدبر أمورهم الخاصة. ويجوز انعقاد هذه المجامع يومياً عدا أيام الآحاد.
2- مجامع إقليمية: تجتمع برئاسة مطران الإقليم (أي أسقف المدينة الأولى في الإقليم) لبحث أمور خاصة بالإقليم.
3- مجامع مسكونية: وهي المجامع التي تمثل فيها الكنيسة الجامعة وتشترك في أعمالها، ويقوم المجمع المسكوني مقام مجمع الرسل, فهو السلطة العليا في الكنيسة جمعاء, وتعتبر قراراته معصومة وملهمة من الروح القدس, وتبحث أمور العقيدة أساساً إذا دعت الضرورة لذلك[2] .

شروط المجمع المسكوني:

يشترط المسيحيون في المجمع المسكوني عدة شروط لكي يطلق عليه صفة المسكونية والإلهامية وعصمته وهي:

1- الدعوة إليه من قبل الإمبراطور.
2- عقده بسبب بدعه أو انشقاق ديني.
3- قبول قراراته التي نتجت عن المجمع بشيء جديد لم يكن مقرراً من قبل.
4- أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة لتتمثل فيها المسكونية[3] .

فيجب أن يدعى إليه جميع أساقفة العالم, إلا أنه ليس من الضروري حضورهم جميعاً, إلا أنه يشترط في أعماله حضور جميع رؤساء الكراسي الرسولية الخمسة أو نوابهم وهم الكرسي الروماني, الإسكندري, الإنطاكي, القسطنيطيني, الأورشليمي, وترجع أهمية هذه الكنائس إلى ادعاء كل واحدة من هذه الكنائس رجوع تأسيسها إلى الرسل أنفسهم, وتواجد هذه الكنائس في المدن الكبرى الأكثر أهمية في الإمبراطورية

---

(1) الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، الإسكندرية، مكتبة المحبة، ط1، 2007م، ص233.
(2) كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، القاهرة، الكلية الإكليريكية بالإسكندرية، ط1، ب. ت، ص19.
(3) أنطونيوس الأنطوني، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، القاهرة، شركة الطباعة المصرية، ط2، 2004م، ص28.

الرومانية, أما الأورشليمية فهي المكان الذي صلب فيه المسيح وقام من بين الأموات، فالأسباب في هذه الكنائس هي دينية وسياسية معاً.

وللأساقفة الشرعيين أعضاء المجمع المسكوني حق إبداء الرأي في المواضيع المطروحة، ويكون إصدار القرارات بأغلبية الأصوات.

أما الملوك والولاة فإنهم يحضرون المجمع؛ ولكن دون أن يكون لهم حق إبداء الرأي ودورهم لإشاعة الطمأنينة وتنفيذ أحكام قرارات المجمع المسكوني.

ويشترط في قبول قرارات المجمع أن يوافق جميع رؤساء الكراسي الرسولية الخمسة على هذه القرارات, أما غير هذه الكراسي الرسولية فليس من الضروري موافقتها[1] .

عصمة المجمع المسكوني:

تعتبر قرارات المجمع المسكوني المستوفية الشروط أحكام الله, إذ هي ملهمة من الروح القدس, فهي قرارات ملزمة على الكنيسة جمعاء, ولا يحق للمؤمنين رفضها، ومن يخالفها يفصل من الكنيسة.

أما المجامع المكانية فهي غير معصومة إلا إذا نوقشت في مجمع مسكوني وتمت الموافقة عليها فإنها تأخذ صبغة المسكونية, فصلاحية المجمع لديهم هو إقرار شهادات الرسل لا ابتداع عقائد جديدة[2] .

اختصاص المجامع:

1- فحص المسائل المتعلقة بالإيمان.
2- وضع النظم والقوانين اللازمة لسياسة الكنيسة.
3- حل المشاكل العامة التي تعترض الكنيسة.
4- فض المنازعات والخصومات التي تنشأ بين الإكليروس أو بين الشعب أو بين كليهما.
5- محاكمة رجال الإكليروس إذا صدر منهم ما ينافى الإيمان القويم أو يخالف ما تقرره البيعة من قوانين[3] .

المجامع المسكونية:

والكنيسة الرومانية الكاثوليكية تعترف بوجود (21) مجمع مسكوني هي حسب موسوعة جروليار الالكترونية لسنة 1995م كالآتي:

مجمع نيقية الأول (325م)	مجمع القسطنطينية الأول (381م)
إفسس (431م)	خلقدونية (451م)
القسطنطينية الثاني (553م)	القسطنطينية الثالث (681-680م)
نيقية الثاني (787م)	القسطنطينية الرابع (870-869م)

(1) لينة الحمصي، المسيحية دين واحد وشرائع شتى، ص224.
(2) المصدر السابق، ص226.
(3) تادرس عطية الله، احكي يا تاريخ، مربوط، مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا، ب.ط، 2002م، ص ص92-95.

لاتيران الأول (1123م) لاتيران (1139م)
لاتيران الثالث (1179م) لاتيران الرابع (1215م)
ليونز الأول (1274م) ليونز الثاني (1274م)
فيينا (1312-1311م) كونستانس (1418-1414م)
باسل ـ فيرارا ـ فلورنس (1431-1445م)
لاتيران الخامس (1517-1512م) ترنت (1563-1545م)
الفاتيكان الأول (1869-1870م) الفاتيكان الثاني (1965-1962م)[1] .

أما باقي الكنائس المتحدة, شرقية وغربية، فلا تعترف إلا بالسبعة مجامع الكنسية الأولى فقط، كمجامع مسكونية, وتعتبر باقي المجامع إقليمية, كما يوجد مجامع أخرى خاصة بانتخاب نصوص الكتاب المقدس, ولقد انعقد أكثر من عشرين مجمع حتى منتصف القرن السادس عشر, ما بين مجامع مسكونية وإقليمية, حضرها آلاف من أساقفة ورجال دين ورجال فكر, وفلاسفة للاقتراع على الكتب الموجودة وانتخاب الكتاب المقدس[2] .

[1] محمد الحسيني إسماعيل، الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان، القاهرة، مطابع الأهرام، ب. ط، 1996م، ص250.

[2] أحمد طاهر، الأناجيل دراسة مقارنة، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1991م، ص146.

المبحث الأول
المجمع المسكوني الأول
(نيقية 325م)

مجمع نيقية* في 20 ديسمبر وغيرهم يقول 19 يناير في الساحة الوسطى في القصر الملكي, وحضره بعض موظفي البيت الملكي ورجال البلاط وعدد من الأسرة المالكة, كما حضره الإمبراطور لكي يزيده شرفاً؛ لأنه قال للآباء: "إن الحكم على قضايا الإيمان لا يختص بسلطة ملك بل خصه السيد المسيح بالأساقفة فقط"[1].

سبب انعقاد المجمع النيقاوي:

كانت هناك قضايا كثيرة تتطلب عقد مجمع عام بعد أن استراحت الكنيسة قليلاً من عصور الاضطهاد المتعاقبة, فما إن جاء عصر السلام حتى فكرت الكنيسة فيما خلفته العصور الماضية من مشاكل مهمة منها:

أسباب غير مباشرة:

1- مشكلة تحديد اليوم الذي يقع فيه عيد الفصح (القيامة).
2- مشكلة إعادة معمودية الهراطقة ومشكلة قبول العائدين منهم إلى الكنيسة.
3- انشقاق ملاتيوس أسقف أسيوط, الذي عاصر دقلديانوس, وحاد عن الإيمان بالرغم من أن أربعة من زملائه الأساقفة أرسلوا له وهو في السجن, ليحضوه على الثبات في الإيمان واحتمال الاضطهاد, لكنه خاف على حياته وبخر للأوثان؛ مع أنه ندم ورجع إلى المسيحية, ورسّم بنفسه نحو ثلاثين أسقفاً. مما دعا البابا بطرس أن يعقد مجمعاً تقرر فيه حرمانه هو وأساقفته. واستمر الشقاق بينه وبين عدة بابوات للإسكندرية[2] .

السبب المباشر:

"شاع في هذا القرن قول أريوس (أسقف ليبي)، ولد في ليبيا قورينا بأفريقيا سنة 270م، وتوفى في سنة 336م، وأخذ العلم عن لقيانوس الأنطاكي، وفي سنة 318م قام بحركته التي يسميها المسيحيون "الحادية" والتي يقول فيها إن المسيح الابن والروح القدس في منزلة دون الأب, وإن الابن مخلوق من الأب, وليس مولوداً من الأزل, وبذلك فإن المسيح لم يكن إلهاً حقيقياً؛ إلا أنه يمكن أن يسمى إلهاً عن طريق المجاز لا الحقيقة"[3] , "وأن الأب هو وحده الذي يستحق لقب الإله الحقيقي, ولقد انتشر قول أريوس وكان له أشياع كثر وتابعه عدة أساقفة على قوله, ولكي يروج أريوس لبدعته, نظم تعاليمه في مقطوعات شعرية ولقنها لأتباعه فأذاعوها بين العامة لما للتلحين من أثر كبير في نفوس السامعين. وقد أدّت أفكار أريوس إلى انقسام رجال الدين إلى مؤيد

*** نسبة إلى مدينة نيقية الواقعة شمال غربي آسيا الصغرى, والمعروفة اليوم أزنيك التركية والقريبة من القصر الإمبراطوري لقسطنطين الأكبر آنذاك.**

[1] منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، شبرا، مكتبة المحبة، ط1، ب. ت، ص192.

[2] أنطونيوس الأنطوني، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، ص31.

[3] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص132.

ومعارض، وكان على رأس المعارضين الكسندروس بطريرك الإسكندرية واحتدم الصراع بين الفئتين, وكان هذا الخلاف موضع اهتمام الإمبراطور قسطنطين لاعتناقه المسيحية 312م؛ ولكن ليس بشكل رسمي"[1] , وأنه لم يعتنقها إلا قبل وفاته بزمن وجيز, حين تقبل المعمودية بعد أن رقد في الفراش لأنه كان سفّاك دماء وجندياً محارباً وغازياً وعندما لم يعد قادراً على الإيذاء وسفك الدماء قام بتعميده أسقف أدرياني مشهور بالخرافات اسمه "يوسيبيوس" ومات قسطنطين عام 337م في عيد الفصح, وحاول قسطنطين فضّ النزاع بين أريوس والكسندروس مؤكداً وجوب التآلف ونبذ الخلاف والخصام, إلا أنه اشتدّ الخلاف بينهما ورأى الإمبراطور بناء على اقتراح تقدم به أسقف أسبانيا الذي أرسله الإمبراطور لحل الخلاف, أن يعقد مجمع مسكوني يضم أساقفة الإمبراطورية بعد سنة وشهرين, وذلك في نيقية بآسيا الصغرى, في 19 يناير إلى 25 مارس 325م, أما عدد الذين حضروا هذا المجمع فإن الروايات التاريخية المسيحية تختلف في هذا اختلافاً بيناً ويروى أن عدد الأساقفة الذين حضروا المجمع وشاركوا فيه هم (2048 أسقفاً), انقسم على نفسه إلى معسكرين:

1- معسكر بزعامة الأسقف (أريوس) ومعه 1730 أسقفاً نادوا بأن يسوع إنسان مخلوق وحاشا أن يكون هو الإله أو ابن الله إطلاقاً.
2- معسكر بزعامة الشماس (أثناسيوس) ومعه 318 أسقفاً نادوا بأن يسوع هو الإله المتجسد الذي صار خلاصاً للعالم. وقيل إن عدد الشرقيين 310 أسقفاً وعدد الغربيين ثمانية فقط ويرجع هذا إلى قلة الأساقفة وضعف المسيحية في الغرب في ذلك الوقت[2] ، كما حضره أساقفة مختلفين في الآراء، "فمنهم من يقول المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية, ومنهم من يقول المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تخلّقت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى لاتقاد الثانية منها وهي مقالة سيبارينون, ومنهم من قال لم تحمل مريم تسعة أشهر، وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب؛ لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهي مقالة أيليان, ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس وهي مقالة بولس الشمشاطي, ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة صالح وطالح وعدل وهي مقالة مرقيون, ومنهم من كان يقول ربنا هو المسيح، وتلك مقالة بولس الرسول ومقالة 318 أسقفاً"[3] .

قبيل الموعد المحدد لانعقاد المجمع بدأت وفود الأساقفة تصل إلى نيقية من كل مكان, وكان في مقدمة الحاضرين, وفد كنيسة الإسكندرية المؤلف من الكسندروس بابا الإسكندرية يصحبه رئيس شمامسته وسكرتيره الخاص أثناسيوس الرسولي, مع رهط من الأساقفة، من بينهم الأنبا بوتامون أسقف هرقلية بأعالي النيل, والأنبا بفنونيوس

---

(1) سنية قراعة، الرسالات الكبرى، ص319.

(2) إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص ص24-35.

(3) أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دعوة التقريب بين الأديان، ص ص124-126.ـ انظر: محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص ص118-126.ـ وانظر: داود علي الفاضل، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، الأردن، كلية الشريعة، ب.ط، ب.ت، ص266.ـ ونوفل نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي، وسوسنة سليمان، أصول العقائد والأديان، بيروت، دار لحد خاطر، ط2، 1987م، ص ص115-120.

أسقف طيبة الذين قلعت عيناهما بالسيف, وكويت حواجبهما بالحديد المحمى بالنار في أيام الاضطهاد السابق[1] .

أبرز شخصيات هذا المجمع:

1- القديس اثناسيوس الرسولى (البطريرك الـ20)* .
2- الإمبراطور قسطنطين** .

جلسات المجمع:

اتخذ كل من الأساقفة مكانه في المجمع؛ وعندئذ حضر الإمبراطور قسطنطين الكبير مع بعض أفراد حاشيته وأراد أن يجلس في آخر القاعة, غير أن الأساقفة أشاروا عليه بالجلوس على المقعد المخصص له في صدر القاعة, فقبل بعد أن أوضح لهم أن حضوره في وسطهم كمستضيف فقط لأن "الحكم في قضايا الإيمان لا يختصّ بسلطة الملك, إنما خصه السيد المسيح بالأساقفة فقط"[2] .

جلس الإمبراطور وعن يساره جلس أوسيوس أسقف قرطبة الذي أسندت إليه رئاسة المجمع لكبر سنه وأريوس وأكبر أعوانه وشغل الأساقفة بقية المقاعد واصطفّ الجمهور على جانبي القاعة.

ووقف أوسابيوس القيصري سكرتير المجمع, وألقى خطاباً افتتاحياً ورد فيه: "أيها الملك العزيز ... الشكر لله العلي الذي أعطاك الملك الأرضي وأنارك بنور الديانة المسيحية, حتى هدمت أماكن الأصنام ... وشيدت الهياكل المسيحية الشريفة لعبادة الإله الحقيقي ..."، ثم دعا للملك، وأخيراً قال: "بما إنك علمت بالقلاقل التي آثارها أريوس نتوسل إليك أن تأمره أن يتقدم بعرض هذا التعليم الغريب ... ونحن نفاوضه، وحينئذ يتبين الحق من الباطل". فردّ عليه الإمبراطور، وحثّهم على النظام وبذل الجهد لإقناع الخصم بالبراهين, والمحافظة على الوئام والمحبة, وعرض الآراء بكل حرية وتمام الاختيار. ولما قدمت إليه عرائض هجاء في حق بعض الأساقفة, أحرقها أمام المجمع

---

(1) القمص كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص59.

*** قد ولد عام 296م بمدينة الإسكندرية، وكان بطلاً في مجمع نيقية وسيم بطريركاً عام 326م.**
ولقد نفى البابا اثناسيوس خمس مرات، وكان يقال له: "العالم كله ضدك يا اثناسيوس"، فكان يقول: "وأنا ضد العالم" وقد تنيح عام 373م.

**** أ - وهو الذي دعى لعقد المجمع المسكوني الأول.**
ب- وهو الذي شاهد في أفق السماء صليباً من نور مكتوب عليه هذه الكتابة "بهذا تغلب" وفى رؤيا الليل ظهر السيد المسيح للملك ومعه صليب وأمره أن يصنع مثاله ويجعله شعاره.
ج - وهو الذي أصدر مرسوم التسامح الديني.
د - أصدر مرسوم حفظ يوم الأحد في جميع بلاد الإمبراطورية.
و - أدخل الصلاة في الجيش وألغى العقوبة بالصلب.
ز - شجع على تحرير العبيد لإبطال الرق و قتل الأطفال وتحريم الغرامة وتحريم ألعاب المصارعة.
انطونيوس الأنطوني، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، ص32.

(2) كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص62.

قبل أن تتلى. وقال: "لو نظرت بعيني أحد رجال الكهنوت في عثرة, لسترته بارجوانيتي"[1] .

بدأ المجمع بالنظر في موضوع بدعة أريوس، وانفضت الجلسة الأولى بلا نتيجة بعد كثير من الجدل والغضب.

وفى اليوم الثاني قدم أريوس صورة عقيدته وتضمنت: إن الابن ليس مساوياً للأب في الأزلية, وليس من جوهره، وأن الأب كان في الأصل وحيداً, فأخرج الابن من العدم بإرادته، وأن الابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب، فهاج الأساقفة عندما سمعوا هذا، وكذلك عندما سمعوا بعضاً من أناشيده التي كان يعلمها للشعب، وانقض البعض على الأوراق التي تحتوى على الترانيم الهرطوقية ومزقوها مما جعل حزب أريوس يثور أيضاً واضطر الملك أن يدعو الجميع إلى الهدوء. ثم سأل المجمع الأريوسيين إن كانوا يقبلون أن يكتب في العقيدة عن طبيعة الابن إنه من الله؟ فأجابوا بالموافقة؛ لأنهم يعتبرون أن السيد المسيح, وكافة البشر متساوون في انتسابهم إلى الله.

وسئلوا أيضاً إن كانوا يعترفون أن الابن ليس مخلوقاً بل هو قوة الله كله وصورته وأنه هو إله حقاً, فنظر بعضهم إلى بعض, ثم أجابوا بالموافقة؛ لأنهم يعتبرون أن السيد المسيح وكافة البشر لهم صورة الله.

وعند تدخل الشماس أثناسيوس ليفضح مشورتهم واقترح أن يطلق على العقيدة هذه العبارة: مساو في الجوهر لله, عن حقيقة صلة الابن بالأب, بطريقة موجزة واضحة، فعارضه الأريوسيون في إضافتها, واقترحوا استبدالها بعبارة: مشابهة في الجوهر, وترك المجمع الفصل في أي العبارتين أصح. ثم أخذ رأى المجتمعين في ذلك فتقرر الموافقة على العبارة التي وضعها أثناسيوس[2] .

وعلى أثر ذلك اقترحت غالبية الأعضاء وضع قانون الإيمان وتم وضعه فعلاً حتى عبارة ونؤمن بالروح القدس, ووقع بالموافقة عليه حوالي 300 أسقفٍ. ورفض ذلك أريوس ومن شايعوه وعددهم نحو 17 أسقفاً، فقرر المجمع إيقاع الحرم عليهم ونفى أريوس, وحرق كتبه.

بعد الانتهاء من الحكم في قضية أريوس المبتدع, فصل المجمع في بقية القضايا المعروضة عليه والمدونة في جدول أعماله:

أولاً: في مسألة تحديد عيد القيامة: قرر أن يكون العيد في موعد واحد هو يوم الأحد الذي يلي عيد فصح اليهود, كما قرر المجمع أن يقوم بابا الإسكندرية بإعلان جميع الأساقفة سنوياً عن موعد عيد القيامة، ولعل هذا راجع إلى أن الإسكندرية كانت يومئذ مركز العلوم الفلكية.

ثانياً: الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط: قرر المجمع حفظ حقوق بابا الإسكندرية في رئاسته على الأساقفة الذين في إقليم مصر, كما حفظ حقوق

---

[1] كيرلس سليم بسترس وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، بيروت، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، 2001م، ص ص443-491.

[2] ج. قنواتي, ولويس غرديه، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1979م، ج2، ص288.

أساقفة رومية وأورشليم وأنطاكية.

ثالثاً: أما مشكلة معمودية الهراطقة: فقد أيد المجمع رأي الكنائس الشرقية فقرر عدم صحة معمودية من يعمدهم الهراطقة؛ لأنهم لا يعترفون فيها باسم الثالوث الأقدس؛ أما من كان معمداً في الكنيسة تعميد صحيح ثم هرطق فلا تعاد معموديته عند رجوعه.

رابعاً: قرر المجمع السماح للكهنة أن يكونوا من المتزوجين مكتفياً ببتولية الأساقفة وعدم زواج الكهنة المترملين[1] .

قرارات مجمع نيقية ودور الإمبراطور قسطنطين في هذا المجمع:

يتفق أغلب المؤرخين المسيحيين على أن الأغلبية الساحقة قد أقرت ألوهية الابن (المسيح)، ولم يخالف في هذا سوى أريوس وتبعه عدد قليل من الأساقفة.

ونجد تدخل الإمبراطور قسطنطين، وهو الكاهن الأعظم للإمبراطورية، حيث وجد دعوة أثناسيوس مواءمة لعقيدته الوثنية, واعتبر الآخرين هراطقة, وأن كثيراً من الأساقفة الأريوسيين قد وقعوا على دستور الإيمان خوفاً من غضب الإمبراطور وقانون الإيمان هو: "نؤمن بإله واحد أب, ضابط الكل خالق السماء والأرض, خالق كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد, مولود من الأب, أي من جوهر الأب إله من إله, نور من نور, إله حق من إله حق, مولود غير مخلوق, مساوٍ للأب في الجوهر, الذي به كان كل شيء, ما في السماء وما على الأرض, الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء, وسيجيء ليدين الأحياء والأموات, وبالروح القدس"[2] . ولكن الإمبراطور قسطنطين لم يوقع على الحكم الذي صدر على أريوس، باعتباره هرطقياً وحرمانه من منصبه في الكنيسة ونفيه.

واعتناق قسطنطين للمسيحية ما هي إلا حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية, فما كان منه إلا استبدال المسيحية بالوثنية مع الحفاظ على اسمها فقط[3] .

وعدد المجتمعين في المجمع النيقاوي بلغ 2048 أسقفاً, وأنهم كانوا مختلفين في الآراء والمذاهب فاجتمع قسطنطين بهؤلاء جميعهم وسمع مقالة كل فريق فعجب مما رأى وسمع, وأمر كل الفرق بالمناظرة فيما بينها لينظر الدين الصحيح, وقد أعجب قسطنطين بآراء الفئة المتبنية لآراء بولس المؤلهة للمسيح, فعقد مجلساً خاصاً للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي وعددهم 318 أسقفاً واستبعد الباقي, وبالتحديد كان عدد الذين اقتنعوا برأي أريوس 1730 عضواً مقابل 318 عضواً رضخوا لتوجيهات قسطنطين والإسكندر بابا كنيسة الإسكندرية, أي أن نسبة الرافضين لألوهية المسيح قد بلغت 84% تقريباً، وأن القائلين بإلوهيته قد وقفت عند حد 15% تقريباً, وبذلك اتخذ هذا

---

(1) القمص كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص68.

(2) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص213.- وانظر: محمد الحسيني إسماعيل، الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان، ص256.

(3) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج2، القاهرة، دار قباء، ط1، 1999م، ص ص211-264.

المجمع في ظل غياب الأغلبية الساحقة من آباء الكنيسة أخطر القرارات الدينية في تاريخ الديانة المسيحية[1] .

"وضع الملك 318 أسقفاً, مجلساً خاصاً عظيماً, وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم، وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا, مما فيه قوام الدين, وصلاح المؤمنين, فباركوا الملك, وقلّدوه سيفه, وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذبّ عنه, ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع, منها ما يصلح للملك أن يعمل به, ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به"[2] .

وبعد انتهاء مجمع نيقية وقد حكم على أريوس وعلى الأسقفين الآخرين اللذين رفضا التوقيع على الدستور, وعلي الأسقفين اللذين رفضا التوقيع على الحكم الصادر على أريوس, حيث حكم عليهم بالفصل من كراسيهم والنفي من بلادهم, كما صدر مرسوم إمبراطوري بأمر حرق كتب أريوس جميعها ويجعل إخفاء كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام.

مكث أريوس وشيعته في المنفى بضع سنيين, ثم عادوا إلى الإسكندرية, وبعودتهم فسخ الأساقفة الذين أكرهوا على الاعتراف بألوهية المسيح, ونادوا جميعاً ببطلان مساواة عيسى لله في الجوهر, وأقام الإمبراطور مجمعاً في أنطاكيا اعترف فيه بصحة مذهب أريوس, وفي أثناء عودة أريوس إلى الإسكندرية استقبل الناس باحتفال عظيم, ومات فجأة وسط هذا الفرح واتخذ خصومة موته حجة على أنه مبطل, وأن الله قبل فيه دعوة الأسقف (مكاريوس), واستمرّ الصراع بين التوحيد والإلحادية, حتى بعد موت اريوس, واتبعت النصرانية مذهب أريوس حتى سنة 351م, بعدها نهض الأساقفة الغربيون ينادون بمساواة الابن والأب في الجوهر ويلعنون الأريوسيين, واشتد الخصام بين الطائفتين, وفعلت كل واحدة بالأخرى من الفظائع ما لم يرد مثله في التاريخ[3] .

وانتهى المجمع بقرارات منها:

1- حرمان (أريوس) وأتباعه ونفيه من البلاد.
2- يسوع هو الإله المتجسد, ألوهية المسيح.
3- يسوع هو ابن الله حقيقة.
4- الخطيئة الأصلية.
5- الفداء (الصليب), تكفير عن خطايا البشر.
6- حبس الكتاب المقدس فلا يمسسه شعب الكنيسة, أما التعاليم الدينية فيتلقاها الشعب من أفواه الكهنة.
7- اختيار الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع قرارات المجمع والقضاء على سائر الرسائل والأناجيل.
8- القول بالتثليث, أو الثالوث المقدس: الأب, والابن, والروح القدس؟!

---

[1] عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، عمان، دار عمار للنشر، ط1، 2000م، ص ص84-89.

[2] كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص63.

[3] داود علي الفاضل، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص271 (بتصرف).

9- القول بعقيدة الخلاص عن طريق القرابين ووساطة الكهان بين العبد وربه.
10- القول إن للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية أو طبيعتين إحداهما ناسوتية (نسبة إلي الناس) باعتبار الجسد، والأخرى لاهوتية (نسبة إلى الألوهية) باعتبار الروح أو الحقيقة؟!

كما قرر المجمع التسليم بسفر يهوديت وهو من الأسفار المشكوك فيها, من الأناجيل المختلفة التي بين أيديهم ويزيد عددها عن الخمسين, وليبحثوا الرسائل والكتب التي لا عدد لها الموزعة في مختلف بقاع العالم، وتقرر وضع جميع الأناجيل المختلفة تحت طاولة في قاعة المجمع؛ ثم غادر المجتمعون القاعة وأقفل بابها, ثم طلب إلى الأساقفة أن يصلوا طوال الليل من أجل أن ترتفع النسخة الصحيحة من الإنجيل إلى أعلى الطاولة، وفى الصباح وجدت الأناجيل المقبولة لدى أثناسيوس, ممثل أسقف الإسكندرية مرتبة بنظام فوق الطاولة، وعندئذ تقرر إتلاف جميع الأناجيل حرقاً, وهى التي بقيت تحت الطاولة، ولا يوجد ما يشير إلى الشخص الذي احتفظ بالمفاتيح في تلك الليلة، وفى مجمع نيقية تقرر اعتبار يوم العطلة المسيحي يوم الأحد يوم الشمس واعتبار يوم مولد إله الشمس, وهو يوم الخامس والعشرين من كانون الأول يوم ميلاد المسيح, واستعارة الصليب وهو رمز إله الشمس رمزاً للمسيحية، كما قرر المجتمعون دمج جميع المراسم التي كانت تجرى في احتفالات عيد ميلاد إله الشمس, واتخاذها احتفالات ومراسم وطقوسا للمسيحية[1] .

ونذكر من أهم نتائج مجمع نيقية الإشراك وعبادة الصور والتماثيل والأفخارستيا (العشاء الرباني):

الإشراك:

المسيحية اليوم يدعون مع الله اثنين آخرين يسمونها أقنومين, ويقولون إن الله وحده لا يستطيع أن يكون كاملاً إلا باشتراكهما معه, فالله في رأيهم هو خالق الكائنات بدون حياة، والذي يخلق الحياة هو أحد الأقانيم المسمى عندهم الروح القدس, ويقولون إن هذين لم يمكنهما تخليص الإنسان من الخطيئة فتكلموا عن أقنوم ثالث وهو الابن أو المخلص.

عبادة الصور والتماثيل:

بعد التثليث قدس القوم الأصنام والصور حتى أنهم يعتبرون المسيحي الذي يرسم الصليب على وجهه أو لا يقبله بعد مرتداً عن دينهم، وتأكدت هذه العبادة بعد مجمع النيقاوي الثاني.

الأفخارستيا:

---

[1] نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دمشق، دار الأوائل، ط1، 2002م، ص ص84-85 (بتصرف).

وهي عقيدة تمخضت عن مجمع نيقية وتسمى العشاء الرباني[1] ؛ كما قرر المجمع عشرين قانوناً, ولكن الكاثوليك أضافوا عليها قوانين أخرى حتى بلغ عددها 84[2] .

نص قرار مجمع نيقية حول ألوهية المسيح:

"إن الجامعة المقدسة, والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه"؟!" وإنه لم يوجد قبل أن يولد, وإنه وجد من لا شيء, أو من يقول: إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الله الأب, ..."[3] .

هكذا تقرر ألوهية المسيح في هذا المجمع, وجميع القرارات بنيت على أساس رسائل بولس فقط, وبذلك فإن هذا الاتجاه الفكري بألوهية المسيح, في العقيدة هو من وحي بولس الرسول فقط, ولهذا عادة ما تنسب المسيحية إلى بولس حتى أنها تلّقب أحياناً باسم مسيحية بولس, وبسبب الاعتقاد بألوهية المسيح قام أئمة الدين بالتوجه بتفسير نصوص الكتاب المقدس بما يتفق مع هذا المعنى.

لم تنته قضية الأريوسية بتحديدات مجمع نيقية, فالأساقفة الذين وقعوا دستور نيقية ليس عن إخلاص بل ظلوا كالسابق أريوسيين, واجتهدوا كالسابق بنشر تعليمهم الأريوسي.

وسرعان ما امتدّ تدخل الإمبراطور قسطنطين إلى ما بعد المجمع, حيث تحولت عواطفه إلى الأريوسيين, أرجع أريوس من منفاه عام 328م, كما أرجع اثنان من الأساقفة الذين تابعوه إلى كرسيهما لتقديمهما رسائل ندامة.

ويذكر المؤرخون المسيحيون أن أغلب آباء الكنيسة في الشرق كانوا أريوسيين، بينما آباء الكنيسة في الغرب أرثوذكس، وبدأ الصراع بين الشرق والغرب, وانقسمت إمبراطورية قسطنطين من بعده إلى قسمين إمبراطورية الشرق وعاصمتها قسطنطينية, وإمبراطورية الغرب وعاصمتها روما, وعندما تولى إمبراطور الشرق (قسطنديوس الثاني 356م) إمبراطورية الغرب بعد مقتل أخيه صارت كل المراكز الأسقفية المهمة في أيدي الأريوسيين، ونفى الأساقفة الأرثوذكسيين, ولم يعودوا إلى أوطانهم إلا في عهد الإمبراطور يوليان عام 362م[4].

"من هذا يتبين أن المسيحية كانت قائمة قبل هذا المجمع على التوحيد، وكانت الأغلبية منهم من الموحدين، كما يتبين أن المجمع قد فرض نفسه منذ ذلك التاريخ سلطة حكومية وكهنوتية لها أن تقرر ما تشاء وعلى الناس أن يطيعوا, ولها أن تحلل ما

---

(1) محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص116.

(2) انظر: العشرين قانون بالتفصيل في: الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، ص ص266-271.

(3) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص133.

(4) عبد العظيم الجطيني، الإسلام في مواجهة الأيديولجيات المعاصرة، مصر، مطبعة السعادة، ط1، 1987م، ص ص3-4 (بتصرف).- انظر: أبو عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص64.

تشاء, وأن تحرم ما تشاء, وعلى الناس أن يمْثُ ُلُوا، وليس لأحد الحق في أن يقول كيف, ولماذا؟ وليس لأحد الحق في أن يطالب رجل الكنيسة بالدليل"[1] .

[1] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص139.- انظر: إبراهيم سليمان الجبهان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، ص50.- انظر: أبو عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص63.

المبحث الثاني
المجمع المسكوني الثاني
(القسطنطينية 381م)

أسباب انعقاده:

ظهر في هذا العصر مذهبان مرتبطان بالأريوسية, وليسا بأقل منها مناقضة للتثليث, وهما ما ذهب إليه كل من أبوليناريوس ومكدونيوس, وكان أبوليناريوس الذي درس الفلسفة الأفلاطونية؛ ثم سيم أسقفاً على اللاذقية بالشام نحو عام 362م, وقد اعتقد بوجود تفاوت في المرتبة بين الأقانيم, فالأب أعظم من الابن والابن أعظم من الروح.

أما مكدونيوس فهو نصف أريوسي وكان أسقفاً سابقاً على القسطنطينية نحو سنة 342م, فكان يعلم بأن الابن يشبه الأب, كما أنكر ألوهية الروح القدس, وجعله مخلوقاً كسائر المخلوقات.

وكذلك بدعة أوسابيوس: فهو يعتقد بأن الثالوث الأقدس أقنوماً واحداً، ظهر في العهد القديم كأب وصار إنساناً في العهد الجديد بصفة ابن، وحلَّ على الرسل في علية صهيون بصفة الروح القدس، وقد أسقط هذا المبتدع من رتبته، كما حرمت تعاليمه في المجمع المسكوني الثاني[1] .

زمان المجمع ومكانه وأشهر الحاضرين:

وكانت الكنائس الشرقية كلها بأيدي الأريوسيين, إلا أن الإمبراطور ثيودسيوس الذي نصب إمبراطور على الشرق عام 379-380م، أعلن بحزم أنه مع الأرثوذكس، وعزم على إعادة التعليم الأرثوذكسي، ودعا إلى عقد مجمع القسطنطينية*, ولم يعرض مجمع نيقية العنصر الثالث من عناصر الألوهية في العقيدة المسيحية الحاضرة وهو (الروح القدس)، ولم يبين حقيقة طبيعته أهو إله أم مخلوق, ومن ثم نشأ خلاف بين المسيحيين حول هذا الموضوع, فأمر الملك "ثيودسيوس" الكبير, بعقد مجمع مقدس في مدينة القسطنطينية للنظر في مقولة "مكدونيوس" بطريريك القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي الذي كان ينادي بها في محيط كنيسته ويذيعها في أتباعه, وهي أن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات, وأنه ملك من الملائكة الأطهار المكلف بالوحي[2] .

وقد اجتمع في هذا المؤتمر مائة وخمسون أسقفاً يتقدمهم الأنبا تيموثاوس البابا الإسكندري, وكيرلس أسقف أورشليم وغيرهم, كلهم من الشرق, ولم يكن هناك أسقف من الغرب ولا نوابهم, مع أنهم قد دعوا جميعاً إلى المجمع, وكان من بينهم "تيموثاوس" بطريرك الإسكندرية الذي أسندت إليه رئاسته, وفي هذا المجمع: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئاً غير حياته, وإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن روح الله مخلوق، فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا أن

---

[1] محمد الحسيني إسماعيل، الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان، ص256.

*** وهي استانبول عاصمة تركيا، في سنة 380م.**

[2] سعدون محمود الساموك، مقارنة الأديان، الأردن، دار وائل للنشر، ط1، 2004م، ص130.

حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا, ومن كفر به وجب عليه اللعن واتفقوا على لعن مكدونيوس فلعنوه هو وأشياعه، ولعنوا البطاركة الذين يكونون بعده ويقولون بمقالته"[1] .

قرارات المجمع:

وانتهي المؤتمر بإدانة "مكدونيوس" ومن كان على راية من الأساقفة, والنفي من البلاد, وحرمان أوسابيوس وأبوليناريوس وقطعهما من شركة الكنيسة والمؤمنين, وإقرار الرأي القائل بألوهية روح القدس, ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار مجمع "نيقية" بشأن ألوهية المسيح, ثم إضافة نص جديد في شأن الروح القدس, وأثبتوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص وحدية في تثليث وكيان واحد في ثلاثة أقانيم, وعقيدة التثليث وما يتصل بها من الاعتقاد بصلب المسيح لتكفير الخطيئة الأزلية وبعثه ورفعه إلى السماء ومحاسبته للخلق يوم القيامة بما يلي:

1- بإله واحد أب ضابط الكل خالق السماء والأرض صانع ما يرى وما لا يرى.
2- وبرب واحد يسوع, الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق, مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء, الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد في روح القدس ومن مريم العذراء ... وصلب حياً على عهد بيلاطس وتألم وقبر, وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب, وسيأتي ليدين الإحياء والأموات ولا فناء لملكه.
3- والإيمان بروح القدس الرب المحيي[2] .

نص قرار المجمع القسطنطيني الأول سنة 381م:

"نعم, نؤمن بالروح القدس, الرب, المحيي, المنبثق من الأب, نسجد له ونمجده مع الأب والابن, الناطق في الأنبياء, وبكنيسة واحدة, مقدسة جامعة, رسولية* , ونعترف بمعمودية** واحدة, لمغفرة الخطايا, وننتظر قيامة الأموات, وحياة الدهر الآتي أمين"[3] .

---

(1) لينه الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص263.

(2) علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص110.ـ انظر: سعدون محمود الساموك، مقارنة الأديان، ص131.ـ داوود علي الفاضل، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص ص274-277.ـ ومحمد الحسيني إسماعيل، الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان، ص256.

*** هو كل تعليم وصل إلينا عن طريق التسليم الرسولي والآبائي غير الكلام الذي ترك لنا كتابة في الكتاب المقدس في موضوعات لم تذكر في الكتاب ولكنها لا تتعارض معه. البابا شنودة الثالث، اللاهوت المقارن، ج1، القاهرة، الأوفست، ط17، 2009م، ص50.**

**** التعميد فريضة مقدسة يشار فيها بالغسل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للآب والابن والروح القدس بإلههم ومعبودهم الوحيد، ولا يجوز أن يعبدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام كنيسة الله. أحمد شلبي، المسيحية، ج2، ص172.**
المعمودية نوعان في العهد الجديد الأولى هي المعمودية التي كان يوحنا المعمدان يعمد الخطاة بها للتوبة؛ والنوع الثاني من المعمودية هي تلك التي يخضع لها المرء لكي يصير مسيحياً وهي سر من أسرار الكنيسة، وتختلف طرق التعميد من كنيسة إلى أخر بالتغطيس في الماء الذي جرت عليه الصلاة باستدعاء الروح القدس ليصير ماء مقدس، أو بواسطة الرشم أو صب الماء على جبهة الرأس. عدد من المؤلفين، موسوعة الأديان، ص456.

(3) أبو عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص65.ـ وانظر: محمد مجد مرجان، الله واحد أم ثالوث، الإمارات، دار النهضة العربية، ط1، ب. ت، ص25.

وأصبح يطلق على هذا الدستور النيقاوي القسطنيطيني, وقد أصدر الإمبراطور ثيودسيوس بعد انعقاد المجمع مرسوماً شديد اللهجة جاء فيه أن جميع الأساقفة الذين لم يقبلوا الدستور النيقاوي القسطنيطيني يحرمون من مراكزهم ويقام مقامهم أرثوذكسيون[1] .

ووضع هذا المجمع سبعة قوانين لنظام الكنيسة وسياستها حيث أعلنوا في قانونهم الأول وجوب التمسك بدستور إيمان مجمع نيقية، وفي القانون الثاني منها: "لا يتعدى الأساقفة ... على الكنائس التي خارج حدودهم ولا يقلقون الكنائس بل وفقاً للقانون لأسقف الإسكندرية أن يسوس أمور مصر فقط ولأساقفة الشرق يسوسوا الشرق فقط, مع المحافظة على التقدم الذي في قوانين نيقية لكنيسة الأنطاكيين ...". ونص في القانون الثالث "أما أسقف القسطنطينية فليكن له التقدم في الكرامة بعد أسقف روما, لكونها روما الجديدة" على اعتبار أن القسطنطينية هي العاصمة الثانية للإمبراطورية الرومانية[2] .

يثبت التاريخ أن جميع الأساقفة كانوا متساويين في الكرامة والرتبة في كافة أنحاء العالم المسيحي منذ العصر الرسولي؛ ويمكننا أن ندرك أن تقدم كنيسة روما قد بني على تقدمها المدني إذ كانت عاصمة العالم الوثني, ثم عادت فأصبحت عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية, وليس من ينكر تقدم كرسي الإسكندرية على جميع الأسقفيات لما يمتازون به من وفرة العلم والتفاني في الخدمة والجهاد[3] .

---

(1) انظر: أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دعوة التقريب بين الأديان، ص126.ـ وانظر: محمد مجد مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص25.ـ ومحمد عطاء الرحيم، عيسى يبشر بالإسلام، ترجمة: فهمي شما، عمان، جمعية عمال المطابع القانونية، ط1، 1986م، ص153.ـ مؤلف مجهول، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ط1، 1980م، ص209.ـ حسن خالد، موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط1، 1986م، ص603.

(2) الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، ص243.

(3) انظر: القمص كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص ص103-110.

المبحث الثالث
المجمع المسكوني الثالث
(أفسس 431م)

وهو ثالث المجامع المسكونية, المعترف به بين كنائس العالم شرقاً وغرباً, وقد انعقد هذا المجمع في 22 يناير - أبريل سنة 431م, بأمر الإمبراطور (ثينودسيوس) الصغير, وحضره 200 من الأساقفة في الكنيسة الكبرى بأفسس* (كنيسة السيدة العذراء). ورأسه القديس كيرلس عمود الدين بابا الإسكندرية البطريرك الرابع والعشرين, الذي حضره وبصحبته خمسون أسقفاً مصرياً، كما حضر المجمع الأنبا شنودة[1] .

أسباب انعقاده:

بدعة بيلاجيوس: الذي ولد ببريطانيا سنة 405م, وتردد زماناً بين روما وفلسطين, ثم سيم راهباً وحصل على درجة القسيسية، وسقط في بدعة مضمونها: أن خطيئة آدم كانت قاصرة عليه ولم تتسرب منه إلى نسله ثم استنتج من ذلك أن كل إنسان حينما يولد يكون كآدم قبل الخطيئة، وبهذا يمكنه بقوته الطبيعية وحريته المطلقة أن يبلغ أسمى درجة في القداسة.

ولا يخفى ما في هذا الزعم من الحط من قيمة الفداء بدم المسيح, وفى الواقع أن الإنسان بالآثام صور وبالخطية ولدته أمه, فلا يمكن أن يكون كاملاً إلا بنعمة الخلاص بدم السيد المسيح.

كذلك لمناقشة بدعة أو فكر نسطور* , ففصل المسيح إلى أقنومين (شخصين) مؤكداً على أن الكلمة (الابن الإلهي) حل في المسيح الإنسان لما بلغ الثلاثين من عمره وانفصل عنه في أثناء الصلب والآلام, واستنتج من هذا أن العذراء لم تلد سوى الإنسان؛ ولذلك لا يجوز أن تلقب بوالدة الإله, لأن الإله لم يولد ولم يتألم, ونظرة نسطور ترفض تأليه المسيح وتجعله بشراً أرسل من قبل الله تعالى، وكانت هذه البدعة هي السبب المباشر في عقد المؤتمر, وقد انتشر فكر نسطور "بأن يسوع ذاته بشر خلقه الله إعجازياً ليكون هو وأمه آية عبر التاريخ"، وعرف فيما بعد باسم (العقيدة النسطورية)[2] .

---

* **بلدة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب.**

(1) **محمد الحسيني إسماعيل، الحقيقة المطلقة، ص258.**

* **ولد نسطور في الربع الأخير من القرن الرابع وكان أحد تلاميذ مدرسة أنطاكية, وكان قساً مشهوراً في أنطاكية بالفصاحة والسيرة النسكية, رقي إلى منصب البطريركية القسطنطينية سنة 428م, ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين, إلا أنه لم يلبث بعد تنصيبه بطريكاً حتى أصبح يميز في المسيح الإله على حده والإنسان على حده. كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص126.**

(2) **محمد الحسيني إسماعيل، الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان، ص259.- وسنية قراعة، الرسالات الكبرى، ص324.- وانظر: محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص376.**

وانتشرت هذه العقيدة في القسطنطينية ونصيبين والموصل والفرات والجزيرة (سوريا والعراق)[1] . وقد حدث نتيجة لذلك نزاع بين (كيرلس) بطريرك الإسكندرية و(نسطور) بطريريك القسطنطينية, وعقد مجمع محلي في الإسكندرية ضد تعاليم نسطور, والنزاع كان بين كنيسة القسطنطينية تؤيدها كنيسة أنطاكية وبين كنيسة الإسكندرية تؤيدها كنيسة روما وأورشليم.

عقد البابا كيرلس الكبير الذي انتخب بطريريكاً سنة 412م مجمعاً مكانياً أولاً سنة 428م، وأثبت خطأ تعليم نسطور, ووضع اثنى عشر بنداً فصل فيها العقيدة المسيحية, وأضاف إليها حرم من لا يؤمن بها عرفت باسم (حرمات القديس كيرلس)، وأكد أن مريم العذراء لم تلد إنساناً عادياً؛ بل ابن الله المتجسد؛ لذلك فهي بحق "أم الله" وأرسل إلى نسطور برسائل تحوي كل ذلك؛ ولكنه رفض ولم يرتدع.

ولما رأى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني هذه الخلافات دعا إلى عقد مجمع مسكوني في أفسس يوم عيد العنصرة سنة 431م, ووفدت الوفود إلى أفسس وبلغ عددهم 200 أسقفاً, إلا أن الوفد الإنطاكي والروماني قد تأخرا عن الوصول لبعد المكان وغزارة الأمطار ستة عشر يوماً, فأرسلوا إلى المجمع رسالة يعتذرون فيها عن تأخرهم ويخبرون بإمكانية وصولهم بعد خمسة أيام, إلا أن كيرلس الإسكندري افتتح المجمع قبل وصول بقية الوفود, وذلك بناء على طلب المجتمعين في أفسس, ودعوا نسطور للحضور فأبى مع أنه كان موجوداً في أفسس, يقول إن أعداءه أكثر من أنصاره, وطلب حضور يوحنا الأنطاكي, وباقي مؤيديه، ووقع معه على هذا الطلب خمسون أسقفاً وستة عشر مطراناً. فحكم عليه بالقطع من الدرجة الأسقفية, واعتبر المجمع رسائل كيرلس الاثنى عشر التي كتبها للرد على نسطور رسائل أرثوذكسية[2] .

قرارات المجمع:

كما بين المجمع عدم إمكانية سن قانون إيمان غير دستور الإيمان النيقاوي القسطنيطيني, وأن لا يزيد فيه أحد ولا ينقص منه شيءٌ وحرم كل من يفعل خلاف ذلك[3] .

ووضع ثماني قوانين لنظام الكنيسة, كان آخرها حفظ الحق على قدم المساواة لكل مطران وعدم جواز السطو على أبروشية الغير. حرم بيلاجيوس المبتدع، وبخصوص نسطور كما قلنا حرم من درجته الأسقفية، وجاء ذلك فيما نصه: "من المجمع المقدس الملتئم في مدينة أفسس, وبموجب مراسيم ملكنا, إلى نسطور يهوذا الثاني: أعلم أنه لأجل تعاليمك النفاقية, عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس, وحكم عليك بأنك مفرز وغريب عن كل خدمة كنسية"[4] .

---

(1) انظر: صابر طعيمة، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، بيروت، عالم الكتاب، ط1، 1985م، ص232.
(2) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص264.
(3) انظر: داود علي الفاضل، أصول المسيحية، ص280.
(4) الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، ص247.

كما قرّر المجمع أن سر التجسد المجيد قائم في اتحاد اللاهوت والناسوت في أقنوم الكلمة الأزلي بدون انفصال ولا امتزاج ولا تغيير، كما قرر المجمع أن السيدة العذراء "والدة الإله"؛ ولكن لم تمت النسطورية بحرم نسطور ولا بموته، وإن كانت قد ضعفت كثيراً، ومازالت بعض النساطرة حتى الآن في بعض الأقاليم خاصة في شمال العراق[1] .

مجيء يوحنا الأنطاكي وأثره:

ووصل يوحنا إلى أفسس فأسف لما حدث في المجمع, وعقد مجمعاً مؤلفاً من نحو 40 أسقفاً, حكم فيه بالقطع على كيرلس لظلمه وعلى سائر الأساقفة الذين قبلوا قرار المجمع دون فحص حتى يجتمعوا ثانيةً ويلغوا ما قرروه, ويحرموا بنود كيرلس الاثنى عشر, وواصل مجمع أفسس انعقاده فدعا يوحنا عدة مرات فلم يحضره, فحكم عليه المجمع بقطعه وقطع الأربعة والثلاثين أسقفاً الذين معه، واحتجّ يوحنا على هذا المجمع وكتب إلى الإمبراطور بذلك، فأمر ببقاء جميع الأساقفة في أفسس ويقررون فيه قرارات جديدة متفق عليها؛ ولكن هذا لم يحصل، وأرسل كل حزب إلى الإمبراطور يؤيد صنيعه ويطعن بحق الآخر, فما كان من الإمبراطور إلا أن خلع كيرلس ونسطور معاً وأوجب الاستمساك بنص الدستور النيقاوي القسطنيطيني, وأمر بالعودة إلى الأوطان.

وبذلك تقرر في هذا المجمع وجود طبيعتين في المسيح, بشرية وإلهية, وأن هاتين الطبيعتين متحدتان من غير اختلاط, وأن مريم تدعى والدة الإله, فهي بحق أم الرب, أو أم الله[2] .

ولم يجعلوا لمقرراتهم شيئاً جديداً يدخل في مجال العقيدة, وإنما جعلوه مقدمة إلى العقيدة ومدخلاً إلى الإيمان, وقد حملت هذه المقدمة ثلاث مقولات عن العذراء والمسيح والثالوث:

- تطويب العذراء: "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة لأنك ولدت لنا مخلّص العالم كله أتى وخلّص نفوسنا ...".
- تمجيد السيد المسيح: "المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل إكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا".
- الثالوث المقدس: "نكرز ونبشر بالثالوث الأقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده. يا رب ارحم يا رب ارحم يا رب بارك, آمين"[3] .

---

(1) تادرس عطية الله، احكي يا تاريخ، ص ص105-107.

(2) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتي، ص265.

(3) محمد جميل غازي وآخرون، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، القاهرة، دار نهر النيل، ط1، 1972م، ص243.ـ انظر: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص154.ـ وراشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، ص ص78-79.

المبحث الرابع
المجمع المسكوني الرابع
(خلقدونية 451م)

يدور هذه المبحث حول المجمع المسكوني الرابع (خلقدونية 451م)، وقبله لابد من الحديث عن مجمع أفسس الثاني 449م.

أولاً: مجمع أفسس الثاني 449م:

سبب انعقاد المجمع:

بدعة أوطاخي:

وهي اختلاط اللاهوت بالناسوت؛ ويعتبر هذا المجمع من المجامع المهمة في تاريخ الكنيسة, حيث كان سبباً رئيسياً من أسباب انشقاق الكنيسة إلى قسمين. لم يقبل أوطاخي حكم المجمع ضده واستغلّ عطف الإمبراطور عليه في مجمع القسطنطينية، حيث احتدم الجدال بين مساندي اللاهوت الإسكندري ومساندي اللاهوت الأنطاكي, بعد إدانة نسطوريوس في المجمع المسكوني الثالث في أفسس سنة 431م، ودعا لعقده بطريرك الإسكندرية (ديسقورس) بأمر الإمبراطور (ثيؤدوسيوس)، وكان سبب انعقاده ظهور (أوطاخي وبدعته 378-454م)* ؛ وبهذا كان متصلاً بالبلاط الإمبراطوري, ويتمتع بمكانة ونفوذ عظيمين، حيث راح يعلم باختلاط طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت في المسيح وتحولهما إلى طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسدة, وعدم تميز اللاهوت من الناسوت بعد هذا الاختلاط, وفي الواقع لم يكن يمثل اللاهوت الإسكندري أو الأنطاكي, إنما غيرته الشديدة ضد النسطورية, ودفاعه عن الإسكندرية, قادته إلى هرطقة أخرى، إذ زاغ بقوله: إن ناسوت المسيح ليس مساوياً لنا ونادى بوجود طبيعتين قبل الاتحاد, وطبيعة واحدة فقط بعده, ولكن على أساس أن الطبيعة الإلهية قد ابتلعت الناسوتية, وفقدت الأخيرة تماماً؛ أي أن الناسوت قد تأله. واعتقاد أوطاخي هذا يعني في اليونانية monophysites (موحدي الطبيعة)، وهذا الاسم من كلمة يونانية تعنى (طبيعة واحدة), توفى البابا كيرلس سنة 444م، وحل البابا ديوسقوروس مكانه، وقد عمل البابا ديوسقوروس منذ توليه على مواصلة مقاومة الفكر النسطوري, وترسيخ عقيدة الطبيعة الواحدة، كما اتضحت وانتشرت وتقررت بجهاد البابا كيرلس ومجمع أفسس سنة 431م، وأول من تصدى لأوطاخي وقاوم تعاليمه ثيؤدوريطس أسقف قورش النسطوري، ولم يكن له حق في ذلك لأنه هو نفسه هرطوقي, ولأن هرطوقي لا يستقيم حكمه ضد هرطوقي آخر, قام البابا ديوسقوروس ضده وكتب بحقه للبطريرك

---

* **كان أوطاخي رئيساً لأحد أديرة القسطنطينية وتحت إدارته أكثر من ثلاثمائة راهب, قاوم أوطاخي نسطوريوس ومشايعيه ببسالة وشكاه لمجمع أفسس حيث ذهب بنفسه ليشهد على ضلاله ,ولهذا كان أصدقاء البابا كيرلس يعتبرونه من المحامين عن الإيمان. كما أنه في سنة 431م تمكن من وضع بوليكاريا أخت ثيؤدوسيوس الثاني في قائمة مؤيدي عقيدة البابا كيرلس. وكان الأب الروحي خريسافيوس الذي منذ سنة441م كان كبير الأمناء عند ثيؤدوسيوس الصغير. القس منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص257.**

الأنطاكي دمنوس الذي هو نفسه كان يرى رأي ثيؤدوريطس ولم تثمر كتابات ديوسقوروس إلى دمنوس بخصوص مقاومة النسطورية, كتب الأنبا ديوسقورس ضد ثيودوريطس للإمبراطور، فمال ثيؤدوسيوس الثاني لجهة البابا ديوسقورس لأنه رأى فيه مجاهداً ضد النسطورية نظير الأنبا كيرلس, وأصدر الإمبراطور أمره بمنع ثيودوريطس عن الخروج من حدود إيبارشيته أو الاشتراك في الإدارة المجمعية[1] .

وكان مجتمع عند فلابيانوس أسقف القسطنطينية حينئذ زهاء ثلاثين أسقفاً وثمانية عشر ارشمندريتاً, فقبل المجتمعون طلب يوسيبيوس وأرسلوا يستدعون أوطاخي الذي بعد أن رفض مرتين, قبل أخيراً وحضر إلى المجمع في الجلسة السابعة يوم 22 نوفمبر سنة 448م بصحبة موظفين من القصر وجمهرة من الرهبان وقوة يرأسها القائد فلورنتيوس، ومن المناقشات لم يكن أوطاخي واضحاً في إجاباته وذلك ليخفي وجهة نظره الرئيسية, وبعد محاولات وفشل جهود لها اعتبارها قام بها فلورينتيوس ورجال الإكليروس المجتمعون ليجعلوا أوطاخي يقبل صيغة الطبيعتين, أدين أوطاخي بالعزل وفقدان درجة الكهنوت[2] .

كتب الإمبراطور رسالة إلى فلابيانوس الذي ردّ عليه برسالة مسهبة في ربيع سنة 449م أظهر فيها بدعة أوطاخى ويبدو أن الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثاني قد حاول خفق هذه الشرارة قبل اندلاعها إلا أن فلابيانوس باندفاعه ضدها أعطاها أهمية كبرى. وقد عمل الإمبراطور على التحقيق في المجمع السابق، فانعقد مجمع آخر في القسطنطينية سنة 449م أيد قرار المجمع السابق, ولأن النزاع لم يحسم في هذا الاجتماع ولاحظ أوطاخى أن أقوال فلابيانوس قد رفضت لمخالفتها لأقوال الآباء القديسين انتهز أوطاخي الفرصة متباكياً أنه حُرِم لأنه يحامي عن أمانة القديسين, وقدم أوطاخي شكواه إلى الإمبراطور الذي أصدر أوامره باجتماع مجمع في مدينة أفسس لحسم هذا الخلاف، وكتب بذلك خطاباً إلى البابا ديوسقورس بتاريخ 30 مارس سنة 449م، ويقال إن البابا ديوسقورس هو الذي اقنع الإمبراطور بالدعوة لعقد هذا المجمع, كما يذكر البعض أنه وقف بجانب أوطاخي؛ إلا أن مصادر الأرثوذكسية تذكر أنه لم يؤيد أوطاخي إلا بعد أن أعلن الأخير تخليه عن آرائه والالتحام بآراء القديس كيرلس الإسكندري غير أن ليون Leon أسقف روما أيد أوطاخي في البداية، فكتب إليه رسالة يثنى فيها على غيرته وإيمانه, كما كتب رسالة أخرى إلى فلابيانوس يطلب فيها العطف على أوطاخي؛ ولكن ثيؤدوريطس تمكن من استمالة ليون إلى بدعة النسطورية، وفى إحدى رسائله إلى فلابيانوس أثبت ليون اعتراضه على أراء أوطاخي، وأرسل في 13 يونيو سنة 449م رسالته العقائدية المشهورة بطومس ليون، أظهر فيها عداءً سافراً لتعليم الطبيعة الواحدة، وقال إن للسيد المسيح طبيعتين متميزتين من بعد الاتحاد؛ ولهذا السبب عدّ طومس ليون الحجر الأساسي لانشقاق الكنيسة[3] .

---

(1) شنودة ماهر اسحق، وملاك إبراهيم يوسف، دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي، القاهرة، الأوفست، ط1، 1999م، ج2، ص39 (بتصرف).

(2) كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص ص157-158.

(3) شنودة ماهر اسحق، دور وعلاقات الكنيسة القبطية، ص41.ـ انظر: شنودة الثالث، موجز تاريخ المسيحية، ب.ط، ب.ت، ص ص293-295 (بتصرف).

الدعوة للمجمع:

قرر الإمبراطور عقد مجمع مسكونى في أفسس ليس لدراسة قضية أوطاخي فحسب, بل لحل المشكلات التي نتجت عن اصطدام مبدأ أوطاخي بمبدأ الاثنينية الذي كان يعتنقه فلابيانوس وغيرهم, وإن كان أوطاخي السبب الأول للمجمع، إلا أن المرسوم الإمبراطوري, إلى جانب التوصية بدراسة قضية أوطاخي قد حدد سببين مهمين هما القضاء على الضلال وتأييد الإيمان الذي قررته المجامع المسكونية السابقة وخاصةً مجمعي نيقية وأفسس؛ وعلى هذا الأساس أصدر ثيؤدوسيوس الثاني بالاتفاق مع والنتينوس إمبراطور الغرب مرسوماً إمبراطورياً بدعوة أساقفة العالم إلى عقد المجمع في أفسس كامتداد لأفسس الأول في سنة 431م وكانت الدعوة موجهة إلى عدد مختار من الاكليروس, أما ثيؤدوريطس أسقف قورش فقد أرسل له الملك بأن حضوره غير مرغوب فيه[1] .

لم يكن ليون أسقف روما وفلابيانوس أسقف القسطنطينية يرغبان في عقد هذا المجمع, وقد أرسل الإمبراطور الدعوة والرسائل الخاصة بالمجمع إلى ليون, أما الأنبا ديوسقورس بطريرك الإسكندرية فقد أرسل له ثلاث رسائل يطلب منه في الأولى أن يحضر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة, ويبادر إلى أفسس ويمنع قبول ثيؤدوريطس أسقف قورش, وفي الثانية يطلب إليه قبول الارشمندريت برسوم ضمن آباء المجمع بصفته نائباً عن جميع للارشمندريتين الشرقيين[2] .

"وفى المرسوم الثالث قال له: اعلم أننا قد أمرنا سابقاً أن ثيؤدوريطس أسقف قورش لا يحضر في المجمع المقدس ... لكونه تجاسر وتكلم في الأمانة بخلاف ما كتب كيرلس السالف ذكره، وإننا نظن بأن بعض أتباع نسطوريوس مجتهدون وقصدهم أن المذكور يحضر من كل بد في المجمع المقدس ... ونجعلك متقدماً ليس فقط فيما يخص ثيؤدوريطس بل وما يخص المجمع المقدس ...؛ وعلى ذلك ففي المرسوم الثالث حول الإمبراطور البابا ديوسقورس حق رئاسة المجمع. وقد أثار تكليف الإمبراطور للبابا ديوسقورس برئاسة المجمع أثار حسد ليون أسقف روما فاحتدمت نار الغيرة والغيظ نحوه ونحو الكرسي الإسكندري بسبب استمرار توليه رئاسة المجامع المسكونية"[3] .

أعمال المجمع وقراراته:

بعد أن دعا ثيؤدوسيوس الثاني إلى انعقاد المجمع, وجّه رسالة خاصة إلى البابا ديوسقورس في 16 أغسطس 449م يسند إليه رئاسة المجمع والمسؤولية العليا في المجمع ويعين معه يوبينياليوس رئيس أساقفة أورشليم وتلاسيوس رئيس أساقفة قيصرية الكادوك, كرئيسين مشاركين ومعاونين له، فاجتمع في أفسس 8 مارس 449م عدد 135 أسقفاً أو أكثر وانعقد في كنيسة الثيؤطوكوس في أفسس, وقد عين الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير مندوبين ليحضروا المجمع نيابة عنه ويحافظوا على

---

(1) عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ص81.
(2) إيزيس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الإسكندرية، ط7، 2000م، ص24.
(3) المصدر السابق، ص20.

النظام وهما الكونت البيديوس, وأولوجيوس, كما حملوا رسالة إلى آبائه بأن يقضوا على النسطورية[1] .

افتتحت الجلسة الأولى للمجمع بقراءة خطاب الإمبراطور المتضمن الدعوة للمجمع، ثم أعلن نواب أسقف روما أنهم يحملون منه رسالة, قبلها رئيس المجمع، ثم قرأت باقي الرسائل الإمبراطورية.

بعد ذلك وافق المجتمعون على استعراض ما جاء بالمجمع وطالبوا بحضور أوطاخى بنفسه، الذي مثل أمام المجمع ودافع عن نفسه وأعلن تمسكه بإيمان الكنيسة الجامعة وتبعيته للآباء أمثال أثناسيوس وكيرلس, وقدم اعترافاً مطولاً بالإيمان مكتوباً بخط يده وموقعاً عليه بإمضائه, وبعد التداول أجمع الأعضاء على تبرئة أوطاخى. وتلى قانون المجمع النيقاوي وتعاليم الآباء، ثم رفع بعض رهبان أوطاخي عريضة إلى المجمع يشكون فيها فلابيانوس أنه منعهم من التناول لمجرد محبتهم لأوطاخي فحلهم المجمع.
أما عن فلابيانوس وبعد محاولات طويلة لإقناعه دون جدوى لم يجد المجمع بداً من حرمه وستة أساقفة معه, بقوا مصرين على تمسكهم بأقوال الهرطقة والمبتدعين.

وبعد أن انتهى الأساقفة من جدول أعمال المجمع وأصدروا أحكامهم وقراراتهم ووقّع الجميع عليها, بعثوا بها إلى الإمبراطور الذي وافق عليها واعتمدها وأصدر أمراً بنفي فلابيانوس وزملائه وطلب إلى البابا ديوسقورس أن يقوم برسامة أسقف على القسطنطينية خلفا لفلابيانوس فرسم أناطوليوس, ورسم مكسيموس أسقفاً على كرسي أنطاكية بدلاً من دمنوس، وفي نهاية الإجراءات أرسل الإمبراطور للبابا ديوسقورس يشكره ويأمره أن يبلغ جميع المطارنة بمنشور باباوي بالنتائج[2] .

والمصادر الخلقيدونية قد ذكرت أن ديوسقورس قد استعمل القوة عند حكمه على هؤلاء, حتى أنهم انكبوا على أفلابيانوس وأشبعوه ضرباً, مما أدى إلى موته بعد ثلاثة أيام، ومن كان يعارض بعد هذا الحكم استولى عليه الرعب، فوقّع على بياض, أما نواب البابا ففروا هاربين, وتم عزل ثيودوريطس القورشي, وإيبا أسقف الرها, وبقت القرارات نافذة المفعول حتى موت الإمبراطور ثيودويوس الثاني 450م بالرغم من الظلم[3] .

ولذلك فإن الكنيسة الكاثوليكية في المجمع التالي تعتقد أن هذا المجمع هو مجمع لصوصي, أما الكنيسة اللاخلقدونية اعترفت بهذا المجمع وأنكرت مجمع خلقدونية التالي له, فهي تنكر كون المجمع لصوصياً بدليل استعمال كل واحد من أعضاء المجمع حريته كاملة, وانعقاد المجمع بطلب الإمبراطور رسمياً, تمثيل جميع الكراسي الرسولية الخمسة, نظر في الأمور بدقة مع أخذ الأصوات قبل الحكم على أحد, جلساته المتعددة للنظر في رسائل الملك وفى محاضر جلسات مجمع القسطنطينية المكاني ضد أوطاخي, وفى مقارنة عقيدة أوطاخى بعقيدة الآباء السابقين والنظر في قضايا النساطرة، وعللت عدم قراءة المجمع لرسائل بابا روما بأنها مخالفة للعقيدة

---

(1) ايريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ص26.
(2) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص223.
(3) ج. قنواتي, ولويس غرديه، ص319.

الأرثوذكسية بالإضافة إلى أنها لهجة نسطورية.

وترى هذه الكنيسة أن هذا المجمع لم يأت بشيء جديد بالنسبة للعقيدة, بل اكتفى بما أثبته مجمع أفسس الأول في قولهم بطبيعة واحدة بعد الاتحاد, مركبة من طبيعتين, وهو قول الآباء الذين أقرتهم المجامع المسكونية السابقة, وخاصة رسائل كيرلس. والجدير بالذكر إن كنيسة روما لم تعترف بقرارات هذا المجمع.

والسؤال هنا: هل هذا المجمع يعد مجمعاً مسكونياً ؟ لا يعد مجمعاً مسكونياً لأنه لم يقر شيئاً جديداً عن المجامع السابقة, رغم أن الأساقفة من مختلف أرجاء المسكونة, وبسبب بدعة جديدة، وبهذا اعتبر مجمع أفسس الثاني مكملاً للسابق.

ثانياً: مجمع خلقدونية عام 451م:

تمهيد:

إن الباحث في تاريخ مجمع خلقدونية يحتاج لكثير من الصبر والأناة ومعرفة التيارات السياسية في ذلك الوقت, لأجل استخلاص الحقائق من بين الصفحات الكثيرة التي كتبت عن ذلك المجمع, خاصة أن مؤرخي الغرب هم الذين عنوا كثيراً بالكتابة عنه, لأنهم يعتبرونه حجر الزاوية الذي تستند إليه كنيستا روما والقسطنطينية, واختلافهم مع كنيسة الإسكندرية, وقد استطاعوا في هذا المجمع أن يمسكوا للمرة الأولى والأخيرة بتلابيب رئيس كنيسة الإسكندرية وأدانوه وحكموا عليه دون محاكمة عندما جلس ديوسقورس على كرسي القديس مرقس خلفاً لكيرلس الكبير, كانت كنيسة الإسكندرية قد بلغت أوج مجدها, وأصبح خليفة القديس مرقس الزعيم الروحي للمسيحية في العالم, الذي تخضع لتعاليمه الكنيسة جمعاء في ذلك الوقت.

يعد مجمع خلقدونية ذي أهمية بالغة؛ لأن فيه بدت حدة الخلاف واضحة بين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين, كذلك انشقت بعده الكنيسة الجامعة إلى خلقدونية ولا خلقدونية, وفيه أيضاً يظهر تدخل الإمبراطور البيزنطي لمساندة أسقف روما والقائلين بالطبيعتين, ولقمع بابا الإسكندرية والقائلين بالطبيعة الواحدة, وفي التفاصيل التي يرويها المؤرخون عن هذا المجمع ما يبين أساليب العنف التي استخدمها مندوبو الإمبراطور والقائلين بالطبيعتين. وفى هذا المجمع اجتهد الأساقفة المقطوعون في إعادة تعاليم نسطوريوس، كما تمخّض عنه نفي البابا ديوسقورس.

سبب انعقاد المجمع:

لم يعقد المجمع إلا بعد وفاة ثيؤدوسيوس الثاني وتولى مركيان وزوجته بوليكاريا الحكم، فانعقد مجمع خلقدونية سنة 451م، وكان جل أعضائه من النسطوريين والغربيين.

لقد عقد مجمع خلقدونية لأجل الثأر من كرسي الإسكندرية عام 451م. وتفاهم أسقفا العاصمتين الرومانيتين على أن يوقفا البابا ديوسقورس أمامهما موقف المتهم تشفياً وانتقاماً من كرسي الإسكندرية الذي علمهم جوهر السيد المسيح وطبيعته بواسطة القديسين أثناسيوس وكيرلس, فلفقوا له التهم وحكموا بعزله غيابياً، وقبضوا عليه ونفوه إلى جزيرة جنجرا أو غنغره ببحر مرمرة[1] .

---

(1) انطونيوس الأنطونى، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، ص43.

وكل هذه العناصر النفسية والسياسية والشخصية قادت الإمبراطور مركيان لكي يدعو للمجمع، ولم يكن أسقف روما أقل ميلاً من الأباطرة إلى هدم نفوذ بابا الإسكندرية الذي مثل الخطر المهدد لروما، فالبابا ديوسقورس كان يرى أنه لا داعي لعقد مجمع جديد, لأن الكنيسة كانت في سلام من جهة الإيمان؛ ولكن ليون أسقف روما أراد في هذا المجمع الجديد أن يدبر مكيدة للتخلص من البابا ديوسقورس، وهذا هو السبب الأساسي لعقد المجمع.

ففي خلقدونية كانت سياسة الدولة تقضي سرعة التخلص من البابا ديوسقورس, وجاء حكم المجمع الإمبراطوري الخلقدوني طبقاً لما تقتضيه سياسة الدولة حيال بابا الإسكندرية للقضاء عليه. فانعقد وانفض دون أن يورث الكنيسة شيئاً, سوى الانقسام والأحزان[1] .

الدعوة للمجمع:

استجاب مركيان لنداء ليون إلى عقد هذا المجمع, ولكنه لم يحقق الرغبة الكاملة لليون الذي قد أشار بعقد هذا المجمع في إيطاليا ففوت عليه الإمبراطور الفرصة إذ أمر بأن يعقد المجمع في نيقية ولكنه ما لبث أن نقله إلى مدينة خلقدونية* لكي يتسنى له الحضور بنفسه.

وقد وجهت الدعوة 23 مايو عام 541م, وذلك بدعوة من مركيان إمبراطور الشرق وفالنتيان إمبراطور الغرب حيث وجه مرسوم الدعوة إلى أساقفة الكراسي الرسولية ومعهم مطارنتهم وأساقفتهم, وكان خطاب الإمبراطور قد عين أول سبتمبر في نيقية كزمان ومكان الاجتماع, ولكن المجمع تم عقده في خلقدونية في أكتوبر ونوفمبر إثر المخاصمات العنيفة حول ما إذا كان الجانب الإنسي من المسيح متميزاً, وله حقيقة وفاعلية بعد حلول الكلمة الإلهية فيه[2] .

مكان المجمع:

القسطنطينية: الكثير من المصادر تؤكد أن الأساقفة تجمّعوا في القسطنطينية أولاً, ليقوموا منها إلى نيقية في الموعد المعين.

نيقية: صدر أمر الملك بعقد المجمع في مدينة نيقية التي عقد بها المجمع الأول, وبعث برسائل الدعوة إلى كل الأساقفة, وحددت نيقية بالذات لكي يتشبه بقسطنطين الكبير, كما يبدو أن ازدياد عدد أساقفة هذا المجمع عن المجامع السابقة راجع إلى اختيار نيقية التي أكسبها المجمع المسكوني الأول شهرة خاصة.

خلقدونية أخيراً: صدر الأمر إلى أكثر من 500 أسقف الذين وفدوا على مدينة نيقية بالرحيل إلى خلقدونية ليعقد بها المجمع؛ أما سبب نقل المجمع: فهناك من يقول بسبب الظروف الصحية وأن الأساقفة مرض بعضهم وكانوا محتاجين إلى المعالجة, وهناك من يقول إنه بسبب حدوث زلزال عنيف في نيقية, أو أن هناك سبباً قوياً وهو أن

---

[1] كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص189.

*** الواقعة على البوسفور قبالة القسطنطينية.**

[2] عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ص97.

قبائل الهون كانت تهدد حدود الإمبراطورية, وأن الإمبراطور كان لا يمكنه مغادرة عاصمته[1] .

وكان هذا المجمع قد عقد أولاً في القسطنطينية، ثم انتقل إلى خلقدونية في آسيا الصغرى, ولبى الدعوة ما بين 350 أو 360 أسقف وحضروا إلى خلقدونية في كنيسة أوفيميا, وكان من بين الحضور نواب البابا والبطريرك القسطنيطيني والإنطاكي والأورشليمي والإسكندري ديوسقوروس مع أساقفته, وعلى الرغم من كثرة عدد الحضور لهذا المجمع فإنه بجانب المبعوثين الرومانيين الأربعة, جاء أسقفان فقط من الغرب وهما أسقفان أفريقيان تمكنا من مغادرة بلادهما قبل أن تغزوها قبائل البربر فاستطاعا أن يحضرا المجمع, وقد حرص الإمبراطور مركيان وزوجته على حضور المجمع ومعهما رهط من أفراد حاشيتهما وكثير من الضباط والجنود بملابسهم الرسمية, كما حضر تسعة عشر قاضياً اختيروا لإدارة جلسات المجمع, والإشراف عليه وحفظ النظام فكانوا بمنزلة مجلس وزراء[2] .

رئاسة المجمع:

أما عن رئاسة المجمع فمن الثابت تاريخياً أن الإمبراطور لم يقدم أياً من الأساقفة ليكون رئيساً للمجمع "حسب العادة"؛ أما الغربيون فيقولون بأن نواب الأسقف الروماني هم الذين رأسوا المجمع حسب طلبه؛ ولكن الراجح أن القضاة التسعة عشر هم الذين رأسوا المجمع باسم الإمبراطور؛ أما النائبون عن ليون فإنهم اكتفوا بالرئاسة بأنهم جلسوا على منصات أعلى من التي جلس عليها رجال الدين. ويبدوا أن الإمبراطور كان يود أن يحتفظ لنفسه برئاسة المجمع في حالة عدم حضور أسقف روما شخصياً؛ وذلك من قوله: "... فأنا أقوم مقامك لرئاسة المجمع"[3] ؛ ولكنه انتخب تسعة عشر عضواً من كبار المملكة ليترأسوا المجمع نيابة عنه وكانوا من القضاة وأعضاء مجلس الشيوخ، ولأول مرة في تاريخ المجامع المسكونية يدير أعضاء السناتو دفة مناقشات مجمع ديني كبير, كأنهم رؤساء روحانيون, وهناك من يقول بأن أربعة من الأساقفة الخمسة الذين أطلق عليهم لقب بطاركة قد رأسوا الجلسات بالتناوب مع القضاة المدنيين, أي باستبعاد الأنبا ديوسقورس[4] .

أعمال المجمع وقراراته:

تجمع المشاركون في القسطنطينية حيث جرت بعض المفاوضات والمداولات التي حضرها الإمبراطور والبابا ديوسقورس قبل الانتقال بالمجمع ثم اجتمعوا في نيقية وحضر عدد كبير من الأساقفة النسطوريين الصادر ضدهم قرار حرمان مما آثار دهشة البابا ديوسقورس كما دهش من كثرة المجتمعين فتساءل عن الداعي لعقد المجمع الهائل إذ أن الإيمان لا ينقصه شيء, فقيل له أن الإمبراطور يهدف إلى توضيح الإيمان, قال في جرأته المعهودة: "إن الإيمان لفي غاية الكمال لا يعوزه شيء من الإيضاح, وهو مقرر ومثبت من الآباء أمثال الأنبا أثناسيوس والأنبا كيرلس

---

(1) عطا الله أرسانيوس المحرقي، الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، القاهرة، ب.ط، ب.ت، ج1، ص496.

(2) المصدر السابق، ص496.

(3) شنودة ماهر اسحق، دور وعلاقات الكنيسة القبطية، ص86.

(4) كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص ص193-194.

وغيرهما", فقيل له: "لقد مضى الأولون وأصبح كل شيء جديدا", فرد قائلاً: "وأنا لا أنسخ ما وضعه الأولون"[1] .

وبعد ما انتهى ديوسقورس من خطابه صاح الغالبية: "نحن على إيمان ديوسقورس, أمانة ديوسقورس هي المستقيمة". وقد أثار هذا التأييد غضب الإمبراطور مركيان الذي لم يجد بداً من أن يرفع الجلسة إلى موعد آخر.

عقد الإمبراطور اجتماعاً في القصر دعا إليه الأنبا ديوسقورس بطريرك الإسكندرية, وأناطوليوس القسطنطيني, ومكسيموس الأنطاكي, ويوبيناليوس أسقف أورشليم, ومرقس أسقف أفسس, وثلاثة من الأساقفة الصادر ضدهم قرار حرمان, وقد حاول المجتمعون التأثير على البابا الإسكندري بالاستجابة لرأى الإمبراطور ورفع قرار الحرمان عن الأساقفة وقبول رسالة ليون, ولكنه رفض، فأخذت الإمبراطورة تذكره بما حدث ليوحنا ذهبي الفم على يد والدتها, وأنه سيكون مثله, فرد عليها البابا رداً حاسماً, فصفعته على وجهه فانقلع له ضرسان وتناولته أيدي الرجال الذين أوسعوه ضرباً موجعاً, وأمعنوا في السخرية منه والهزء به, حتى أنهم نتفوا شعر لحيته, فأخذ ضرسيه وشعره وأرسلهما لأبنائه في مصر قائلاً: "هذا ثمر جهادي"، وأوصاهم بالصمود في مواجهة الهرطقة. فطلبوا من الإمبراطور أن يمنحهم الحرية في أعمالهم ليخرجوا البابا ديوسقورس من المجمع, واقترحوا عليه عقد المجمع في مكان آخر على أن لا يناقشوا البابا ديوسقورس في أمور العقيدة[2] .

وهكذا صدرت الأوامر الإمبراطورية بعقد المجمع في مدينة خلقدونية, في الفترة ما بين 8 أكتوبر وأول نوفمبر سنة 451م, وقد بلغ عدد جلساته ست عشرة جلسة أهمها الخمس الأولى, حيث تم في الجلستين الأولى والثالثة بحث ما يتعلق بالبابا ديوسقورس والحكم عليه وفى الثانية والرابعة والخامسة تم على حسب ما يقال من وجهة النظر الخلقدونية بحث مسألة الإيمان, أما الجلسات الأخرى فقد خصصت للأمور الشخصية والتي تقل أهمية عن الأمور السابقة, وكان البابا ديوسقورس في المجمع منذ البداية في موضع المحاكمة[3] .

وأوضح البابا الإسكندري في الجلسة الأولى أنه لا يهتم بالأشخاص بل بالإيمان الرسولي وأن تمسك أوطاخي بما يخالف إيمان الكنيسة فيدان "وإذا أنكر أوطاخي الإيمان الأرثوذكسي مسجلاً بخط يديه وظل عن تعاليم الكنيسة ليس فقط سأحكم عليه بالحرمان لكنى سأقول إنه يجب أن يحرق أيضاً؛ وفيما يخص عدم قراءة رسالة ليون في مجمع أفسس الثاني قال: "إنى أمرت بقراءتها مرتين لا مرة واحدة"؛ ثم قال: "وجهوا هذا السؤال إلى من كان جالساً معي من الأساقفة" يقصد الذين شاركوه رئاسة المجمع وهما يوبيناليوس أسقف أورشليم وتلاسيوس أسقف قيصرية.

عقدت الجلسة الثانية 10 أكتوبر سنة 451م ولم يحضرها البابا ديوسقورس وسائر المتهمين معه في اعتناق بدعة أوطاخي حسبما أعلن القضاة عن نية عزلهم في

---

(1) شنودة ماهر اسحق، دور وعلاقات الكنيسة القبطية، ص89.

(2) كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص299.

(3) شنودة ماهر اسحق، دور وعلاقات الكنيسة القبطية، ص94.

الجلسة الأولى؛ إذ ظلوا خارج المجمع بالقوة بواسطة الجنود وحبسوا في مكان ووضع عليهم الحراس.

عقدت الجلسة الثالثة النفاقية في 13 أكتوبر قبل الموعد المحدد بيومين كاملين مما جعلها قاصرة على الأساقفة الشرقيين ومندوبي أسقف روما. أما أساقفة مصر والقضاة المدنيين لم يحضروها كما لم يحضرها الستة المتهمون[1] .

وقد جاء الحكم الذي أصدره المجمع هكذا: "المجمع المسكوني الكبير المقدس الذي بعناية الله وبموجب مرسوم إمبراطورينا المحبوبين من الله قد التأم في خلقدونية بيثينية في مقام الشهيدة القديسة العظيمة أوفيمية إلى ديوسقورس, أننا نبلغك أنه في 13 من شهر مايو قد خلعت من الأسقفية وصرت غريباً عن الكهنوت الكنسي بأمر المجمع المسكوني المقدس لعدم مراعاتك القوانين الإلهية وعصيانك على هذا المجمع المسكوني المقدس, ولأسباب أخرى من جرائم تبين أنك ارتكبتها، زد على ذلك أن هذا المجمع قد دعاك ثلاث مرات من قبل لتدافع عما اتهمت به حسب القوانين الإلهية ولم تحضر"[2] .

عقدت الجلسة الرابعة في 17 أكتوبر في كنيسة القديسة أوفيمية حيث احتشد المجمع بهيئته الرسمية وبحضور القضاة المدنيين. وكان فاتحة الجلسة اعتراض مندوبي الحكومة على عزل البابا غيابياً وبدون تصديق الإمبراطورة. وقد أعلن القضاة سخطهم قائلين: "أما أنتم فتعطون جواباً لله عن الأنبا ديوسقورس الذي عزلتموه بغياب الرئيس التقى (القيصر) وبغيابنا نحن أيضا"[3] .

ما هي الأسباب التي دعت إلى عزل البابا ديسقورس في مجمع خلقدونية؟

لقد وجهت إليه التهم الآتية:

1- عزل فلابيانوس.
2- تبرئة أوطاخي.
3- حرم تومس.
4- رفض قبول طومس ليون[4] .

وفى الجلسة الخامسة في 22 أكتوبر في المكان نفسه، وحسب اقتراح الإمبراطور مركيان، تشكلت لجنة جديدة من الأساقفة لإعادة بحث الموضوع, وكانت نتيجة مداولاتهم تتفق مع إرادة الإمبراطور بتأييد مندوبي روما والرؤساء العلمانيين للمجمع ولذلك انعقد لها النصر.

قرارات المجمع:

ثم طلب الإمبراطور صيغة وجيزة عن العقيدة, لتبيين صحة الإيمان عند الأساقفة, فوضعوا له تعاليم الكنيسة الصحيحة في المسيح: "إنا نعلم أن المسيح ابن الله

---

[1] القمص كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، ص197.
[2] شنودة ماهر اسحق، دور وعلاقات الكنيسة القبطية، ص98.
[3] المصدر السابق، ص99.
[4] تادرس عطية الله، احكي يا تاريخ، ص112.

الوحيد, هو رب واحد في طبيعتين بدون امتزاج ولا تغير "إزاء المونوفيزية"* وبدون تقسيم وتفريق "إزاء النساطرة**" ودون أن يلغى هذا الاتحاد تمايز الطبيعتين, ومع بقاء خواص كل من الطبيعتين على حالها"[1] ، وفي هذا المجمع قرر صورة للاعتراف يتلخص "بأن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية أو ناسوتية, وأنهما متحدتان في شخصه, ولكن دون أن تصبحا طبيعة واحدة مركبة وأن للمسيح أقنوماً واحداً لكلتا الطبيعتين"[2] .

وهذه هي العقيدة الكاثوليكية أو الملكانية التي تمثل رأي الكنيسة الغربية، وقد أطلق على هذا المجمع اسم الملكاني, بسبب حضور الملك لهذا الملتقى الديني, وتسمي الكنيسة الكاثوليكية أحياناً بكنيسة الروم؛ لأن مركزها حالياً في مدينة روما في دولة الفاتكان, كما لها انتشار واسع في كثير من دول العالم[3] .

وأصرت مصر على الإيمان بدعوة ديسقورس وكانت النتيجة انشطار الكنيسة على ذاتها وظهور كنيسة الأرثوذكس والأقباط على مبدأ الإيمان بالطبيعة الواحدة, الذين عرفوا فيما بعد (باليعاقبة) في مصر والحبشة نسبة إلى يعقوب البراذعي الذي أعاد الفرقة ورتبها في القرن السادس الميلادي بعد أن كادت تتلاشي[4] .

وقد صدق الإمبراطور مرقيانوس على قرارات هذا المجمع, كما يحمل الأمر بنفي البابا ديوسقورس إلى جزيرة غنغرا, وظل هناك 5 سنوات كرز فيها بين الوثنيين والنساطرة وربح نفوس لملكوت السموات, وتمت على يده معجزات شفاء، وأذن لبقية الأساقفة بالعودة إلى بلادهم, وقد صحب البابا الإسكندري في منفاه اثنان من أساقفته, كما صحبه بطرس رئيس الشمامسة وسكرتيره وكاتب سيرته. وكانت مصاحبتهم بمحض اختيارهم. ومنع أتباع أوطيخا من إقامة الحفلات الدينية, وبذلك نرى أن مجمع خلقدونية قد أدى إلى انقسام الكنيسة الشرقية إلى قسمين, قسم يرى أنه لا مسكونية لمجمع أفسس الأول عام 431م, والمجمع الأفسسي الثاني التابع له عام 449م, وأن ذلك حاصل بسبب نشوب الخلاف الشديد في مجمع خلقدونية 451م[5] .

أما الفئة الثانية فهي لا تعترف بالمجمع الأفسسي الثاني وتعتبره لصوصياً, وتعتبر مجمع خلقدونية هو المجمع المسكوني الرابع, كما تأخذ بالمجامع المسكونية الثلاثة التي انعقدت بعده, وتسمى بالكنيسة الخلقدونية[6] .

*** المونوفيزية (المونوفيسايت): هي الكنيسة القائلة بأحادية الطبيعة الإلهية للمسيح monophsite.**

**** الناسطرة: فئة تقول: إن الابن متساوي مع الأب في الذات والجوهر. عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ص96.**

(1) ج. قنواتي, لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ص320.

(2) محمد الحسني إسماعيل، الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان، ص259.

(3) يحيى خليفة حسين، قبس من التراث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1990م، ص34.

(4) داود علي الفاضل، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص282.

(5) الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، ص303.

(6) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص360.- وانظر: علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص112.- سعدون محمود الساموك، مقارنة الأديان، ص132.- ايريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ص ص38-69.

مجمع خلقدونية باطل في نظر الكنيسة الأرثوذكسية ... لماذا؟

1- الحكم صدر في جلسة سرية غير قانونية وفى غير موعدها.
2- عدم حضور الأساقفة الأرثوذكس ولا القضاة ولا نواب الملك.
3- صدور الحكم غيابياً رغم وجود المدعى عليه محدداً أقامته قريباً من مقر الجلسة.
4- صدور الحكم تحت ضغط وتهديد الأسقف ليون المؤيد من الإمبراطورة.
5- لم يشر الحكم ضد القديس إلى أي اتهام سوى رفض الدعوة لحضور المجمع ثلاث مرات وهى المسألة الوحيدة التي تجيز الحكم على الأساقفة بالقطع[1] .

[1] تادرس عطية الله، احكي يا تاريخ، ص112.- انظر التفاصيل: عطا الله ارسانيوس المحرقي، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، ج1، ص ص496-534.

المبحث الخامس
المجامع المسكونية بعد خلقدونية

1- المجمع القسطنطيني سنة 553م:

لم ينته أمر مذهب الطبيعة الواحدة (اللاخلقدونية) بحكم مجمع خلقدونية عليهم, بل وأكثر من ذلك, حيث سعى الأباطرة لاسترضاء من قال بالطبيعة الواحدة في مصر وسورية لكثرة عددهم وضعف هيبة السلطة, وفي5 ديسمبر - 2 يناير عام 553م, أقنع الإمبراطور يوستيالوس بأن انضمام أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة إلى الكنيسة الخلقدونية سهل متى رفضت وحرمت الفصول الثلاثة*[1] ، هذا وقد كان مجمع خلقدونية قد برأ هؤلاء الثلاثة (ثيودوروس، ثيودريطس، إيبا), واعتبرهم أرثوذكساً, وكان غاية من أقنع الإمبراطور بحرم الفصول الثلاثة هو الطعن في المجمع الخلقدوني الذي قبلهم ولم يحرم مؤلفاتهم.

وطلب الإمبراطور إلى جميع الأساقفة في الشرق والغرب أن يوافقوه على حرم هذه المصنفات, فوافقه البعض ورفض البعض. فرأى الإمبراطور أن يضع حداً للنزاع حول الفصول الثلاثة, فدعا إلى مجمع مسكوني في القسطنطينية, واختلفت الروايات في عدد الأساقفة, فذكر البعض أنهم 148 أسقفاً, وبعضهم حدده بـ(165) أسقفاً, لبحث مسألة تناسخ الأرواح, وقرر المجمع فساد هذه العقيدة وبطلانها, وأكدوا أن القيامة حق, والبعث حق, والحساب حق, والجزاء حق, كما قرروا حرمان أولئك الذين نادوا بتناسخ الأرواح[2] . وبابا رومية (فيجيليوس) لم يحضر المجمع ولم يرسل نواباً, بل قدم إلى الإمبراطور رسالة استعرض فيها موقفه من الفصول الثلاثة, وامتنع عن حرم ثيودوروس بحجة أنه توفي في حضن الكنيسة الجامعة, كما امتنع عن نبذ ثيودريطس لأن المجمع المسكوني الرابع قد استمع إليهما وبرأهما من النسطرة, إلا أن الإمبراطور رفض الوثيقة البابوية مدعياً أنها عديمة الجدوى[3] .

وأقر المجمع ما قررته المجامع المسكونية السابقة, ورفض كل ما رفضته, أما قضية الفصول الثلاثة, فقد أجمع الأعضاء المجتمعون في المجمع على نبذ جميع مصنفات ثيودوروس, واستنكار موقف ثيودريطس من مجمع أفسس الأول وبنود (كيرلس), وأبانوا بوضوح كفر إيبا وإلحاده في رسالته التي دافع فيها عن نسطور. وقطع المجمع بابا رومية من درجته الأسقفية لعدم موافقته على قرارات المجمع إلا أن البابا قبل قرارات المجمع أخيراً, وأعلن البابا الجديد لرومية (بيلاجوس) قبوله للمجمع رسميا وذلك عام 555م.

*** مؤلفات ثيودوروس أحد معلمي نسطور، وكتابات ثيودريطس أسقف قورش ضد كيرلس، ورسالة إيبا الرهاوي في دفاعه عن نسطور.**

(1) منير شكري، قراءات في تاريخ الكنيسة المصرية، الإسكندرية، مطبوعات جمعية مارمينا، ط1، 1993م، ص482.

(2) صابر طعيمة، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ص232.- انظر: إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص32.

(3) إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص30.

اعتبر الإمبراطور قرارات هذا المجمع ملزمة, فأكره الأساقفة على قبولها, ونفى من لم يخضع لهذا, وأهم شيء نلاحظه في هذا المجمع هو مناقضته لقرارات مجمع خلقدونية, حيث حرم مؤلفات من برأهم مجمع خلقدونية, وتبعية هذه المجامع لآراء الأباطرة وأهواء المؤيدين لهم[1] .

2- المجمع القسطنطيني الثالث سنة 681م:

انعقد هذا المجمع رداً على بدعة ظهرت في كنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة للمسيح (الكنيسة اللاخلقيدونية), فقد قال أصحاب هذا المذهب بطبيعة واحدة للمسيح مركبة من طبيعتين إلهية وبشرية, ومشيئة واحدة مركبة من مشيئتين, مشيئة إلهية ومشيئة بشرية, وفعل واحد مركب من فعلين إلهي وبشري, وحدث نزاع بين اللاخلقدونية وبين الخلقدونيين وعلى رأسهم الأسقف يوحنا مارون بسوريا الذي يقول إن يسوع ذو طبيعتين, طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية وهو ذو مشيئة واحدة! مشيئة إلهية, مما جعل الإمبراطور قسطنطين الرابع يجمع مجمعاً مسكونياً في القسطنطينية في 7 يونيو - 16 أبريل عام 680م, وحضره 170 أسقفاً, ورواية أخرى تقول حضره 289 أسقفاً[2] .

إلا أن السوريين تمسكوا بدعوة يوحنا مارون وانفصلوا عن الكنيسة الأم منشئين كنيسة الموارنة بالشام على أساس المشيئة الإلهية الواحدة[3] .

وقد صدق هذا المجمع على أعمال المجامع السابقة وعلى دستور الإيمان بلا زيادة ولا نقصان, وأقر معتقد المشيئتين والفعلين المتحدين في المسيح دون اختلاط ولا تجزؤ ... كما حرم المجمع معتقد المشيئة الواحدة المركبة والفعل الواحد المركب.

لقد رفض هذه القرارات بطريرك أنطاكية, فحكم عليه المجمع بالنفي والخلع من منصبه, وفي الختام حدد المجمع التعليم الأرثوذكسي بشأن الإرادتين والفعلين في المسيح في اعتراف إيمان: "بمسيح وابن ورب وحيد هو نفسه بطبيعتين وأقنوم وشخص واحد, وبمشيئتين وطبيعتين وفعلين طبيعيين بلا انقسام ولا تغير ولا تجزؤ ولا اختلاط ..."[4] .

3- المجمع النيقاوي الثاني سنة 787م:

انعقد المجمع للرد على فئة ظهرت وحاربت الإيقونات, ويرى الأرثوذكس أن احترام الإيقونات إنما هو احترام للأشخاص المصورين على الإيقونات لا احترام للإيقونات ذاتها, ويعبر عن احترام الإيقونات بالورع والسجود والصلاة للشخص المصور على الإيقونة "القديسين" فالسجود للشخص لا للإيقونة* .

---

(1) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، ص365 (بتصرف).
(2) داود علي الفاضل، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص285.
(3) صابر طعيمة، الإسفار المقدسة قبل الإسلام، ص232.
(4) لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتي، ص261.
*** الإيقونة: لفظ يوناني معناه الصورة أو الرسم, وهو مستعمل في الاصطلاحات الدينية للإشارة إلى صور القديسين.**

وكـان رأي المعارضـين يـتلخص فـي أن السـجود للإيقونـة قريـب مـن عبـادة الأوثـان, ولـذلك أخـذوا علـى أنفسـهم محاربـة الإيقونـات بكل الوسـائل, وأخـذت السلطة المدنية على عاتقها إزالة الإيقونات.

إلا أن الحال تغير في عام 780م, حيث تسلمت زمام الأمور (إيرينا) نيابة عن ابنها القاصر قسطنطين الرابع, فأعلنت ذاتها من مؤيدي إكرام الإيقونات, ودعا إلى مجمع مسكوني في القسطنطينية عام 786م, إلا أن الحرس الإمبراطوري المؤلف من جنود قسطنطين (الإمبراطور السابق) لم يريدوا أن يعاد تكريم الإيقونات, فاندفعوا شاهرين سلاحهم في وجوه الآباء فانفض المجمع بذلك[1] .

وفي السنة التالية 787م عاد الآباء للاجتماع في نيقية, فتألف المجمع من 377 أسقفاً, وكان في المجمع أساقفة مضادين لإكرام الإيقونات إلا أنهم كانوا أقل من المعاضدين لإكرام الإيقونات[2] .

وأقر المجمع احترام الإيقونات وتقديس الصور الخاصة بالمسيح والقديسين ووضعها في الكنائس والأبنية المقدسة والبيوت والطرقات, لأن النظر إلى ربنا يسوع المسيح ووالدته والقديسين يشعرنا بالميل إلى التفكير فيهم, وكتب اعتراف إيمان مناصر لإكرام الإيقونات فحدد بذلك الموقف الأرثوذكسي من الإيقونات بإكرامها والسجود لها احتراماً للذين صوروا عليها لا عبادة لها؛ لأن العبادة إنما تجب لله وحده ونجد في هذا المجمع تخلي بطريرك القسطنطينية عن كرسيه لأنه من أعداء تكريم الإيقونات, وأقيم مكانه بحسب رغبة (إيرينا) رجل علماني اسمه طراسي وهو من مؤيدي الإيقونات, وطراسي هو رئيس المجمع وهو الذي عرض على الأساقفة المعارضين لإكرام الإيقونات "بأنهم إذا كانوا يتوبون ويقبلون بإكرام الإيقونات فيبقون في درجاتهم الكهنوتية, وبعد هذا العرض وافق الأساقفة المعارضين على إكرام الإيقونات, ووقّعوا بإمضائهم على رفض محاربة الإيقونات ..."[3] .

4- مجمع القسطنطينية سنة 869م (المجمع الشرقي اليوناني):

نادي الأسقف "فوسيوس" أسقف القسطنطينية بأن الروح القدس منبثق من الأب فقط, فانعقد في مدينة القسطنطينية في عام 869م مجمع مسكوني عالمي لمناقشة هذه المسألة وقرر: أن الروح القدس منبثق من الأب والابن (وليس من الأب فقط)، كما قرر المجمع حرمان فوسيوس ونفيه من البلاد.

ولم تمض عشر سنوات حتى استعاد الأسقف فوسيوس أسقف القسطنطينية مكانته, فانعقد مجمع القسطنطينية عام 879م, وأصدر قرارات ببطلان قرارات المجمع السابق المنعقد في القسطنطينية عام 869م، وقرر المجمع: أن الروح القدس منبثق من الأب فقط.

ونتج عن هذين المجمعين انقسام الكنيسة إلى:

---

(1) انظر: داود علي الفاضل، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص285.
(2) نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي، سوسنة سليمان، ص ص115-119.
(3) لينه الحمصي، المسيحية دين واحد وشرائع شتي، ص263.

- كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الأرثوذكسية أو الشرقية (وهي تؤمن بأن الروح القدس منبثق من الأب فقط).
- الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية وتسمى أيضاً بالكنيسة البطرسية الرسولية, حيث يعتقدون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول "وهي الكنيسة التي تؤمن بأن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً"[1] ...

ويتضح مما سبق في عرض المجامع النتائج الآتية:

- أن البابا معصوم بوصفه خليفة المسيح, وأن حضور الأسقف في التعميد أو الزواج أو الوفاة هو حضور المسيح ذاته.
- أن التثليث وألوهية المسيح قرره مجمع نيقية سنة 325م أي بعد حوالي 300 عام من رفع المسيح υ.
- وأن السيدة العذراء مريم البتول تقرر أنها أم الإله في مجمع أفسس سنة 431م.
- أي أن المسيح وأمه العذراء مريم لم يعلنا أبداً أنهما إلهان من دون الله ولكن هذه المزاعم قررتها المجامع المذكورة.
- كما حددت المجامع الشكل النهائي للكتاب المقدس والخطيئة الأولى وتوريثها إلى ذرية آدم وصلب المسيح كلها قد تحددت بالتصويت.
- كما تقرر في تلك المجامع أن الكنيسة تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.

---

[1] محمد الحسيني إسماعيل، الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان، ص ص262-263.ـ انظر: صابر طعيمة، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ص232.ـ بتصرف: إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص35.ـ وداود علي الفاضل، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص286.

تعليق ختامي على الفصل الثاني

ومن خلال هذا الاستعراض لبعض المجامع النصرانية وقراراتها يتبين لنا ما يلي:

- أن النصارى لا يملكون أدلة صحيحة صريحة في أكثر دعاويهم لهذا اختلفوا تلك الاختلافات الخطيرة التي تمس جميع نواحي العقيدة لديهم.
- أن ما يستند إليه النصارى ويتحمسون له لا يعدو أن يكون فهماً خاصاً يسعى أصحابه لتثبيته عن طريق تلك المجامع, ولا يخلو الأمر من الأهواء والأغراض الخاصة من حب الرئاسة وفرض السيطرة.
- أن المجامع لم تكن يوماً من الأيام هيئات شورية في الكنيسة, والناظر إلى تلك المجامع خاصة التي بحثت في العقيدة يجد أنها تنتهي ولم يتفق المجتمعون على الأمور التي بحثت, فيكون هناك جبر وموافقة قسرية على قول من تلك الأقوال أو إذا لم يمكن الجبر والقسر يحدث الانقسام بأن تذهب كل مجموعة بقولها الذي جاءت به كما يتضح من دراسة تلك المجامع. وهذا يتنافى مع كونها هيئات شورية؛ إلا أن يقال أنها هيئات شورية إلزامية. تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس.
- أن تلك المجامع كانت أداة بيد الأباطرة الرومان يسخرونها لرغباتهم في التوسع والسيطرة أو تحقيق أغراض سياسية.
- أن تلك المجامع كانت من أعظم أسباب الفرقة وتثبيتها في العالم النصراني, بحيث أنهم لم يخرجوا في واحد منها متفقين, بل كلما اجتمعوا في مجمع من تلك المجامع يزداد اختلافهم وبالتالي انقسامهم.
- أن المجامع صاغت العقيدة وقررتها بعد خلاف طويل وهذا يدل على أن العقيدة النصرانية في الإله وفى المسيح ليس لدلالتها من الوضوح ما يكفى لجعلها مسلمات.
- أن المجامع قررت قرارات ولعنت وحرمت من لم يقل بها, وقررت أن سبيل النجاة هو اعتقاد تلك الأقوال.
- أن المجامع قد صاغت العقيدة النصرانية بكل تفاصيلها, وذلك يدل على أن تلك العقيدة بتفاصيلها بشرية لم ينزلها الله Y على المسيح υ.
- أن المجامع النصرانية هي المصدر الحقيقي للديانة النصرانية المحرفة, لأن تلك المفاهيم التي كانت تقرر وتصدر وفقها القرارات لم تكن تعتمد على نصوص قطعية واضحة, بل أحياناً كانت تعتمد على نصوص متشابهة وكلام محتمل لأكثر من معنى ويكون من أقلها احتمالاً المفهوم الذي تدعيه الكنيسة, كما في دعوى ألوهية المسيح υ.

وأحيانا كانت لا تعتمد على أي نصوص موجودة لديهم وهي الأكثر, بل يكون تركيباً ذهنياً وهمياً, أو تصوراً خاطئاً بني على تصور خاطئ, كما في قراراتهم المتعلقة بألوهية الروح القدس, وطبيعة المسيح, وتقديس الصور والتماثيل, وعصمة البابا ... إلخ.

الفصل الثالث
الفرق والمذاهب عند المسيحيين

M

المبحث الأول : المذاهب المسيحية قبل خلقدونية.
المبحث الثـاني: المذاهب المسيحية بعد خلقدونية.
المبحث الثـالث: انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية.
** تعليق ختامي على الفصل الثالث.

:M

من خلال ما تقدم من كلام حول المجامع وأثرها في المسيحية, يتبين لنا أن المسيحية قد أتى عليها فترة من الزمن وكان التوحيد هو السائد بين معتنقيها، ومرت المسيحية بأطوار عديدة, فتعددت فرقهم تبعاً لتطور اعتقادهم وما طرأ عليها من تبديل وتحريف, واختلاف حول طبيعة المسيح υ, فاندثر منها ما اندثر وباد منها ما باد حتى وصلت إلى شكلها الحالي.

ولم تظهر كنيسة شرقية وأخرى غربية إلا نتيجة لانقسام الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية؛ فأسباب تقسيم الكنيسة كانت في الأصل سياسية وليست دينية؛ ولعل أفضل ما يوضح ذلك أن الكنيسة الأشورية عندما انتقلت إلى الإمبراطورية الفارسية في أقصى الشرق نظرت إلى أي كنيسة مجاورة تقع على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية على أنها كنيسة غربية بالنسبة لها، ومن هنا جاءت التسميات: الكنيسة السريانية الشرقية, الكنيسة السريانية الغربية, فهي تسميات خضعت في البداية للمواقع الجغرافية للإمبراطوريات التي نشأت فيها هذه الكنائس, قبل أن تأخذ أنواع الثقافات المختلفة, وأحداث التاريخ المتتابعة دورها البارز في وضع فوارق واضحة بين ما هو غربي وما هو شرقي طبقاً للقانون السادس لمجمع نيقية المسكونى 325م, توزعت الكنيسة الجامعة على ثلاث أسقفيات هي الإسكندرية وروما وأنطاكية, لأنه حتى ذلك التاريخ لم تكن كنيسة القسطنطينية قد عرفت بعد, لأن الإمبراطور قسطنطين بدأ في تشييد مدينة روما الجديدة سنة 324م في بيزنطة القديمة باليونان على تصميم روما القديمة نفسه، وبعد انفضاض مجمع خلقدونية، رفضت أغلب الكنائس الرسولية كالإسكندرية وأورشليم وفلسطين قبول قراراته، واعتبرته مجمعاً زائفاً لابتداعه تعليماً غريباً، ومناداته بطبيعتين في السيد المسيح بعد الاتحاد، وهكذا أصبح المجمع الخلقدوني بداية لانقسام الكنيسة الجامعة إلى شطرين: الكنائس اللاخلقدونية، وهي التي تضم أتباع البابا ديوسيقورس، والكنائس الخلقدونية، وهي التي تجمع من قبلوا قرارات مجمع خلقدونية وأمنوا عليها.

المبحث الأول
المذاهب المسيحية قبل خلقدونية

وبعد ما يزيد عن نصف قرن, حيث كانت مدينة القسطنطينية قد صارت عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية, ولقبت بروما الجديدة, تمييزاً لها عن روما القديمة عاصمة الإمبراطورية الغربية وهذا التقسيم السياسي على المستوى الديني, ولِمَ لا، وقد صار الإمبراطور المسيحي هو نائب الإله على الأرض؟ ومتدخلاً في شؤون الكنيسة, ونصب نفسه حامياً لها, حتى لو كان ذلك باستخدام السيف ففي مجمع القسطنطينية المسكوني سنة 381م، وطبقاً لقانونه الثالث, أصبح العالم المسيحي ينقسم إلى: العالم المسيحي الغربي وعاصمته روما، والعالم المسيحي الشرقي وعاصمته القسطنطينية.

فأصبح العالم المسيحي ينقسم إلى أربع أسقفيات هي: روما, القسطنطينية, الإسكندرية وأنطاكية، وكان أسقف القسطنطينية قبل ذلك التاريخ تابعاً أو خاضعاً لايبارشية هيراقليا Heraclea؛ وعلى الرغم من أن هذا القانون الثالث قد رفضه أساقفة الكراسي الشرقية, ورفضه كرسي روما أيضاً, لأن أسبابه كانت سياسية بحتة ولا علاقة لها بالأمور الدينية لا من قريب أو بعيد, إلا أنه تثبت في قوانين المجامع التالية، أما الكرسي الأورشليمي* فقد استرد مجده في القرن الرابع أخذ يترقى بسبب اعتبار المسيحيين للأماكن المقدسة، ولهذا في القانون السابع من القوانين التي أصدرها مجمع نيقية وُضع الكرسي الأورشليمي في الدرجة الثانية[1] .

ففي مجمع خلقدونية سنة 451م وفى قانونه الثامن والعشرين تحررت أورشليم من سلطة قيصرية الكبادوك, وأعطيت المرتبة الخامسة بين الكراسي الكبرى؛ وهكذا أنشئ النظام الذي عرف فيما بعد باسم الرئاسة الخماسية pehtarchie فأصبح النظام البطريركى الخماسي يتضمن بطريركيات (روما، قسطنطينية، الإسكندرية، أنطاكية، أورشليم)، بعد أن أعطي لقب بطريرك لكل أسقف من أساقفة هذه المدن الخمس؛ ولكن هذا النظام البطريركي الخماسي القديم, قد طرأ عليه تطورات كثيرة عبر التاريخ.

تقلص العالم المسيحي لأول مرة في جزئه الشرقي, بانفصال الكنيسة النسطورية Nestorian charch أي الكنيسة الأشورية, عن بطريركية أنطاكية في منتصف القرن الخامس الميلادي, فانعزلت الكنيسة النسطورية وانضمت تحت حكم الإمبراطورية الفارسية, واتخذت من إيران والعراق مقراً لها مبتعدة عن الإمبراطورية الرومانية برمتها, وعرفت هذه الكنيسة باسم السريانية الشرقية تمييزاً لها عن الكنيسة السريانية الغربية، أي كنيسة أنطاكية.

وما هي إلا بضع سنين حتى كان مجمع خلقدونية سنة 451م, الذي شطر الكنيسة الأرثوذكسية إلى قسمين, إذ لم تعترف بطريركيتا الإسكندرية وأنطاكية, وما يتبعها من كنائس بعقيدة الطبيعتين في السيد المسيح, التي نادى بها هذا المجمع.

*** سقطت أورشليم في يد الفرس سنة 614م.**

[1] منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص207.

وبعد حين انضمت كنيسة أرمينيا, ثم كنيسة إثيوبيا التي تتبع بطريركية الإسكندرية, ثم كنيسة الهند التي تتبع بطريركية أنطاكية, إلى جانب كنيستي الإسكندرية وأنطاكية, فأصبحت خمس كنائس هي: القبطية, الإثيوبية, السريانية, الهندية, الأرمينية, ونظراً لعوامل تاريخية متداخلة, تكونت كنيسة أرمينية أرثوذكسية مستقلة مقرها أنتلياس في لبنان، ودعيت مجموعة هذه الكنائس التي لم تقبل مقررات مجمع خلقدونية باسم الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة؛ أما اسمها التقليدي فهو "الكنائس الأرثوذكسية اللاخلقيدونية".

وجدير بالذكر في عرضنا للفصل الثاني عن المجامع المسكونية, تمخض عنها الفرق المسيحية الموجودة حالياً، وهي الكاثوليكية, والأرثوذكسية, والبروتستانتية, يعتقدون بما يسمى (قانون الإيمان المسيحي), الذي صدر عن مجمع نيقية عام 325م, مع الإضافات التي أدخلت عليه في مجمع القسطنطينية عام 381م, وأيضاً بعض الزيادات ألحقت بالقانون الإيمان في مجمع أفسس الأول عام 431م, كما بينا في الفصل السابق.

يمتد تاريخ الخلاف إلى 15 قرناً من الزمان, وكان لب الخلاف فيه هو التعبير عن طبيعة السيد المسيح, وكيفية تفسير ماهية العلاقة بين ما هو إلهي وما هو إنساني فيه، والعجيب حقاً أن المسيح نفسه هو محور الخلاف.

وبعد مضي 1500 سنة من الخلاف وما جره من معاناة وأهوال اكتشفت الكنيسة الأرثوذكسية أنها على نفس الإيمان الواحد فيما يختص بطبيعة السيد المسيح؛ ولكن بتعبيرات مختلفة, وأصبحت المشكلة الحقيقية الآن التي تقف حائلاً دون تحقيق الوحدة ليس في تحديد مفهوم واحد مشترك, إنما في تخطى العقبات والنتائج التي ترتبت على هذا الخلاف الذي دام قروناً عديدة، فالسبب طول زمان الخلاف صارت العقبة ليس في أسباب الخلاف في حد ذاته بل في نتائجه.

ولما كانت المجامع المسكونية هي في الواقع الواضع الحقيقي للدين المسيحي في صورته الراهنة, وأول مجمع وضع أسس العقيدة المسيحية هو مجمع نيقية سنة 325م, فسنأخذ من هذا التاريخ فاصلاً بين عهدين في تاريخ الفرق.

فرق كانت قبله أو خرجت عليه, لكنها حوربت وطورد أصحابها حتى الموت, لأنها كانت تقول في المسيح قولاً قريباً من الحق, مثل:

- أصحاب بولس الشمشاطي, وكان بطريرك بأنطاكية قبل ظهور المسيحية, ثم اعتنق المسيحية, وكان يذهب قريباً مما ذهب إليه أريوس فيما بعد من أن عيسى عبد الله ورسوله, نبي كأحد الأنبياء, خلقه الله في بطن أمه من غير ذكر, فهو إنسان كسائر البشر.
- أصحاب أريوس الذي كان قسيساً بالإسكندرية في عهد قسطنطين الأول أوائل القرن الرابع الميلادي تقريباً عندما ظهر مقاوماً فكرة لألوهية المسيح, التي كانت تنادى بها كنيسة الإسكندرية, وإنه عبد مخلوق لله, مما أدى إلى عقد مجمع نيقية, والذي كانت الأغلبية فيه تعتنق عقيدة التوحيد.
- وأصحاب مقدونيوس وكان بطريريك في القسطنطينية بعد ظهور المسيحية في

عهد قسطنطين الثاني, وهو يقول أن عيسى عبد مخلوق, إنسان نبي, أرسله الله لهداية بني إسرائيل, وهو الروح القدس وكلمة الله, والروح والكلمة مخلوقان.

وكل هذه الفرق وما يماثلها قد اندثر, ومن يؤمن بمثل قولهم لا يعد من المسيحيين؛ لأن العقيدة قد استقرت على اعتقاد التثليث أو ألوهية عيسى؛ وهذه العقيدة يدين بها كل المسيحيين منذ مجمع نيقية سنة 325م, وحتى اليوم، واختلاف الفرق وتعددها الآن يدور حول أمور جدلية في طبيعة المسيح.

وإذا ألقينا نظرة إلى تواريخ هذه المجامع نلاحظ أنها تقع كلها ماعدا المجمعين الأخيرين فيما عرفه تاريخ الكنيسة "بقرن الآباء الأعظم" إنما يبتدئ هذا القرن في 313م سنة براءة ميلانو، التي أعلن بها الإمبراطور قسطنطين حرية المعتقد في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية, وينتهي بزوال هذه الإمبراطورية في الغرب سنة 461م، وهى السنة التي كانت الخاتمة للعصور المسيحية القديمة؛ ففي هذه الفترة حدد الأساقفة المجتمعون تحت رئاسة بابا روما في المجامع المذكورة آنفاً, العقيدة المسيحية المتعلقة بسر الدين المسيحي أي الثالوث الأقدس وسر التجسد, ولم يكن ما حدث بعد ذلك من تغيرات وتوضيحات دينية عقدية إلا تطبيقاً فرعياً للأصول التي وضعها الآباء قبل تلك السنة 461م[1] .

اليهودية ـ المسيحية:

إن مجموعة التلاميذ الصغيرة التي بقيت بعد المسيح كونت طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد, وتحفظ تعاليمها, وكانت عندما ينضم إليها وثنيون أو من غير العبرانيين تقترح عليهم نظاماً يحلهم بموجبه مجمع القدس 49م؛ من شرط الختان ومن تطبيق الأركان اليهودية.

رفض كثير من اليهود ـ المسيحيين هذا التنازل, وانفصلوا عن بولس، بل أكثر من هذا, فقط اصطدم بولس مع اليهود ـ المسيحيين بسبب الذين دخلوا المسيحية من غير اليهود فالختان ومراعاة السبت وديانة المعبد, كانت أموراً بالية عند بولس.

أما اليهود ـ المسيحيون الذين ظلوا يهوداً مخلصين فقد اعتبروا بولس خائناً وتصفه وثائق يهودية ـ مسيحية بالعدو وتتهمه بالرياء, وكانت اليهودية ـ المسيحية تمثل حتى العام 70م غالبية الكنيسة, وكان بولس معزولاً في ذلك الوقت وكان رئيس الجماعة يومئذ يعقوب أخ الرب، وكان معه في البداية بطرس, ثم يوحنا، ويمكن اعتبار يعقوب عمود اليهودية ـ المسيحية الذي ظل ملتزماً خط اليهودية في مواجهة المسيحية البوليسية، وكانت أسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة في هذه الكنيسة اليهودية ـ المسيحية بالقدس، وقد خلف يعقوب على هذه الكنيسة سمعان ابن كاليوبا ابن عم يسوع.

لم تكن اليهودية ـ المسيحية سائدة في القدس وفلسطين وحدها طوال القرن الأول المسيحي, بل انتشرت في كل مكان قبل الدعوة البوليسية، كان اليهود ـ المسيحيين هم

---

[1] ج. قنواتي، لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، ص277.

الأعداء الذين قابلهم بولس في غلاطية وكورنثوس وكولوس وروما وإنطاكية، وأول تبشير بالإنجيل في إفريقيا كان يهودياً ـ مسيحياً.

وتحررت هذه الفرقة تدريجياً من روابط اليهودية، ولم يعد لهم وجود فعلي؛ ولكن يمكن اقتفاء آثارهم ابتداء من القرن الثالث إلى القرن الرابع في الشرق، وخاصة في فلسطين والجزيرة العربية وما وراء الأردن وسورية وما بين النهرين، وقد امتص الإسلام بعضهم وتحالف بعضهم مع الأرثوذكس، وهناك شيء منهم مازال متشبثاً بالكنيستين الإثيوبية والكلدانية[1] .

الأبيونية:

تحت عنوان اليهودية ـ المسيحية وهما قسمان: أولهما تعتبر يسوع مجرد إنسان عادي بلغ إلى مرتبة الصلاح ولد من مريم وزوجها مثل أي مولود، كما تتمسك بأحكام الشريعة، وهذه الجماعة لم تكن تؤمن بالخلاص بواسطة المسيح.

والثانية تؤمن بأن المسيح ولد من عذراء والروح القدس لكنهم لم يؤمنوا بأن له وجوداً سابقاً، وهو بالتالي ليس إلهاً, وليس هو الكلمة والحكمة، يتمسكون بحرفية الشريعة, ويرفضون رسائل بولس ويعتبرونه مرتداً عن الشريعة، والإنجيل الذي يعتمدونه هو إنجيل العبرانيين، يراعون السبت وبقية الطقوس اليهودية, لكنهم يحتفلون بقيامة المسيح من بين الأموات[2] .

النصارى:

الاسم مستمد من مكان اسمه الناصرة؛ وهم ظلوا يهوداً بصفة عامة لأنهم يعتقدون بالعهدين القديم والجديد، وهم لا يرفضون الشريعة والأنبياء والنصوص التي يسميها اليهود الكتاب المقدس، ولا شيء يفرقهم عن اليهود إلا إنهم يؤمنون بالمسيح وبقيامة الموتى وأن كل شيء أصله عند الله, يؤمنون بالإله الواحد وبابنه يسوع المسيح.

والخلاصة إن فرقة النصارى مسيحيون ويزيدون عليهم أنهم يتمسكون بالشريعة الموسوية ويراعون السبت وطقس الختان[3] .

الدوكيتية* :

نفت هذه الطائفة البشرية عن المسيح وأكدوا على طبيعته الإلهية؛ تعلموا في مدرسة أفلاطون, وتعودوا على سمو فكرة العقل, وهذا ما عدهم لفهم انبثاق الألوهية, الذي قد يأخذ شكلاً خارجياً ومظاهر مرئية لكائن فان، وزعموا أن عيوب المادة تتنافى

---

(1) نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص76 (بتصرف).
(2) نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص77.
(3) المصدر السابق، ص78 (بتصرف).
*** اخترع أصحاب هذا المذهب تلك الفرضية التي تقول: إن السيد المسيح بدلاً من أن يولد من رحم العذراء نزل على ضفاف نهر الأردن في هيئة إنسان كامل. نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص79.**

وطهارة الجوهر السماوي، فيما ظل دم المسيح يسيل فوق جبل الجلجثة** .

اخترع أصحاب هذا المذهب بأن المسيح بدلاً من أن يولد من رحم العذراء, نزل على ضفاف الأردن في هيئة إنسان كامل, وأدركته حواس أعدائه وتلاميذه, وأن أعوان بيلاطس بددوا غضبهم على شبح هوائي الذي بدأ وكأنه مات على الصليب, وبعد ثلاثة أيام قام من بين الموتى[1] .

المرقيونية :

تنسب هذه النحلة إلى مرقيون أحد أبرز مسيحي القرن الثاني الميلادي الذين حاولوا التوفيق بين الغنوصية والمسيحية, وكانت وراء تعجيل الكنيسة في إقرار الأناجيل الأربعة, وتثبيت المعتقد المسيحي الرسمي في صيغته النهائية.

يعتبر مرقيون أكثر الغنوصيين إيماناً بالمسيحية، فالخلاص عنده يأتي بالإيمان عن طريق يسوع المسيح بالذات, ابن الله العلي, لا ابن يهوذا.

ينطلق مرقيون في تفكيره من مبدأ الفصل التام بين مسيحية مستقلة عن التوراة تقوم على إنجيل وعلى رسائل بولس الرسول، ذلك أن بولس في رأي مرقيون هو الذي فهم الإنجيل حق الفهم من دون بقية الرسل, بعد أن تجلى له المسيح على طريق دمشق, وأوكل إليه مهمة التبشير بالإنجيل الحقيقي, فعارض منذ البداية المسيحية اليهودية التي كان بطرس وزملاؤه يدعون إليها.

يرى مرقيون إن العالم المليء بالشرور، هو من صنع الإله يهوه، وهو الذي خلق الإنسان وفرض عليه الشريعة التي كانت بمثابة لعنة، ولكن يهوه ليس الإله الأعلى على الرغم إن جهله جعله يعتقد بوحدانيته، فلم يعلم بوجود قوة عظمى تتمثل في الله الخفي الأب الأعلى إله المحبة، ولقد شعر الأب بالشفقة نحو الإنسان فأرسل ابنه المسيح في هيئة يسوع المسيح ليخلص البشرية, ورآه الناس فجأة بينهم, وهو يعلم ويبشر بملكوت الروح, فظنه بعض اليهود المسيح المنتظر, ونظراً لجهل يهوه بقيمة المخلص دفع إلى الصلب, وهو لا يدرى أن عمله هذا سوف يجلب عليه سوء المصير؛ لأن ابن الله قد حرر بموته الناس من سلطة يهوه ومن لعنة الناموس[2] .

الأريانية:

كان أريوس* يقول: "إن الله واحد فرد غير مولود, لا يشاركه شيء في ذاته تعالى فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله ومشيئته؛ أما "الكلمة" فهو وسط بين الله والعالم، كان ولم يكن زمان لكنه غير أزلي ولا قديم، بل كانت مدة لم يكن فيها "الكلمة" موجوداً "فالكلمة" مخلوق, بل إنه مصنوع وإذا قيل إنه

** الذي تفسيره موضع جمجمة.

(1) بتصرف: نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص78.

(2) أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، مج1، ص254.

* أريوس ولد في سنة 256م وتوفى 336م, كان ليبي الأصل, وأخذ العلم عن لوقيانوس الأنطاكي, وفى أوائل القرن الرابع في مصر حيث سيم كاهناً وأخذ بمذهب التبني وكفره من أجلها مجمع عقد في الإسكندرية فلجأ إلى فلسطين وألف كتاب عنوانه "المائدة" بأسلوب نثر وشعر, وكان مجمع نيقية المسكوني قد كفره وطالب بنفيه, لكن الإمبراطور أمر بعودته في سنة 330م ونفي القديس أثناسيوس الذي رفض أن يوافق على هذه التبرئة, ثم أخذ أريوس يستعد للرجوع إلى القسطنطينية منتصراً سنة 336م؛ وإذ به يفاجأ بالموت. عدد من المؤلفين، موسوعة الأديان، ص13.

"مولود" فبمعنى أن الله "تبناه"، ويؤدى ذلك إلى أن "الكلمة" غير معصوم طبعاً, ولكن استقامته حفظته من كل خطأ وزلل، فهو دون الله مقاماً, ولو كان معجزة الأكوان خلقاً بلغ الكمال ما يستحيل معه خلق شيء أكمل منه رتبةً وحالاً بكلمة واحدة, ليس في المسيح لاهوت, بل هو إنسان محض مهما كان عظيماً"[1] .

ومذهب أريوس يقوم في أساسه على إنكار اللاهوت في المسيح وتصوره إنساناً محضاً مهما كان عظيماً, لذلك أجمع الآباء في نيقية على تكفيره, والاعتراف بأن المسيح إله وأنه متساو مع الأب في الذات والجوهر, وأخذ أحد أصدقاء أريوس، وهو "أوزيبيوس النيقوميذى" بعد أن استمال عطف الإمبراطور قسطنطين وضم حوله أساقفة سورية وآسيا الصغرى, وانقسم هؤلاء إلى فئتين الغلاة والمعتدلة: فئة الغلاة رفضوا الاعتراف إن المسيح إلهاً رفضاً باتاً, وإنه ليس كلمة الله بل إنه ليس شبيهاً به تعالى. فئة المعتدلة بدلوا لفظ المتساوي في الذات والجوهر بلفظة هميوسيوس** , أي المتشابه في الذات والجوهر, ومن ثم تحولوا إلى أن الكلمة شبيه بالأب فقط[2] .

والإمبراطور قسطنطين راعى مجمع نيقية الذي طرد أريوس من الكنيسة, وكان ميالاً إليه وظل كذلك إلى نهاية حياته؛ ولما خلفه على العرش ابنه قسطنطيوس أعلن نفسه أريوسياً؛ ومع مجيء العام 360م, حلت الأريوسية محل المسيحية الرومانية، وعلى الرغم من دحض الأريوسية مرة أخرى في مجمع القسطنطينية عام 381م ظلت هذه العقيدة تنتشر وتكسب أنصاراً حتى القرن الخامس كانت كل أسقفية في العالم المسيحي أريوسية أو شاغرة[3] .

وقال أريوس: القديم هو الله, والمسيح هو المخلوق, اجتمعت البطاركة في القسطنطينية بمحضر ملكهم واتفقوا على هذه الكلمة اعتقاداً ودعوة، وهي: "نؤمن بالله الواحد الأب ...".

السابليانية أو الوجهية:

قال هؤلاء إن الله واحد بالطبيعة الأقنوم* , فهو أب أو ابن أو روح قدس تبعاً لظهور صفاته المختلفة, وليست الأقانيم في الأساس إلا وجوهاً, عليها نتصور الله من خلال أفعاله، ولقد عرف هذا المذهب بالفردانية الوجهية وأنصاره بالوجهيين، كانوا يقولون إن الأب تألم في صورة الابن لدى موته على الصليب؛ لأنهم تصوروا الأب والابن شيئاً واحداً بالذات والأقنوم، وآخر من ظهر منهم وهو سابليوس ومن هنا جاءت تسميتهم بالسابليانية[4] .

---

[1] ج. قنواتي, لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، ص287.

** **الغلاة بالفظة اليونانية "انوميوس" أي نفاه التشبيه؛ المعتدلة باللفظة اليونانية "هميوسيوس" أي مثبتي التشبيه.**

[2] ج. قنواتي، ولويس غردية، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، ص288.

[3] نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص84.

* **الأقنوم: الأصل، وجمعها أقانيم، مختار القاموس، ص25.**

[4] نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص90.

وقد ظهرت عدة فرق كانت تحاول أن تخرج من بطش الدولة التي تحمي التثليث وتأليه المسيح, ومن هذه الفرق المشهورة كما يقول ابن حزم ثلاث فرق: النسطورية, الملكانية, اليعقوبية.

نسطور* والنسطورية:

قال نسطور: إن هناك أقنوماً وطبيعة, فأقنوم الألوهية من الأب, ونسبة الألوهية تكون إلى الأب.

قال نسطور: "إن مريم لم تلد إلهاً؛ لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً, ولأن المخلوق لا يلد الخالق, فمريم ولدت إنساناً, وعلى هذا مريم لا تسمى والدة الإله, بل والدة المسيح الإنسان"[1] .

وطبيعة المسيح وهو مولود من مريم, ومريم أم الإنسان, وليس بأم الله, والمسيح الذي ظهر بين الناس متحد بالمحبة مع الاب وهذا ما ذهب إليه نسطور, هو أن المسيح لم يكن إلهاً في حد ذاته, بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو ملهم من الله.

الله واحد ذو ثلاثة أقانيم، الوجود, والعلم, والحياة, واتحدت الكلمة بجسد عيسى υ، فالإله واحد بالجوهر ويعني بالحياة والعلم أقنومين جوهرين مبدأين للعالم, وفسر العلم بالنطق والكلمة، وأن الله موجود حياً, ناطق, وزعموا أن الابن لم يزل متولداً من الأب, وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد فهو إله وإنسان اتحدا وهما جوهران أقنومان وطبيعتان, جوهر قديم وجوهر محدث, إله تام وإنسان تام, والصلب وقع من حيث الناسوت لا من جهة اللاهوت[2] .

وهذا مخالف لبقية الأساقفة, وعلى الخصوص أسقف روما وبطريرك الإسكندرية القائلين بألوهية المسيح, وهذا سبب في لعنه وطرده, فعزل من منصبه ومنع من نشر آرائه ونفي إلى صحراء مصر، وهناك مات سنة 451م, وله كتاب بعنوان "هرقليدس الدمشقي"، من خلاله استطاع المؤرخون أن يطلعوا على مذهب الرجل في تفاصيله.

ونسطور أخذ من ثيودوروس المصيصي الذي يقول: "إن الإنسان وحده هو يسوع ولا يسعنا أن ننسب إلى هذا الإنسان أعمال الكلمة وصفاتها, أما مريم فليست أم الله إلا بالمعنى المجازي, كما أن يسوع ليس ابن الله إلا بالنعمى فقط, والذي ولد زمان ليس ابن الله بل هو ابن الإنسان داوود"[3] .

وأكد نسطور على أن للمسيح طبيعتين متباينتين كاملتين تحتفظ كل منهما بخواصها وملكاتها التي تتحرك وتعمل. وهذه الفرقة انقرضت؛ لأن المجامع حرمت نسطور وكان ذلك في مجمع أفسس الأول عام 431م, ولكن أحياها من بعده بزمان

*** نسطور الحكيم: ولد في بلدة تسمى اليوم (مراش) من أعمال تركيا, وتوفي 451م، ودرس في أنطاكية واشتهر بمواعظه، فاختاره الإمبراطور أسقفاً على القسطنطينية سنة 428م. عدد من المؤلفين، موسوعة الأديان، ص474.**

(1) يوسف حامد الشين، الأديان السماوية بين العقل والنقل، بنغازي، جامعة قاريونس، ط1، 2002م، ص299.

(2) الشهرستاني، الملل والنحل، ص187.

(3) ج. قنواتي، ولويس غردية، فلسفة الفكر الديني، ج2، ص303.

(برصوما) مطران نصيبين, ثبتها في الشرق, ولذلك تكاثرت النسطورية في العراق والموصل والجزيرة[1] .

وزعمت النسطورية أن الصلب والقتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من لاهوته, أي الذي صلب الإنسان لا الإله[2] .

ومن النسطورية قوم يقال لهم المصلين, قالوا في المسيح مثل ما قال نسطور, إلا إنهم قالوا: إذا اجتهد الرجل في العبادة, وترك التغذي باللحم والدسم, ورفض الشهوات الحيوانية والنفسانية, تصفى جوهره حتى يبلغ ملكوت السماوات ويرى الله جهرة, وينكشف له ما في الغيب فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء[3] .

الملكانية:

الملكانية في القرن الخامس الميلادي؛ وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها, وهى مذهب جميع ملوك النصارى, ورأي هذه الفرقة في طبيعة المسيح أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وترعرعت بناسوته, ويعنون بالكلمة أقنوم العلم, وبروح القدس أقنوم الحياة فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن[4] . "وقالوا: إن لله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء: أب وابن وروح قدس كلها لم تزل وأن عيسى υ إله تام وإنسان تام كله ليس أحداهما غير الآخر, وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معاً شيء واحد ابن الله"[5] .

ومن هذا نفهم إن الملكانية تقول إن المسيح ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية وبذلك أطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله وعلى المسيح, وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم, وأثبتوا التثليث, وقالوا: "إنك أنت الابن الوحيد, أي إنك ابن الله حقاً"[6] .

وقد انتشر المذهب الكاثوليكي "الملكانى" في بدايته في بعض دول الشرق العربي, كمصر وسوريا وفلسطين.

ونستشهد على ذلك من الإنجيل ـ على بنوة الله للسيد المسيح ـ بقول المسيح للحواريين: "وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم, وصلوا لأجل الذين يسيؤن إليكم ويطردونكم, لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات, فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين, ويمطر على الأبرار والظالمين ... فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل"[7] .

---

(1) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص143.

(2) سعدون محمود الساموك، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، الأردن، دار وائل للنشر، ط1، 2006م، ص204.

(3) أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، مج1، ص225.

(4) الشهرستاني، الملل والنحل، مج1، ص ص185-186.

(5) منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مج1، ص258.

(6) أبى الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، مج1، ص222.

(7) متى 5: 43-46.

وقال: "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات"[1] .

الفرقة المريمية "المريميون"* :

فاعتبروا مريم ملكة السماء أو إلهة السماء بدلاً من الزهرة، وهم يقولون إن عيسى وأمه إلهان "وهذه الفرقة قد بادت". ونجد أثر هذه الفرقة في مجمع أفسس 431م الذي قرر تقديس مريم[2] .

---

[1] متى 6: 1-2.

*** هذه الفرقة ظهرت في القرن الخامس الميلادي وكان أصحابها ممن كانوا وثنيين, واعتنقوا المسيحية وحاولوا التقريب بين ما كانوا يعبدون والعقيدة الجديدة**

[2] صابر طعيمة، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ص234.

المبحث الثاني
المذاهب المسيحية بعد خلقدونية

المونوفزية:

هو مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح, وصاحبه هو أوطيخا أو أوتيخيس, ولد سنة 378م، وعين سنة 408م رئيساً على دير عظيم في القسطنطينية يشتمل على 300 راهب, وفى سنة 441م استلم الحكم الإمبراطور كريزاف, ووقف أوتيخيس شاهداً على معموديته مما جعل له مكانة كبيرة عند الإمبراطور, وتمسك بصيغ كيرلس العقدية وينعت بالهرطقة كل من لا يتبعه، وجر نتيجة عناده أمام المحكمة الدينية العليا في القسطنطينية, التي رأسها فلافيانوس, فطرحوا عليه سؤالين: هل المسيح بشر؟ وهل هو في طبيعتين؟ فأجاب الأول بالنفي والثاني إنه كان قبل التجسد طبيعتان ولم يبق إلا طبيعة واحدة بعد ذلك, فكفر وخلع وحرم، وكان في السبعين من عمره, وتمكن أوتيخيس من رفض الحكم الذي أصدر عليه, وكتب إلى البابا في روما وجعله ديوسقورس الإسكندري خلف القديس كيرلس في حمايته, أما الإمبراطور كريزاف فأوعز إليه أن يطالب بعقد مجمع مسكوني في أفسس, وكان ذلك المجمع ولكن في خلقدونية[1] .

والذي ضبط المنوفيزية المعتدلة في سورية بصيغتها النهائية, كما أخذ بها من عرفوا باليعاقبة فيما بعد, هوسفيروس الأنطاكي الذي اعتلى سدة بطريركية أنطاكية 512 إلى 518م[2] .

اليعاقبة:

هم أصحاب يعقوب البراذعي, قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده, بل هو هو, وزعم أكثر اليعاقبة أن المسيح جوهر واحد, إلا أنه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين, فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث وهو إنسان كله وإله كله, وقالوا إن مريم ولدت إلهاً والقتل وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، قالوا ولو وقع على إحداهما لبطل الاتحاد[3] .

وهذا المذهب أول من أعلنه بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي, أما يعقوب البراذعي فهو من أنشط الدعاة لهذا المذهب, ولذلك سمي باسمه، وقد عاش البراذعي في القرن السادس الميلادي.

---

[1] ج. قنواتي، لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني، ج2، ص318.
[2] نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية، ص94.
[3] أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، مج1، ص227.

والكنيسة الأرثوذكسية مؤيدة لهذه الفرقة اليعقوبية وهى تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم, أقنوم الأب والابن والروح القدس, وأن الابن متجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ومن الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة[1] .

الأقباط:

بعد مجمع خلقدونية بدأ الخلاف بين المسيحيين حول طبيعة المسيح υ, ونشأت فرق وطوائف كثيرة, وتشكلت هذه الآراء في البداية على شكل آراء فردية لبعض رجال الكنيسة سرعان ما تحولت إلى مذاهب واتجاهات, ومن الملاحظ أن مجمع خلقدونية كان بداية الانقسام بين المسيحيين, وظهرت فرقة في مصر، والتي صارت تسمى الأقباط، وهم الذين يقولون إن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان, وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت, وقد أعلن ذلك بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي.

وبسبب ذلك الإعلان انعقد مجمع خلقدونية, وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة, وبسبب ذلك انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية, الذين يقولون إن المسيح ذو طبيعة واحدة "وكلمة طبيعة واحدة التي تمسكت بها الكنائس اللاخلقيدونية, بمعنى أقنوم واحد أو شخص واحد لكلمة الله بعد أن تجسد, ونظروا لهذه العبارة على أنها مساوية في المعنى لآية الإنجيل والكلمة صار جسداً. لقد كانت كلمة physis التي تترجم عادة طبيعة وكلمة hypostasis التي تترجم عادة أقنوم تستخدمان قديماً بنفس المعنى الواحد أحياناً, لذلك فأن خطأ نسطور أنه ادعى أن المسيح طبيعتان, بمعنى أقنومين أو شخصين, لذلك فإن الكلمة التي استخدمها القديس كيرلس للرد عليه كلمة physis بمعنى أقنوم أو شخص؛ أي أن المسيح من بعد اتحاد الطبيعتين البشرية والإلهية, هو شخص واحد, وأقنوم واحد"[2] .

وينقسمون إلى قسمين آسيويين وإفريقيين, ولكل رئاسة دينية خاصة به, فرئيس الآسيويين هو بطريرك السريان, ورئيس الإفريقيين هو بطريرك القبط المقيم في القاهرة ويتبعه في هذه الرئاسة سكان الحبشة المسيحيين.

أما اتحاد طبيعتي المسيح لفظاً وفعلاً فقد تنادي بهذا الرأي الكنيسة القبطية والسريانية والأرمينية وجميع أتباعها من الكنائس الأرثوذكس, وتطلق عليه تعبيراً آخر، وهو "وجود طبيعة واحدة للكلمة المتجسد".

وإثبات صحة هذه العقيدة بالنسبة للأرثوذكس يتضح مما يأتي:

أ - من الكتاب المقدس.
ب- من أقوال بعض الآباء.
ج - من دفع اتهام الكنيسة القبطية بأنها تتبع بدعة أوطاخى.

---

(1) انظر: حمدي عبد العال، الملة والنحلة في اليهودية المسيحية الإسلام، ص112.
(2) مؤلف مجهول، الكنائس الشرقية وأوطانها، القاهرة، مكتبة المنار، ط1، 2000م، ج1، ص60.- انظر: سليم نجيب، الأقباط عبر التاريخ، مصر، دار الخيال، ط1، 2001م، ص ص43-51.

نطق السيد المسيح بالآية الآتية: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"[1] . المتحدث هو الناسوت والحديث يدل على الأزلية التي هي من صفات اللاهوت وفى ذكر كلمة أنا دليل على وجود الطبيعة الواحدة في الكلمة المتجسد.

وورد عن المسيح قوله: "أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتا, وها أنا حي إلى أبد الآبدين"[2] .

ومثل هذه النصوص وغيرها التي تقول بلفظ الابن لا يمكن أن تفصل اللاهوت عن الناسوت ولا الناسوت عن اللاهوت؛ لأن المقصود هنا من الامتزاج والاختلاط هو الابن الكلمة المتجسد.

واتهمت الكنيسة القبطية بأنها تتبع بدعة أوطاخي التي تقول بامتزاج ناسوت المسيح وتلاشيه في لاهوته وبوقوع الألم على اللاهوت وبعد استدعائه للمثول أمام المجمع, كان لمحاكمته على بدعته هذه, وقد أظهر أثناءها الندم واعترف بخطئه وأقر بصحة العقيدة الأرثوذكسية في قوله: "إني أعتقد بعقيدة الآباء القديسين, وألعن كل من يقسم المسيح الواحد إلى طبيعتين أو جوهرين أو أقنومين بعد الاتحاد؛ ثم أندم على قولي واعترافي الذي تظاهرت به في القسطنطينية. وأسجد لطبيعة واحدة هي لاهوت الابن الوحيد المستأنس"[3] .

إن بعض باباوات الإسكندرية الذين خلفوا البابا ديوسقورس أمثال البابوين بطرس منغوس في القرن الخامس وثيؤدوسيوس في القرن السادس, قد حرموا من يعتقد ببدعة أوطاخي.

المارونية:

هم أتباع يوحنا مارون, سنة 667م، شايعه بعض القسيسين في رأيه, ومعهم بعض مسيحي آسيا, واشتهر يوحنا هذا برأيه وهو أن المسيح ذو طبيعتين, ولكنه ذو إرادة واحدة, ومن أجل ذلك اجتمع مجمع القسطنطينية سنة 680م, وقرر حرمان مارون, ولعنه وتكفيره وكل من يذهب مذهبه[4] .

ودعاة هذا المذهب لم تكن لهم شوكة قوية؛ لذلك نزلت بهم اضطهادات شديدة, ولجأوا إلى بعض المناطق في جبل لبنان, فاعتصموا بها واستمروا على عقائدهم حتى قربتهم إليها كنيسة روما, وأعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والاتحاد معها, على أن يبقوا على رأيهم[5] .

---

(1) إنجيل يوحنا 8: 58-59.
(2) رؤيا يوحنا 1: 18.
(3) الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، ص290.
(4) محمد عبد الحليم عبد الفتاح، موسوعة الأديان، القاهرة، كنوز، ب.ط، 2006م، ص72.
(5) راشد عبدا لله الفرحان، الأديان المعاصرة، ص83.

المبحث الثالث
انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية

لا شك أن هوة الخلاف بين الفريقين عميقة, وذلك بسبب اختلاف الثقافات, وعامل اللغة الذي لا يمكن إغفاله، ومن ناحية أخرى اللاهوت الغربي بصفة عامة هو لاهوت مدرسي أو منهجي، وهو ما لم تعهده كنيسة الشرق. فالتعليم والإيمان الأرثوذكسي في الشرق عموماً هو لاهوت عبادي.

وسبب الانقسام يتعلق بكنيسة القسطنطينية, التي تعتقد أن الروح القدس من الأب وحده؛ بينما كان رأي كنيسة روما أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً، وبناء على هذا الخلاف انقسمت الكنيسة إلى:

أولاً: كنيسة روما, أو الكنيسة الغربية اللاتينية (الكاثوليك).
ثانياً: كنيسة القسطنطينية, أو الكنيسة الشرقية اليونانية (الأرثوذكس)[1] .

الكنيسة الكاثوليكية* أو الغربية:

تدعي أنها أم الكنائس ومعلمتها, ويرجع مصطلح الكاثوليك إلى العصور اليونانية الهلينية, واستخدم للدلالة على صفة العالمية, وقد استخدم المسيحيون هذا المصطلح في بداية القرن الثاني الميلادي للإشارة إلى الكنيسة اليسوعية, وكذلك استخدم مصطلح الكاثوليك بمعنى الديانة العالمية رسمياً؛ ولأول مرة في المجمع المسكوني القسطنطينية عام 381م[2] , وقد أطلقت عليها عدة أسماء منها (الكنيسة الرومانية الغربية) و(الكنيسة البطرسية أو الرسولية), ورئيسها البابا في الفاتيكان بروما* .

والنظام الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية هو النظام البابوي, والذي يرأسه البابا والكرادلة "اكليريكى", وهم أصحاب الحق في تنظيم الكنيسة, إذ يتكون منهم المجتمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية, لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض, فهو يمثل الله, ويلهمه الروح القدس, ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدال أو النقاش[3] .

وعندما يموت البابا ينتخب واحدٌ خلفاً له عن طريق الكرادلة, وبعد انتخابه يكون صاحب الحق في إبرام قوانين، لها صفة الإلزام والطاعة من الشعب الكاثوليكي, وهكذا تبدو سلطة البابا واسعة إلى درجة أنه يحدد الكتاب الذي يقرأ والذي لا يقرأ, ومارست الكنيسة الكاثوليكية أبشع الاضطهاد الديني ضد معارضيها[4] .

---

[1] انظر: سعدون محمود الساموك، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، ص ص203-206.

*** كلمة لاتينية تعني (العامة).**

[2] يوسف حامد الشين، الأديان السماوية بين العقل والنقل، ص301.

*** وقد سميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين, وسميت بطرسية أو رسولية, لأن أتباعها يدعون إن مؤسسها هو (بطرس) كبير الحواريين, والباباوات في روما خلفاؤه.- محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص370.**

[3] محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص371.

[4] أحمد شلبي، المسيحية، ج2، ص200.

عقائد الكاثوليك:

في اعتقادهم الآلهة ثلاثة متميزين ومنفصلين, تسمى هذه الأقانيم الثلاثة (الأب والابن وروح القدس) وبذلك يكون للمسيح طبيعتان, طبيعة الأب وهى طبيعته الإلهية وطبيعة الابن وهى طبيعته البشرية؛ ومع ذلك فهما شيء واحد في الطبيعة والذات, والإيمان أن نعبد إلهاً واحداً في تثليث, وتثليثٍ في توحيد, لا تمزج الأقانيم ولا تفصل الجوهر, وإن الثالوث غير مخلوق وغير محدد وسرمد واحد, وواحد ضابط الكل, وهكذا الأب إله, والابن إله, وروح القدس إله؛ ولكن ليسوا ثلاثة آلهة, بل إله واحد, فالأب غير مصنوع من أحد, ولا مخلوق ولا مولود, وكذلك الابن وحده وروح القدس واحد لا ثلاثة أرواح قدس (يجب أن نعبد الوحدانية في ثالوث, والثالوث في وحدانية), ومن أراد الخلاص فعليه أن يؤمن بالثالوث وبتجسد يسوع المسيح وأن ابن الله هو إله إنسان, وأنه إله من جوهر الأب ومولود قبل الدهور, وإنسان من جوهر أمه مولود في هذا الدهر, إله تام, وإنسان تام, كائن بنفس ناطقة وجسد بشرى, وهو مسيح واحد لا اثنان, والمسيح تألم لأجل خلاصنا, ونزل إلى الجحيم (عالم الأموات)، وقام في اليوم الثالث من بين الأموات, ثم صعد إلى السماء, وهو جالس إلى يمين الرب ليدين الأموات والأحياء, والذي عند مجيئه يقوم جميع البشر بأجسادهم ويؤدون حساباً عن أعمالهم الخاصة, فالذين عملوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية, والذين عملوا السيئات يدخلون النار الأبدية, كما يوجد مكان ثالث بعد الموت يسمى المطهر, تعتقل فيها النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة, يتخلص منها الخاطئ بمقدار ذنوبه[1] .

شرائع الكاثوليك:

1- استعمال الفطير في العشاء الربّاني بدل الخبز.
2- أكل الدم والمخنوق.
3- أكل الرهبان دهن الخنزير.
4- لبس الأساقفة الخواتيم في أصابعهم, وحلق الكهنة لحاهم.
5- المغفرة من حقوق الكنيسة ورجالها.
6- تحريم الزواج على رجال الكنيسة.
7- تحريم الطلاق على جميع المسيحيين, حتى عند الخيانة الزوجية[2] .

قول الكاثوليك باتحاد طبيعتي المسيح لفظا وفصلهما فعلاً:

نادي الكاثوليك بروما بهذا الرأي، واتخذته عنهم الكنائس اليونانية والبروتستانتية، ويظهر ذلك من أقوال أسقفهم ليو الأكبر وغريغوريوس الثالث عشر.

فالأسقف ليو الأكبر أرسل إلى فلابيانس أسقف القسطنطينية رسالة طومس, لتلاوتها أثناء انعقاد مجمع أفسس الثاني في القرن الخامس. ومما ورد فيها قوله: "حقاً

[1] أحمد شلبي، محاضرات في النصرانية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1986م، ص162.
[2] المصدر السابق، ص162.- انظر: محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص373.

يـأتي المسـيح الاثنـان الإلـه والإنسـان، وإن الأول يبهـر بـالمعجزات والآخـر ملقـى الإهانـات". وإن كـان المجـال لـم يسـمح بـتلاوة هـذه الرسـالة فـي ذلـك المجمـع إلا أن مضمونها أثير بعد ذلك في مجمع خلقدونية, الذي كان غالبيته من الكاثوليك والنساطرة, وكان له الأثر الأعظم في قرار هذا المجمع وهو "أن المسيح هو إله تام وإنسان تام مولـود بحسـب اللاهـوت مـن الأب, وبحسـب الناسـوت مـن مـريم البتـول والـدة الإلـه ومعروف واحداً بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا ابتدال ولا انقسام ولا انفصال"[1] .

يسـجد المسـيحيون لمخلصـهم يسـوع المسـيح بقصـد العبـادة المقرونـة بفـروض الشكر على الفداء، ويعتقد الكاثوليك أن آلام هذا الفداء وقعت على الناسوت فقط دون اللاهوت، عكس الكنيسة القبطية التي تعتبره هرطقة.

السريانية:

هم من المسيحيين الآسيويين يقولون: إن المسيح ذو طبيعة واحدة (مثل أقباط مصـر)؛ ولكـنهم يعترفـون برئاسـة الكاثوليـك علـيهم, وإن كـان لهـم رأيهـم الخـاص وبطريركهم, وتعد الرها ونصيبين ودمشق مراكز رئيسة لهم[2] .

الكنيسة الأرثوذكسية* :

ومقرهـا الأصـلي القسـطنطينية, وهـي مؤلفـة مـن عـدة كنـائس ولهـذه الكنـائس بطاركـة: أولهـم بطريـرك القسـطنطينية (بطريـرك المسـكوني)، ويليـه بطريـرك الإسكندرية للروم الأرثوذكس, ثم بطريرك أنطاكيا ثم بطريرك أورشليم ثم المجمع الروسـي, ولا يعتـرف الأرثـوذكس بالبابـا فـي رومـا, وليس لهـم مقر رئـيس وأن كانـت القسطنطينية المركز الأول لهم, ونظامها أقرب إلى المشيخة؛ أي تتبع النظام الديني المسمى الأكليروس في إعطاء الألقاب الدينية لرجال الكنيسة, والذي يبدأ من البطريرك ثم يليه المطارنة ثم الأساقفة والقس أصحاب الامتياز ويسمون (القمامصة) ثم القسس العاديون وهم أصحاب الرأي والكلمة في كل ما يدور في الكنيسة[3] .

جاء هذا المذهب كردة فعل ضد المذهب النسطوري فيما يتعلق بقضية طبيعة المسيح وألوهيته, وهم أصحاب طبيعة أحدية أي أن المسيح أقنومٌ واحد إلهيٌ, والعذراء هي بالفعل والدة الإله؛ لأنها ولدت ابن الإلـه المتجسد, وهذا يعنـى أنهـا أم الله. ومن هذا القول نشأت عقيدتان: أولهما ألوهية المسيح, وثانيهما عقيدة التجسد.

---

(1) الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، ص279.

(2) محمد عزت طهطاوي، النصرانية والإسلام، ص140.

*** الأرثوذكسية (كلمة لاتينية) تعنى: المتشددون أو المتعصبون, وتسمى (كنيسة الروم الأرثوذكس) أو (الكنيسة الشرقية أو اليونانية) لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين كروسيا والبلقان واليونان. عدد من المؤلفين، موسوعة الأديان، ص68.**

(3) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية، ص146.

وقد انتشر مذهب الأرثوذكس منذ بدايته في مصر وإثيوبيا, وكان الاعتقاد في طبيعة المسيح على الطريقة الأرثوذكسية سبباً في انفصال الأرثوذكس عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية[1] .

عقائد الأرثوذكس:

يعتقدون أن الله واحد في ثلاثة أقانيم, وأنه نزل من السماء واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر, نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم أصبح جنيناً كاملاً, ثم خرج طفلاً اسمه عيسى, ونما كما ينمو الأطفال, ولما بلغ الثلاثين بلغ الرسالة وقتله اليهود وصلبوه, ثم دفن في القبر ثلاثة أيام, ثم نزل إلى الجحيم وهو في القبر, ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات ويسمى الأب قبل التجسد, والابن بعد التجسد, ويسمى الروح القدس الاسم الذي كان عليه قبل إنشاء العالم[2] .

ويقول الأرثوذكس: إن فادينا العظيم قد تنازل عن سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسداً حقيقياً, بنفس عاقلة ناطقة, ثم الحبل في بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء.

ويمثل آباء الكنيسة اتحاد اللاهوت بالناسوت, بأن الإنسان مركب من جزأين الجسد الكثيف المأخوذ من التراب, والنفس العاقلة الناطقة, ومع الاتحاد بينهم دون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصاً واحداً ذا طبيعة واحدة ومشيئة واحده في أقانيمه الثلاثة, وروح القدس نشأ عن الأب فقط, وعدم جواز أكل الدم والمخنوق ودهن الخنزير للرهبان[3] .

الكنيسة الأرثوذكسية تعترف بسبعة أسرار كنسية وليس هناك تمييز واضح بين هذه الأسرار السبعة وبين بعض الممارسات الطقسية الأخرى مثل قداس تبريك الماء إلى جانب تقديس المذابح والكنائس والمعموديات, والإيقونات، وكذلك الصلاة على المنتقلين، والرهبنة ... إلخ.

الكنيسة الأرثوذكسية تمارس المعمودية بالتغطيس, وتمنح الميرون* بواسطة الكاهن بعد المعمودية مباشرة حتى للأطفال, حيث ينظم الأطفال إلى عضوية الكنيسة مباشرة ومنذ طفولتهم.

كما تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأن خبز وخمر (الأفخارستيا) يصيران بعد التقديس جسد ودم المسيح الأقدسين, لكن ليس بمفهوم التحول أي الاستحالة transubstantiation.

---

(1) يوسف حامد الشين، الأديان السماوية بين العقل والنقل، ص299.

(2) محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص374.

(3) أحمد شلبي، المسيحية، ج2، ص202.

*** وهو عبارة عن دهن يدهن الكاهن به الداخلين في المسيحية من أطفال أو داخلين فيها وهو دهن مقدس بعد التعميد وعند الموت.**

أما عن تكريم الإيقونات والتشفع بالقديسين, يحتل مكاناً رفيعاً في الكنيسة الأرثوذكسية, والتشفع بالعذراء القديسة مريم أمر شائع، كما يؤمنون بصعود جسد السيدة العذراء إلى السماء بعد نياحتها, ويحتفلون لذلك بعيد سنوي, برغم أن ذلك لم يعلن رسمياً كعقيدة.

وكهنة الإيبارشيات الذين يخدمون كنائس المدن هم متزوجون, ولم تصر الكنيسة الأرثوذكسية على شرط عزوبية الإكليروس، مكتفية بعدم زواج الكاهن مرة ثانية في حالة انتقال زوجته.

المجمع المقدس لأي كنيسة أرثوذكسية هو السلطة العليا فيها ولا وجود لمفهوم عصمة رئيس الكنيسة إن كان هو بابا الكنيسة أو بطريرك الكنيسة[1] .

والأرثوذكس تنادى باتحاد طبيعتي المسيح لفظاً وفعلاً، وتطلق عليه تعبير آخر وهو (وجود طبيعة واحدة للكلمة المتجسد).

لا يمكن أن تفصل اللاهوت عن الناسوت ولا الناسوت عن اللاهوت؛ لأن المقصود هنا من الامتزاج والاختلاط هو الابن الكلمة المتجسد.

الأرمينية:

وهم طائفة مسيحية موطنهم الأصلي أرمينيا وينتشرون كأقليات صغيرة متناثرة موجودة في مصر والأردن وسوريا وتركيا ولبنان, ويعتقدون في المسيح اعتقاد الكنيسة القبطية أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة, ولكن لهم تقاليد دينية مختلفة, كما أن لهم بطاركة مستقلين بهم, لأنهم لا يندمجون في الكنائس الأخرى.

المذهب البروتستانتي: Protesantisme

المسيحية في الغرب لم تقنع العقل الإنساني بتعاليمها, فقامت عدة دعوات للإصلاح تعدل تعاليم الكنيسة حتى تكون مقنعة للعقل الإنساني[2] .

ظهرت الكنيسة البروتستانتية في بداية القرن السادس عشر في ألمانيا, ويطلق عليها أيضاً المذهب اللوثري نسبة إلى المصلح الديني الألماني مارتن لوثر الذي ترجم النسخة الأصلية للإنجيل, فسفه آراء الكنيسة وسخر من الآباء الروحيين, فأصدرت الكنيسة قراراً بحرمانه, فكان جوابه عليه أن مزقه علانية ودعا إلى مجادلته بنصوص الإنجيل!, كانت دعوة المذهب البروتستانتي العودة إلى الإنجيل, والثورة ضد التراكمات الدينية والطبقية التي اختلقها رجال الدين المسيحي عبر الأجيال, ومعنى البروتستانتي الاحتجاج على إضافات رجال الدين غير المعقولة[3] .

---

(1) راهب من الكنيسة القبطية، الكنائس الشرقية وأوطانها، ص72.

(2) محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص377.

(3) يوسف حامد الشين، الأديان السماوية بين العقل والنقل، ص303.

وظهر الكثير من المصلحين بسبب المفاسد الأخلاقية والعقائدية المالية في الكنيسة الغربية, كما ظهر مصلحون من داخل الكنيسة وخارجها يطالبون بالإصلاح, وكان من أوائل هؤلاء: يوحنا هوس وتلميذه (جيروم) وأهم أفكارهم أنه ليس للكنيسة سلطان مغفرة الذنوب وأن سر الاعتراف خرافة وكذلك صكوك الغفران, وانعقد مجمع "كونستانس" أربعة أعوام (1414-1418م) للنظر في ثورة يوحنا هوس وتلميذه جيروم, وقرر المجمع قتلهم حرقاً بالنار للهرطقة. ثم ظهر أرزم, الذي دعا إلى قراءة الكتب المقدسة من مصادرها. ثم توماس مور, الذي أعلن أن سيادة البابا واجبة مع وجوب إصلاح الكنيسة وثار على طقوسها[1] .

وكان آخر المعارضين (مارتن لوثر)، وهو أول من أدخل حركة الإصلاح إلى مرحلة الثورة والتمرد على نظام الكنيسة, فنادى أن صكوك الغفران دجل, والذنب لا يغفر إلا بالندم, وطالب بإلغاء صكوك الغفران, وأعلن أن البابا ليس خليفة المسيح, وأن زواج القساوسة أمر ضروري لإصلاح نفسية رجال الدين, وأن كل مسيحي له الحق في فهم الكتاب المقدس, وطالب بإنكار مبدأ الاستحالة في العشاء الرباني.

وقد سميت ثورة مارتن لوثر بثورة الإصلاح الديني؛ إلا أنها لم تكن إصلاحاً عقائدياً للمسيحية, فلم يبطل البروتستانت أصلاً من أصول المسيحية كالتثليث وقرارات المجامع ولا طبيعة المسيح υ ولا مسألة الصلب والفداء والتضحية.
لقد اقتصرت حركة الإصلاح على الشكليات والممارسات الخاطئة لرجال الكنيسة, إذاً حركة الإصلاح لم تكن للمسيحية وإنما كانت إصلاحاً للكنيسة.

وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا, وإنجلترا, والدانمرك, وهولندا, وسويسرا, والنرويج, وأمريكا الشمالية. والكنيسة البروتستانتية كانت في الأصل داخل الكنيسة الكاثوليكية, وانفصلت عنها نتيجة ما يسمى بالإصلاح الديني[2] .

أهم مبادئ حركة الإصلاح الديني (الكنيسة البروتستانتية)[3] :

1- العودة إلى الإنجيل والإيمان بالكتاب المقدس وحده كمصدر للعقيدة. والخضوع التام للنصوص والقياس عليها ورفض كل ما يخالفها ولو صدر من البابا.

2- القول بأن ديانة المسيح تتجلى في عقيدته, ورفض طقوس شائعة كالإيمان بفكرة الغفران والتطهير وغيرها.

3- التركيز على قراءة الإنجيل قراءة عقلية, بصرف النظر عما يقوله البابا, أو المجالس المسكونية, فالمسيح كما يقول هذا المذهب لم يعلم سوى قاعدة إيمانية واحدة أنها المحبة.

4- إدانة حياة الرهبنة والنذور الدينية, ودعوة المسيحي أن يعيش حياته الدنيوية.

---

[1] راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، ص82.
[2] محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص381.
[3] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ص178-188.- أحمد شلبي، المسيحية، ج2، ص214.

5- التوفيق بين فكرتي الخطيئة الكبرى وحرية الإرادة, وذلك من خلال دعوة الإنسان إلى الإيمان الذي يشكل له الطريق الوحيد للخلاص.

6- عدم عرض الصور والتماثيل في الكنائس, وعدم السجود لها, باعتبارها ظاهرة وثنية[1] .

7- ليس لكنائس البروتستانت رئاسة عامة, فالكنيسة ليس لها سلطان إلا الوعظ والإرشاد وتأدية الفروض الدينية وبيان الدين لمن لا يعرفه بنفسه.

8- عدم الصلاة بلغة غير مفهومة, وترجمة الكتاب المقدس للغات مختلفة حتى يقرأه الناس على اختلاف لغاتهم حتى يتمكنوا من الصلاة والدعاء.

9- هم ينكرون أن يتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح υ, وليس العشاء الرباني إلا تذكاراً بفداء المسيح للخطيئة التي ارتكبها آدم, وتذكار لمجيئه ليدين الناس, فهو تذكار للماضي والمستقبل.

10- لا تؤمن بنظام الكهنة ولا بالبخور في الهيكل.

11- لا تؤمن بالأسرار السبعة التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية.

12 لا تؤمن بالصوم كفريضة ولا بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى[2] .

والنظام الإداري في الكنيسة البروتستانتية يجرى على انتخاب اللجنة التنفيذية بالاقتراع السري بين الأعضاء القساوسة وهذه اللجنة تتألف من رئيس ونائب رئيس وأمين عام, وأمين الصندوق.

والكنيسة البروتستانتية لا تعترف بالبابوية, ولا بالرتب الكهنوتية فالكل سواء, وإنما التفاضل يكون بالحياة المثلى لقول المسيح υ: "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل"[3] .

والنظام الديني فيها التعاون بين أعضائها على القيادة والوعظ وعدم المساس بالاستقلال الذاتي لكل كنيسة؛ ولكن فيها أيضاً القس ومعاونوه الذين يديرون شؤون الكنيسة ويرأسه مجلس إدارة الكنيسة البروتستانتية[4] .

كما توجد جملة من الخلافات بين البروتستانت والأرثوذكس والكاثوليك نذكر عدة خلافات منها:

- اعتقادهم بالطبيعتين والمشيئتين في السيد المسيح, كما ذكرنا في مجمع خلقدونية وسبب الانفصال بين الكنائس إلى شرقية وغربية.

---

(1) يوسف حامد الشين، الأديان السماوية بين العقل والنقل، ص203.

(2) محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص384.

(3) متى 5: 48.

(4) عبد الفتاح حسن الزيات، ماذا تعرف عن المسيحية، طرابلس، مركز الراية للنشر والإعلام، ط2، 2000م، ص152.

- وانبثاق الروح القدس من الأب والابن مثل الكاثوليك خلافاً لمعتقد الأرثوذكس التي تقول بانبثاق الروح القدس من الأب فقط[1] .

- البروتستانت لا يؤمنون بالتقليد أو التسليم الرسولي tradition: فهم لا يؤمنون إلا بالكتاب المقدس فقط, ولا يقبلون كل القوانين الكنسية, ولا المجامع المقدسة وقراراتها ولا يلتزمون بتعاليم الآباء, وبالتالي لا يقبلون كل ما قدمه التقليد من نظم كنسية.

- وكذلك لا يقبلون الكهنوت, فهم ينادون بكاهن واحد في السماء وعلى الأرض وهو يسوع المسيح دون أي كهنوت للبشر, ونتيجة لذلك لا يؤمنون بسلطان كنسي أياً كان[2] .

- كذلك خلافات كثيرة عن الخلاص من أهمها تركيزهم أن الخلاص فقط عن طريق الإيمان, وهم بذلك ينكرون دور الكنيسة في موضوع الخلاص الذي يعتبرونه مجرد علاقة مباشرة مع الله؛ كما ينكرون الطقوس مثل الصلوات المفروضة والمعمودية والاعتراف والأفخارستيا والصوم والصوم النباتي والرهبنة والصلاة على الموتى والشفاعة وإكرام الإيقونات وعدم إكرام القديسين وعدم تسمية الكنائس بأسماء شهيد أو ملاك أو قديس, ولا يعترفون باتجاه الشرق أثناء الصلاة واتجاه الكنيسة كما يفعل الكاثوليك والأرثوذكس.

- وقد أخذت حرب الأيقونات دوراً هاماً في التاريخ بينهم وبين الكاثوليك, فلا يؤمنون بوجود صور وإيقونات في الكنيسة ولا بإيقاد شمعة أمام صورة أحد القديسين ولا بخور ولا شموع ولا يؤمنون بدوام بتولية العذراء بل يعتقدون أنها تزوجت بيوسف النجار وأنجبت منه بنين عرفوا باسم "أخوة يسوع" ولا يكرمون العذراء ويلقبونها "أم يسوع" ولا يوافقون على عبارة "الممتلئة نعمة" بل يترجمونها "المنعم عليها" وينكرون صعود جسد العذراء إلى السماء كما يؤمن الكاثوليك والأرثوذكس, ولا يحتفلون بأي عيد من أعياد السيدة العذراء، لا يستخدمون رسم الصليب مع أهمية الصليب للبروتستانتية كوسيلة الرب لفداء البشر؛ إلا إنهم لا يكرمون الصليب كما يكرمه الأرثوذكس ولا يوجد عندهم عيد للصليب[3] .

---

(1) محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص90.

(2) للشهرستاني، الملل والنحل، مج1، ص ص188-190.

(3) بتصرف: البابا شنودة الثالث، اللاهوت المقارن، ج1، ص ص11-20.

تعليق ختامي على الفصل الثالث

عند عرض هذا الفصل الذي نتج من خلال عرض الفصل السابق الخاص بالمجامع المسكونية وما نتج عنها من اختلافات وانقسامات في الآراء حول طبيعة السيد المسيح وانبثاق الروح القدس، ومما أدّى إلى فرقة عظيمة بين المسيحيين، كما ذكرنا في هذا الفصل، ونجد الخلاف بسبب تمسك رجال الدين المسيحي بمعتقدهم الذي جاء به من تفسير خاطئ لمعنى كلمة، أو رواسب المعتقدات الوثنية، وكذلك بسبب التدخل السياسي بشكل ملحوظ في سير الأمور الدينية داخل الكنيسة، وكذلك تدخل رجال الدولة وأصحاب السلطة في تثبيت معتقداتهم بالقوة.

وهذا الخلاف والانقسام لعدة قرون حول المسيح نفسه، اتّضح مع مرور الوقت أنه خلاف في التعبير فقط؛ ولكن طول المدة ونتائج الخلافات حال دون التوحيد في المذاهب.

وهناك مذاهب اندثرت وأخرى أبيدت وأخرى لم تجد قوة تحميها، بعكس المذاهب التي أخذ بها رجال الدولة، فقد حظيت بحماية ونشر بالقوة السياسية كما وجدناه في المجامع المسكونية وتدخل الإمبراطور في شؤون الدين.

والانحراف هو الذي سبب الصراع بين معتنقيها، ولو سارت الأديان سيرها الطبيعي كرسالات من عند الله دون تحريف لالتقت جميعاً في أهدافها وفي كثير من وسائلها.

افترقت المسيحية إلى طوائف وملل شتى، منها ما قد زال وفنى بفعل اليهود والرومان وبفعل غلبة الطوائف المسيحية الأخرى عليها، ومنها ما استمر على ما ثبت لديه من معتقد حافظ عليه في إطاره الديني.

الفصل الرابع
العقيدة المسيحية

M

المبحث الأول : العقيدة في التثليث (تأليه المسيح, وبنوته لله, وتأليه الروح القدس).

المبحث الثاني: عقيدة المسيحيين:

1- الفداء
2- الخطيئة الأصلية
3- الصلب
4- في الإدانة (محاسبة المسيح للناس).
5- في الآخرة والبعث عند النصارى.
6- في يسوع (الكلمة، الألوهية، التجسد، الاتحاد).
7- في الأسرار السبعة للكنيسة.

** تعليق ختامي على الفصل الرابع.

:M

جاء القرن الرابع المسيحي شيئاً فريداً في تاريخ الكنيسة, وكان الجدل حول سر الثالوث ينال الدين المسيحي وإن لم يكن المسيح إلهاً, فالإيمان المسيحي عبث باطل, وإن كان المسيح إلهاً فكيف تعلل الكثرة في الإله الواحد؟ وإن كان المسيح إلهاً فكيف نفهم التفاعل بين النفس وخالقها المقيم فيها؟ وإذا كان المسيح إلهاً حقاً فكيف يكون إنساناً حقاً في الآن نفسه؟

فكيف السبيل إلى التوحيد الذي جاهر به المسيح مع الرسل واليهود في وجه المشركين؟ وبين الإيمان بأن المسيح إله وأن روح القدس إله أيضاً؟

المسيحية هي ثاني الديانات الكبرى بعد اليهودية, وهي الدين الذي جاء به السيد المسيح υ, والذي يعتنقه ملايين البشر من مختلف الأجناس, وهي تعد وريثة لليهودية؛ ولكن المسيحية خطت باليهودية خطوة أسمى, بالإضافة إلى إنها تريد تخليصها مما ران عليها, ولعل من الأمثلة على هذا التطور الديني الذي يبتغيه الدين الجديد ما نراه في الأحكام, فقد جاء "لا تظنوا أنى جئت لأنقص الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقص بل لأكمل! فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض, ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا ـ يدعى أصغر في ملكوت السموات, وأما من عمل وعلم ـ فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات, ..."[1] .

كان عيسى υ يتمم الناموس, ويعيد بناء الوصايا كما ينادي بضرورة اتباع أسس الإخاء البشري وطاعة الله حيث أمر. واتبع عيسى طريق هدى الله وسار خلفه تلاميذه وحواريوه والمؤمنون بدينه المتمسكون بدعوته من شتى الأجناس التي كانت تسكن تلك الأرض المقدسة في ذلك الوقت ومعظمهم من العرب والأنباط، جدد عيسى بن مريم العهد وأعاد نشر الأصل القديم, جديداً كاملاً, فلم تنقص سننه. ولم يبطل أمراً ولم يبدل توجيهاً. دعا إلى الله الحق. نادى بالوحدانية, ثار على الشرك, ردد ما قاله موسى υ يوم جاءته الألواح ونادي بها قومه وأمرهم باتباعها. نقى عيسى υ الشريعة من الشوائب وأعاد الجوهر إلى أصله نقياً خالصاً فكان إنجيله هو توراة موسى, وهو صحف إبراهيم, ورسالة هود, ودعوة صالح, وإدريس ونوح, وإسماعيل, وإسحاق, ويعقوب, والأسباط ... فشريعة عيسى υ نفس الشريعة الأولى تدعو إلى الوحدانية المطلقة التي تحرر الروح من الوهم وتسمو بالعقل إلى المثل العليا وتربط المخلوق بخالقه وتجعله يوقن بالقدرة ويؤمن بالآخرة. وشريعة موسى هي خلاصة ما سبق من الشرائع ولم يأت فيها بجديد, وكذلك فعل عيسى υ. والنصارى هم أتباع عيسى بن مريم* .

---

(1) متى 5: 17-20.

*** وسمو بذلك لأنهم ناصروه واتبعوه؛ وكانوا اثنى عشر رجلاً, واصل كلمة مسيح بالعبرية مشيحاً, ومعناه المبارك, ومعنى عيسى السيد وهو معرب يسوع. وكلمة المسيح مشتقة في العربية والعبرية من فعل (مسح) والمقصود أنهم كانوا يمسحون الكاهن أو الملك بالزيت كناية عن تعيينه في المنصب وتحميله مسؤولية الحكم, فيصبح بذلك مسيحاً, ثم صار المسيح لقباً للشخص المختار لمنصب المسؤولية دون أن يتم مسحه بالزيت**

وعندما شاهد عيسى الناس تتكاثر عليه قال: "سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك, وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم, باركوا لاعنيكم, أحسنوا إلى مبغضيكم, وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم, لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات, فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين, ويمطر على الأبرار والظالمين"[1] .

وعلى لسان المسيح قوله: "سمعتم إنه قيل للقدماء لا تقتل, ومن قتل يكون مستوجب الحكم, وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم, ومن قال لأخيه رقاً يكون مستوجب المجمع, ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم"[2] .

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن, وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه"[3] .

"أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تحنث, بل أوف للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة ـ لا بالسماء لأنها كرسي الله, ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه, ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم! ولا تحلف براسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء, بل ليكن كلامكم: نعم نعم, لا لا ـ وما زاد على ذلك فهو من الشرير!!"[4] .

"سمعتم أنه قيل: عين بعين, وسن بسن, وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر, بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً, ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً, ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين. ومن سألك فأعطه, ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده"[5] .

واختلف الدين المسيحي في النظرة إلى البشر؛ فاليهودية لا تؤثر إلا منزلة بني إسرائيل ولا تعد شعباً يستوجب النسبة إلى الله سوى بني إسرائيل, كما يرى ذلك واضحاً في العهد القديم وفى التلمود, أما الدين الجديد فيتميز بنظرة اجتماعية تتفق ومنهج الحياة, دعا إلى الحب والتسامح، وهو الاتجاه الذي كانت تفتقر إليه اليهودية

بالضرورة, وعيسى υ لقب مسيحاً بمعنى أن الله تعالى اختاره للبعثة, وهو المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه. محمد فاروق فارس الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق، دمشق، دار الفكر، ط1، 2000م، ص159.

يلقب يسوع بـ(النجار) في إنجيل مرقس 3: 6 و(ابن النجار) في إنجيل متى 13: 55, وقد يعنى ذلك أن يسوع ووالده يوسف من قبله, كانا يعملان في النجارة, وربما إن النجار (بالأرميني) كان اسم الفخذ من سلالة داود وتحديدا من سلالة زربابل الذي كان ينتمي إليه يوسف وابنه يسوع فترجم هذا الاسم إلى اليونانية خطأ وهذا هو الأرجح.

والمسيح يعطى معان متعددة مثل: المخلص, المنقذ, ابن الله, نصف إله, ابن إنسان, النبي، الملك, ابن داود, كل ذلك في آن واحد. بتصرف: سنية قراعه، الرسالات الكبرى، ص ص266-280.

[1] متى 5: 43-46.

[2] متى 5: 21-23.

[3] متى 5: 27-29.

[4] متى 5: 33-37.

[5] متى 5: 38-42.

ومضى القرن الأول كله وتعاليم المسيح تنتقل بالرواية الشفوية من جيل إلى جيل، ومن هنا تعددت الروايات وتعددت المصادر وأحس المسيحيون بخطر الرواية الشفوية فكان تدوين الأناجيل, التي تؤلف ما يعرف بالعهد الجديد, وكان التدوين قد مر عند المسيحيين بمراحل ثلاث, ونحن نعتمد في سردها على ما يقوله (بوكيه)[1].

المرحلة الأولى:

تنتهي حوالي سنه 220م وتقتصر على رسالتي بطرس الرسول اللتين أرسلهما إلى بعض الكنائس, وفي هذه الفترة كانت الأناجيل تنتقل بطريق الرواية الشفوية وربما كانت باللسان الأرامي, والأناجيل الثلاثة مرقس ومتى ولوقا التي وجدت باليونانية, ويعد أنجيل مرقس أقدمها جميعاً ويختلف عنهما على ما يرى في رواية ميلاد المسيح.

المرحلة الثانية:

تبدأ من سنة 220 إلى 323م وهي محاولة تجميع كتاب مقدس، وهذه المحاولة لا تعنى هذه المجالس الدينية التي انعقدت لتبث في مسائل دار حولها النزاع والنقاش وإنما تتضمن أعمال علماء مسيحيين أمثال أورجن origan ويوسيبيس eusebius من قيصرية الذين طوروا الأساس الذي تقوم عليه النصوص الدينية الذي به يتبين الصحيح والأصيل من الغريب وغير الصحيح, وعلى هذا الأساس قسم يوسيبيس الأناجيل إلى معترف بها وإلى مشكوك فيها وإلى منتحلة, ومما هو جدير بالذكر أن بعض الأسفار استبعدت، وقد كانت من الأسفار المعترف بها, وبعضها كان محل شك فترة طويلة مثل رؤيا يوحنا حظيت بقبول عام.

المرحلة الثالثة:

وهى مرحلة المجالس الدينية التي وضعت الأسفار وضعها الحالي في العهد الجديد, المعترف به في الشرق والغرب، والمجلس الديني الذي انعقد سنة 691م، وكانت كنائس آسيا الصغرى لا تعترف بسفر الرؤيا حتى نهاية القرن الرابع، وكذلك آباء أنطاكية ظلوا حتى شطر من القرن الخامس الميلادي لا يعترفون برسالة يوحنا الثانية والثالثة وبرسالة بطرس الثانية وبرسالة يهوذا وبرؤيا يوحنا اللاهوتي.

واتفق عالم الشرق والغرب المسيحي بعد المجمع المقدس* المنعقد في سنة 692م من ضمن عدة مجامع بخصوص العهد الجديد؛ ولكن على الرغم من هذا الاتفاق على الأسفار فقد ظل الخلاف قائماً بين المسيحيين في مسائل ذات أهمية أساسية في العقيدة, كما لعب الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية دوراً هاماً في الحياتين السياسية والعقائدية[2] .

---

[1] محمد جابر عبد العال الحيني، دراسات إسلامية في العقائد والأديان، ص240.

*** يسمى هذا المجلس quinisextine council وقد دعاه إلى الانعقاد الإمبراطور جستنيان الثاني في القسطنطينية في سنة 692م كما في قاموس أكسفورد وهذا التاريخ أدق وهو المعمول عليه.**

[2] محمد جابر عبد العال الحيني، المصدر السابق، ص241.

العقيدة المسيحية كما يعرضها المسيحيون أنفسهم في عقيدة التثليث, وتأليه المسيح, وبنوته لله, وتأليه الروح القدس.

كما نعرض عقيدة المسيحيين في التجسد, والخطيئة الأصلية, والصلب, والفداء، وعقيدة غفران الكنيسة للذنوب والخطايا.

المبحث الأول
العقيدة في التثليث
(تأليه المسيح, وبنوته لله, وتأليه الروح القدس)

فإذا كانت نسبة البنوة إلى الله لها سابقة في الفكر الإنساني, فمن أين استقى المسيحيون عقيدة التثليث؟

الثالوث في المسيحية:

عقيدة الثالوث من العقائد الجوهرية الأساسية في الدين المسيحي, وهي قديمة؛ أما الاسم ثالوث فموضوع محدث كأن تسمى جبلاً أو بقعة من الأرض باسم لم يكن لها من قبل، فحدوث الاسم لا يعني أن المكان محدث. والاسم العربي "ثالوث" معرب كلمة "ثرياس" أو كلمة "ترنيتاس" اللاتينية. وهو مشتق من ثلث الشيء, أي جعله ثلاثة أركان. وأول من استعمل لفظ ثرياس باليونانية هو تيوفيلوس أسقف أنطاكية نحو سنة 170م، وأول من استعمل كلمة "ترنيتاس" باللاتينية هو ترتوليانوس في أواخر القرن الثاني. على أن كلمة "ثالوث" بالعربية لا تعبر تمام التعبير عن الكلمة اليونانية أو اللاتينية؛ لأن فيهما معنى وحدة ثلاثة, أو تثليث بوحدة[1] .

ولا نستطيع أن نقول أن عقيدة الثالوث قد أعلنت في العهد الجديد مثلما لا نقول أنها أعلنت في العهد القديم, ذلك أن عقيدة التثليث غير معلنة بوضوح في العهد القديم, ولكن هناك إشارات وتلميحات تنم عن هذه العقيدة، كما أن العهد الجديد يعلن الثالوث في تلميحات ضمنية وليس عبارات واضحة, ولا يذكره إلا في عبارات متفرقة, وليس في صيغة عقائدية محددة وعندما نتحدث عن عقيدة الثالوث فإننا نجمع شتات هذه الإشارات في مفهوم عقائدي واضح[2] .

ومراد النصارى بالتثليث كما يقول الكتاب المقدس هو: إله واحد, الأب والابن, والروح القدس إله واحد, جوهر واحد متساويان في القدرة والمجد[3] .

لا تعنى عقيدة الثالوث إنه ثلاثة آلهة, بل إله واحد في ثلاثة أقانيم. وقد عبر عن هذه العقيدة أحسن تعبير قانون ماراثناسيوس "الإيمان الجامع هو أن نعبد إلهاً واحداً في ثالوث, وثالوثاً في وحدانية, لا نخلط الأقانيم ولا نفصل الجوهر. فإن للأب أقنوماً على حدة, وللابن أقنوماً آخر, وللروح أقنوماً آخر. ولكن لاهوت الأب والابن والروح القدس كله واحد, والمجد متساو والجلال أبدى معاً ... الأب والابن والروح القدس إله ولكن ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد ... الأب رب والابن رب والروح القدس رب, ولكن ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد ... الدين الجامع ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة أو

---

[1] منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفى المسيحية، بيروت، مؤسسة خليفة للطباعة، ط1، 1983م، ص285.

[2] سعيد مراد، المدخل في تاريخ الأديان، بيروت، دار روتابرينت للطباعة، ب. ط، 1999م، ص287.

[3] قاموس الكتاب المقدس، ص234.

ثلاثة أرباب"[1] .

والمتتبع لتاريخ النصرانية منذ نشأتها يجد أن فكرة الألوهية عند النصارى مرت بثلاث مراحل برئت فيها العقيدة من الثالوث في المرحلة الأولى والثانية, لكنها في المرحلة الثالثة انحدرت فيها إلى عقيدة الثالوث:

المرحلة الأولى:

بدأ المسيح υ دعوته منذ البداية مختصاً بها بني إسرائيل دون سواهم من الأمم, كما هو مصرح به في الأناجيل المتداولة حاليا بين النصارى من أنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة.

المرحلة الثانية:

أما عقيدة بولس التي بشر بها أن المسيح ابن الله الوحيد, لذلك كانت عقيدة النصرانية وقتئذ في الألوهية فكرة متطورة عن العقيدة اليهودية في الألوهية, فبعد أن كانت العقيدة الإلهية عند اليهود هي الإيمان بالإله لأبناء إبراهيم في الجسد, صارت عند النصارى أتباع بولس الإيمان بالإله لأبناء إبراهيم في الروح, وهذا ما ذكره في قوله: "فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو نسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الإيمان"[2] .

المرحلة الثالثة:

لما اتصل النصارى بالأمم الأجنبية بعد ذلك ـ وفى جملتها الأمة المصرية ـ شاعت فيها عقيدة إلهية جديدة هي عقيدة الثالوث المجتمع من الأب والابن والروح القدس, والتثليث لم يكن معروفاً عند النصارى حتى أواخر القرن الثاني الميلادي بالتحديد سنة 200م, وكان الأب أثناغوس أول من نطق بكلمة ثالوث, لأنه عرف عادات الرومان أصحاب السلطان على الإمبراطورية الرومانية حيث كانوا معتنقين لديانتهم الوثنية, ولما اعتنقوا النصرانية تصوروا الألوهية بما هو ممزوج بأفهامهم من طقوس الوثنية في عقيدة التثليث[3] .

وفى ذلك يقول ابن البطريق المؤرخ النصراني: "زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية, الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب ... وثبتوا أن الأب والابن وروح القدس: ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص, وحدية في تثليث وتثليث في وحدية, كيان واحد في ثلاثة أقانيم إله واحد, طبيعة واحدة"[4] .

ويقول القس توفيق جيد في كتابه (سر الأزل): "إن الثالوث سر يصعب فهمه

---

[1] حبيب سعيد، أديان العالم، القاهرة، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، ط1، ب. ت، ص281.
[2] رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 4: 13.
[3] محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص144.
[4] المصدر السابق، ص149.ـ انظر: عبد الفتاح حسن الزيات، ماذا تعرف عن المسيحية، ص102.

وإدراكه, وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه". ويقول: باسليوس إسحاق في كتابه (الحق): "أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله"[1] .

تأليه المسيح وبنوته والروح القدس:

الله الأب:

يراد بالأب عندهم: الذات الإلهية مجردة عن الابن والروح القدس, وهو بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن، مع أن هذا لا يعني لديهم أن الأب سبق الابن في الوجود، بل الابن أزلي الوجود معه لم يسبق أحدهما الآخر، وليس له عمل عندهم إلا الاختيار والدعوة[2] .

تفردت المسيحية في إطلاق هذه الصفة على الله, ولكن ليس لهذه اللفظة في المدلول المسيحي أي صلة بالأبوة البيولوجية, وقد علم يسوع أتباعه أن يصلوا قائلين: "أبانا الذي في السموات, ليتقدس اسمك, ليأت ملكوتك, لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض, خبزنا كفافنا أعطنا اليوم, واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا, ولا تدخلنا في تجربة, لكن نجنا من الشرير, لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد, آمين"[3] . وهى الصلاة الربانية التي يرددها المسيحيون في كل أرجاء الأرض.

يؤمن المسيحيون بوحدة الله الواحد, وهو كأب يحب الناس أجمعين بحنان غير محدود, فكلهم أخوة وأبناء للأب الواحد، وفى يسوع المسيح أعلن ذاته وطبيعته في جلاء ووضوح، وبالروح القدس نحس بحضوره وقربه منا كأب وابن وروح قدس.

وفى هذا المقام يستطيع كل مؤمن أن يناجى أباه أي ربه الذي دعاه المسيح أبانا بصيغة الجمع, أي إنه أب لجميع المؤمنين وليس للمسيح فقط, لذا جاء في الإنجيل؛ "لأنه من يصنع الخير هو من الله ومن يصنع الشر فلم يبصر الله"[4] .

ليس إسناد صفة الأب إلى الألوهية بالأمر الذي جاءت به المسيحية أول مرة؛ ولعل ذلك حدث على أثر الانقلاب الأبوي على الأم الكبرى الذي أطاح بها, وقذفها إلى مكانة دنيا بعد أن كان لها مركز الصدارة[5] .

فإذا عدنا إلى أقدم الحضارات البشرية, في سومر ومصر, وجدنا صفة الأب تطلق على كبير الآلهة "انليل", "العظيم, ذي العينين الجميلتين" هذا في سومر, أما في مصر فإن "الله أب الآلهة, وأب جميع الآلهة. وما أن سمع صوته حتى جاءت الآلهة إلى الوجود, وجاءت إلى الوجود بعد أن نطق بفمه"[6] .

---

(1) نقلاً عن: سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص229.
(2) المصدر السابق، ص238.
(3) متى 6: 9-14.
(4) رسالة يوحنا الثالثة 1: 11.
(5) فراس السواح، لغز عشتار، قبرص، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1985م، ص ص32-36.
(6) نهاد خياطة، الديانة الفرعونية، دمشق، دار علاء الدين، ط1، 1993م، ص34.

أدلتهم على أبوة الله للمسيح:

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده"[1] . وكذلك "ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السماوات زلاتكم, وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات أيضاً زلاتكم"[2] . "قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"[3] .

فهذه النصوص على فرض صحتها فيها دلالة واضحة على نسبة أبوة الله تعالى للتلاميذ, والمراد منها أبوة النعمة والإحسان[4] .

يسوع الابن:

المسيح في المسيحية* قد تجسد** ونستطيع الوقوف على جوانب من مفهوم هذه القضية من خلال ما قاله يوحنا الدمشقي الذي يقول: "نعترف بالمسيح وحده إنه ابن الله بعد التآنس أيضاً وإنه هو هو نفسه ابن الإنسان. مسيح واحد ورب واحد وحده الابن الوحيد وكلمة الله يسوع ربنا ..."[5] .

كما أكد على ذلك شارل جنيبير عندما ذكر أنه: "منذ القرن الثاني أصبح من المبادئ المعتمدة: أن عيسى هو ابن الله, ينتسب إليه نسبة مباشرة وإن كانت من نوع خاص, ثم إنه أيضاً هو الله"[6] .

وقد نتج عن مجمع نيقية الاعتقاد ببنوة المسيح, ونتيجة لما ورد أصبح عيسى υ, في اعتقاد النصارى ابن الله يتساوى معه في الجوهر, وبالتالي فإن عدم الإيمان بهذا المعتقد عندهم يؤدى إلى الكفر.

أدلتهم على أن المسيح ابن الله:

---

(1) متى 24: 36-37.
(2) مرقس 11: 25-26.
(3) يوحنا 20: 17-18.
(4) انظر: ر. ك. سيرول، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، القاهرة، مكتبة المنار، ط1، 2000م, ص ص41-111.
*** نسبة إلى المسيح عيسى υ، وتسمى النصرانية نسبة إلى بلدة الناصرة بفلسطين، موطن عيسى υ رسول الله وكلمته المبعوث نبياً ورسولاً إلى بني إسرائيل، كلف بالرسالة عندما بلغ الثلاثين من عمره، وكانت مدة دعوته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، على قول الشهرستاني في الملل والنحل، ج1، ص220.**
**** والتجسد كلمة في علم اللاهوت المسيحي تدل على أن (المسيح) صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الأب مملوء نعمة وحقاً, وليس المسيح إعلان الله وحسب, بل فادى الأنام ومخلص البشرية, الذي يقود الناس إلى الحياة الجديدة، كما يتولى محاسبة الناس يوم القيامة، الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، ص272.**
(5) أميمة بنت أحمد بن شاهين الجلاهمه، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، القاهرة، دار زهراء الشرق، ط1، 1997م، ص108.
(6) المصدر السابق، ص108.

استدل النصارى على أن المسيح ابن لله بما ورد في الأناجيل من النصوص التي تنسب المسيح ابناً لله, وما ورد فيه إطلاق ابن الله فقد ورد في ثلاثة وعشرين موضعاً تقريباً في الأناجيل الأربعة, منها أربعة مواضع فقط التي ورد فيها هذا الوصف من كلام المسيح, أما الباقي فليس من كلام المسيح بل بعضه من كلام إبليس والشياطين.

نذكر قول بطرس لما سأله المسيح عن نفسه ماذا يقول الناس عنه قال: "أنت هو المسيح ابن الله الحي"[1] . ورد على لسان المسيح في زعمهم: "فلما سمع يسوع قال: هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله"[2] . فمن ذلك ما جاء على لسان الإله: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا"[3] .

وما ورد في الحديث عن محاكمة عيسى υ, على يد رئيس الكهنة, والذي وجه إليه استفسار جاء فيه: "أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وأتيا على سحاب السماء"[4] .

وما جاء عن الأحداث التي سبقت ولادة المسيح υ, بقوله: "فأجاب الملاك قال لها ـ أي لمريم ـ الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله"[5] .

وكذلك "من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله. الحق أقول لكم من سمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية"[6] .

هذه جملة من النصوص الإنجيلية التي بنى عليها النصارى اعتقادهم ببنوة المسيح لله بنوة حقيقية, وقد حاول شراح الأناجيل تأكيد هذه العقيدة بالتعليق على مضمونها محاولة منهم التوفيق بينها وبين قانون الإيمان, ومن ذلك ما قاله بعضهم تفسيراً للبنوة المشار إليها في النصوص السابقة، وأمثالها أن "ابن الله" لقب من ألقاب المسيح يدل على شرف طبيعته ووظيفته وقد تكررت هذه الشهادة لبنوة المسيح؛ "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون"[7] . كما قال في موضع آخر "وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم؛ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات"[8].

ولا شك أن تكرار استخدامه υ للفظ البنوة بالمعنى المجازي؛ وبهذه الكيفية في أول وعظ يوجه لإتباعه أهمية كبرى, إذ أنه يوضح من خلالها أن البنوة بمعناها البشرى قد تأخذ بعداً من الشرف والكمال أكبر بكثير من البنوة الحقيقية, إذ قصد بالابن الحب والولاء والتقدير للأب، وقصد بالأب العطف والرحمة والرعاية والإحسان.

---

[1] متى 16: 16-17
[2] يوحنا 11: 4-5.
[3] متى 17: 5-6.
[4] متى 26: 63-65.
[5] لوقا 1: 35-36.
[6] يوحنا 5: 23-25.
[7] متى 5: 9-10.
[8] متى 5: 44-45.

وحينئذ قد تصبح البنوة المجازية أهم من البنوة الحقيقية، وهذا ما أشار إليه المسيح عندما نهاهم عن إطلاق هذا المعنى على أحد من أهل الأرض؛ وذلك بقوله: "لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات. ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح"[1] .

ومن ثم يتضح الفرق بين المسيح υ وخالقه سبحانه؛ إذ حصر بقوله هذا الأبوة المجازية للعباد جميعاً في الإله الواحد دون أن يكون له υ تميز ببنوة حقيقية ترفعه على سائر العباد[2] .

الروح القدس:

الروح القدس هو الشخص أو الأقنوم الثالث من الثالوث الإلهي, بحسب الاعتقاد المسيحي, وهو ينبثق من الأب فقط بحسب الكنيسة الشرقية, ومن الأب والابن بحسب الكنيسة الكاثوليكية.

واصطلاح الروح القدس يعتقد أنه مستفاد من ديانة زرادشت الذي ذهب إلى إن "أهورامزدا" الرب الحكيم يحكم العالم مستعيناً بستة من كبار الملائكة أولها اسبنتامانيو "الروح القدس".

جاء تعريف الروح القدس لدى القديس يوحنا الدمشقي أنه "الرب المحيى, المنبثق من الأب والمسجود له والممجد مع الأب والابن ... منبثق من الأب وموهوب بالابن, فتناله الخليقة كلها. خالق بذاته, يكون الكل, ويقدسه, ويعتني به، غير مفترق ولا منفصل عن الأب والابن، له كل ما للأب والابن عدا الولادة ... أما الابن فهو من الأب بالولادة، والروح القدس هو أيضاً من الأب, لكن لا بالولادة, بل بالانبثاق"[3] .

وهو عندهم مساوٍ للأب والابن في الذات والجوهر والطبع وهو في كلامهم روح الله الذي يتولى تأييد أتباع المسيح وتطهيرهم.

وقد استدلوا على قولهم بألوهية الروح القدس بأن الكتاب المقدس لديهم وصف الروح القدس بصفات لا يوصف بها إلا الله فدل هذا عندهم على ألوهيته.

ورد اسم الروح القدس في حمل مريم بالمسيح υ "لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس"[4] . وهو الأقنوم الثالث في الله الواحد الأبدي غير محدود, وهو يعمل في حياتنا, وموجود معنا دائما، وفى البيان الذي سجله البشير يوحنا عن عشاء يسوع الأخير مع تلاميذه, قال لهم المسيح إنه سوف لا يتركهم بلا معين, وإنه سيرسل لهم معزياً باسمه ليكون معهم إلى الأبد, ويرشدهم إلى كل الحق ويذكرهم بكل ما علمهم به. ويسوع كإنسان لم يكن ممكناً له أن يوجد في كل مكان, وفي كل زمان؛ لذلك وعد تلاميذه أن يكون روحه معهم في كل مكان وإلى نهاية

---

[1] متى23: 9-11.
[2] أميمة بنت أحمد، الخطيئة الأولى، ص134.
[3] نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص151.
[4] متى 1: 18-19.

الزمان، فالروح القدس هو المسيح الحي؛ من ثم يكون الإله الواحد متمثلاً في المظاهر ثلاثة: الله الأب. الله الابن. الله الروح القدس[1] .

لم ترد كلمات: الأب, والابن, والروح القدس في الإنجيل إلا في عبارات وتراكيب مختلفة, ولا نجد عبارة واحدة تجمع بينها في سياق واحد, باستثناء ما نسب إلي المسيح, حيث قال لتلاميذه: "دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"[2] .

ولو استعرضنا جميع أعمال الرسل ورسائلهم التي ألحقت بالأناجيل, وصارت جزءاً متمماً لها, لوجدنا أنها لم تتحدث عن شيء مما أصبح عقيدة عند المسيحيين, بعد مؤتمر نيقية الذي قرر أن المسيح هو أقنوم الابن في الله ذي الثلاثة أقانيم[3] .

يؤمن النصارى بألوهية روح القدس؛ لأنه في نظرهم حل على السيدة مريم بنت عمران والدة المسيح υ عندما جاء إلى مكان عبادتها وبشرها بحمله ثم ولادته بعد ذلك دون اتصال منها بأي واحد من البشر. كما يعتقدون ثانياً أنه هو الذي حل على المسيح υ عند تعميده في نهر الأردن، وأنه هو الذي حل على الحواريين تلامذة المسيح وأصحابه بعد أن ذهب عنهم وتركهم في هذا العالم.

أدلتهم على الروح القدس:

ويستدلون على ذلك بالنصوص من كتابهم المقدس:

النص الأول:

وهو: "وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف, واسم العذراء مريم, فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها, الرب معك, مباركة أنت في النساء ... وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسميه يسوع ... فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك"[4] .

النص الثاني:

وهو قوله: "وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل, واعتمد من يوحنا في الأردن وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه"[5] .

النص الثالث:

---

(1) حبيب سعيد، أديان العالم، ص241.
(2) متى 28: 19-20.
(3) أبو عبيدة الخزرجى، بين الإسلام والمسيحية، ص62.
(4) إنجيل لوقا 1: 26-35.
(5) إنجيل مرقس 1: 9-11.

وهو القول المنسوب للمسيح إلى تلاميذه: "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم, وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض"[1] .

وللروح القدس عندهم شكلٌ آخر وهو الحمامة, الذي هو في الوقت عينه الأب والابن، "وشهد يوحنا قائلاً: إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه، وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله"[2] .

أما هيئة روح القدس وكيفية حلوله في التلاميذ: "ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنه أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا"[3] .

كما يعتقد المسيحيون أن الروح القدس هو الله وهو الأقنوم الثالث من الثالوث, وأنه معطي الحياة, ويقولون أن الروح القدس يستطيع الحلول والاتحاد بأي امرئ كان من المسيحيين الأتقياء, فيقولون أنه حل في التلاميذ، وكذلك في بولس الرسول وأصحابه؛ بل يقولون إنه يحل في جميع القسس والرهبان ورؤساء الكنيسة والباباوات, وكل مذهب وفرقة تعتقد أن روح القدس تحل في رجاله دون سواهم من الفرق[4] .

مفهوم الروح من واقع نصوص النصارى المقدسة؟

وللروح مفهوم آخر خلاف ما عرضه مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م. إن الروح إما مصدر للخير أو مصدر للشر، وقد يكون طاهراً أو نجساً؛ ونذكر أمثلة منها:

"روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله"[5] . "ومن هذا نعرف روح الحق وروح الضلال"[6] . ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس"[7] . "إذا خرج الروح النجس من الإنسان"[8] . "وكان في مجمعهم رجل به روح نجس"[9] .

الروح قد يكون صالحاً وقد يكون رديئاً, ويعبر عن الروح الصالح بالروح المستقيمة أو الفاضلة, ويعبر عن الرديء بروح الكذب أو بروح الفشل ونحوها[10] .

---

(1) أعمال الرسل 1: 8-9.
(2) يوحنا 1: 32-34.
(3) أعمال الرسل 2: 1-5.
(4) محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص112.
(5) إنجيل يوحنا: 14: 17.
(6) رسالة يوحنا الرسول الأولى 4: 6.
(7) إنجيل لوقا 1: 15.
(8) إنجيل متى 12: 43.
(9) مرقس 1: 23.
(10) محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص175.

وفكرة التثليث بدأت بعد فقدان القائد الروحي والتلاميذ المخلصين ودخول بولس في هذه العقيدة، ويقول: "نعمة ربنا يسوع المسيح, ومحبة الله, وشركة الروح القدس مع جميعكم"[1] .

كما يذكر بولس: "الله ظهر في الجسد. تبرر في الروح وتراءى لملائكة، كرز به بين الأمم، أومن به في العالم، رفع في المجد"[2] .

فالمسيحيون يعتبرون أن شخص المسيح البشري هو ابن الله الذي يشترك مع الله الأب في الألوهية والأزلية, وعاش يسوع الإنسان مملوء نعمة وحقاً, مظهراً للعالم المجد الذي حل به لكونه الابن الوحيد لله الأب.

يعتقد المسيحيون بوجود ثالوث, ووجود ابن لله تعالى, وهذا الابن المزعوم له نفس صفات الإله الأب, فهو إله مع الإله الأب, وهذا الابن هو يسوع المسيح, وأيضاً يعتقدون بوجود إله ثالث, وهو الروح القدس, المساوي للأب, والمنبثق عنه[3] .

ويعبرون عن هذا الاعتقاد بما يلي:

يؤمن المسيحيون بالمسيح ابناً لله بالمعنى الحقيقي, لأنه ولد من الأب, وهو إنسان حقيقي لأنه ولد من مريم العذراء, وتظهر البنوة في تعاليمه وأعماله, كما كان يجري المعجزات والعجائب بسلطته الخاصة وليس كباقي الأنبياء والرسل فمعجزاتهم من الله, ولمعجزاته معان خاصة فهي تخفف آلام الناس كشفاء المرضي وإحياء الموتى ... فقد أتمها يسوع وبشر باقتراب موعد الخلاص ومجيء المخلص, بل هو إله حقيقي[4] .

وللمسيح طبيعتان متميزتان: الطبيعة الإلهية, والطبيعة البشرية. ويؤمن المسيحيون أيضاً بأن الله تعالى إله واحد في ثلاثة أقانيم[5]* . ومعني الإيمان المسيحي هو قبول الخلاص الذي تم علي يد الأقانيم الثلاثة, فقد حققه الله الأب, وأتمه الله الابن, الوسيط للعهد الكامل, ومازال مستمراً بواسطة عمل الروح القدس.

وتؤكد الكنيسة دائماً أن العقل البشري عاجز عن فهم سر الثالوث الأقدس, إن العقل البشري لا يستطيع أن يفهم كل ما يفهمه الله؛ فلهذا السبب اخترق الله الستار الذي يخفيه على الإنسان, ويحجبه عن حقيقته, وظهر على الأرض, متخذاً جسداً بشرياً, حيث جاء به ليكشف للإنسان عن سره الحقيقي, بأنه: إله في ثلاثة أقانيم[6] . وتحاول الكنيسة صبغ هذه التثليثية بصبغة التوحيد, وتشرح الكنيسة هذا التوحيد وفق الأسس التثليثية السابقة.

---

[1] رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 13: 14.
[2] رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 3: 16.
[3] انظر: محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص ص105-114.
[4] منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفى المسيحية، ص277.
[5] أبو عبيدة الخزرجى، بين الإسلام والمسيحية، ص61.
*** الأقانيم: جمع أقنوم وهو شخص أو ذات مستقلة لوحدها, وهي الأب والابن والروح القدس. ويسمونه (الثالوث المقدس), وهذه الأقانيم الثلاثة ليست ثلاثة, بل إله واحد؟! ... يحيى خليفة حسين، قبس من التراث، ص32.**
[6] منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث، ص280.

وعقيدة التثليث جمع لواءها بطريرك الإسكندرية المتأثر بفلسفة مدرسة الإسكندرية (الأفلاطونية الحديثة) التي قالت بفكرة الأقانيم الثلاثة وألوهية المسيح فسادت الأفكار المؤلهة للطبيعة البشرية, وسبب سيادة هذه الأفكار سلطة الدولة وقوة الإمبراطور التي توافق أفكاره الوثنية, ونرى ذلك في مجمع نيقية 325م، وبهذا المجمع انتقلت فكرة ألوهية المسيح إلى مرحلة أخرى هي مرحلة الأقانيم الثلاثة, لكننا نستطيع القول أن التثليث لم يكتمل تماماً في مجمع نيقية لأن هذا المجمع إله الأب والابن، أما روح القدس فقد أله في مجمع لاحق هو مجمع القسطنطينية 381م، وبمجموع قرارات هذين المجمعين اكتملت عقيدة التثليث عند النصارى كعقيدة تناقض التوحيد الذي دعا إليه عيسى بن مريم υ[1] .

عقيدة التثليث بوجه عام, وبعد ما بسطناه عنها, وما كان من تأثير المجامع, ومقاومة أتباعها لأرباب المذاهب الأخرى, يثبت ويؤكد أن هذه العقيدة خليط من مبتدعات البشر, وركام تكون من رواسب الديانات القديمة: يهودية, أو زرادشتية أو مانوية أو بوذية أو غير ذلك من أفكار بشرية سولت لأصحابها إن ابتداع ديانة أمر سهل, وإنشاء عقيدة جد ميسور, والترويج لفكر ما يمكن أن يصبح مذهباً, ولكن بالقطع فإن ما جاء عن هذه المجامع, بعيد كل البعد عما جاء به السيد المسيح υ.

وليس من المعقول ولا المقبول أن يترك المسيح عيسى بن مريم أمر العقيدة ليقررها أحد من بعده, إنه أمر مستحيل، خصوصاً إذا عرفنا أن كتابهم المقدس الإنجيل كتبه رجال مختلفون وفى أزمنة مختلفة بلغات مختلفة في أماكن مختلفة والتناقض فيها يفوق الوصف, وأنها دونت بعد رفع المسيح υ , وما زال الخلاف قائم وسيضل كذلك حتى تقوم الساعة لسبب بسيط وهو أنه من صنع البشر.

---

[1] صابر طعيمة، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ص225.

المبحث الثاني
عقيدة المسيحيين

1- الفداء:

الفداء* عقيدة أساسية للمسيحية, كما أن هناك علاقة بين عقيدة الفداء وعقيدة الخطيئة الأولى.

فالقديس بولس يقول عن عمل السيد المسيح في الفداء: "يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس, الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فداءً من أجل الجميع"[1] .

وبنفس المعنى قال القديس يوحنا الرسول: "إن أخطأ أحد, فلنا شفيع عند الله الأب: يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً"[2] .

إذن الوساطة التي يتحدث عنها بولس الرسول خاصة بالفداء، والشفاعة التي تحدث عنها يوحنا الرسول خاصة بالكفارة.

والبروتستانت ينكرون كل وساطة بين الله والناس؛ ويعتقدون بعلاقة مباشرة بين الله والناس تجعلهم في غير حاجة إلى الكهنوت ووساطة الكنيسة، ويعتقد أنه ينال الخلاص بمجرد إيمانه[3] .

2- التجسد والخطيئة الأولى:

يعتقد النصارى أنه بسبب خطيئة آدم υ أبي البشر في أكله من الشجرة التي نهاه الله عنها في الجنة، فقطع بذلك كل العلاقة بين الإنسان وبين الله تعالي, وفتح باب الخطايا, وبهذا العمل جعل آدم υ ـ ذريته كلها في حالة الانفصال عن الله تعالى, وهذه الخطيئة تنتقل وراثياً إلى ذريته, وتطارد لعنتها كل إنسان يولد على وجه الأرض, حيث يأتي كل وليد جديد إلى الحياة وهو يحمل هذه اللعنة والخطيئة[4] . فقامت نظرية الصلب والفداء, وتعنى صلب المسيح υ نيابة عن الجنس البشرى, وفداء له, إذ كان الله بمقتضى صفة العدل أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة المشار إليها, والتي ارتكبها أبوهم, لكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئاتهم, ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط المسيح ابن الله (في اعتقادهم) وقبوله أن يظهر

---

* **المعنى اللغوي لمصطلح الفداء:**
يقصد بكلمة الفداء في اللغة العربية "الترضية وإزالة الأحقاد بعد دفع التعويض" و"استنقذه بمال أو غيره فخلصه مما كان فيه, يقال فداه بمال وفداه بنفسه فهو فاد". ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، ب.ط، 2003م، ج7، ص45.
المعنى الاصطلاحي للفداء:
أما المعنى الاصطلاحي للفداء فيقصد به "الفداء خلاصاً للبشرية, وهو من صلب العقيدة المسيحية, والعقيدة تنهار والفداء يفقد معناه إن لم يتجسد الله ويخلص البشرية من شوائب الخطيئة الأصلية". أميمة بنت أحمد، الخطيئة الأولى، ص135.

[1] رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 2: 5-7.
[2] رسالة يوحنا الرسول الأولى 2: 1-2.
[3] البابا شنودة الثالث، اللاهوت المقارن، ج1، ص138.
[4] منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، ص320.

في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الناس, ثم يقتل ويصلب ظلماً, وذلك ليكفر خطيئة آدم أبي البشر في ذريته, وهذا ما يعبر عنه النصارى بالخلاص, وهنا فقط تمت المصالحة بين الله والناس[1] .

والكنيسة خرجت من هذا المأزق بتفسير عجيب؛ إذ قررت أن تلك المصالحة التي تمت بين الله والبشر لا تعنى أنه لا تثريب على البشر في الخطأ والعصيان, بل إن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة؛ فجسد المسيح ودمه اللذان يكفران عن الذنوب والخطايا في عرف الكنيسة محفوظ لديها، وهى وحدها التي توزعه على من تعطيه فيصبح من الناجيين, أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه من جسد المسيح أو دمه فيصبح من الهالكين في الدنيا, يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان, فضلاً عن حرقه في نار الآخرة بعد ذلك[2] .

بناء على العبارات التي وردت في (قانون الإيمان المسيحي) السابق, يتضح أن المسيحيين يعتقدون أن المسيح ابن الله تعالى ـ قد تجسد؛ أي الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس قد صار جسداً لأجل بني الإنسان, فاتخذ طبيعة البشر ما عدا الخطيئة الأصلية, وهو العمل السامي الذي كشف الله فيه عن ذاته الحقيقية على الأرض, حيث اتحد اللاهوت بالناسوت, دون أن يتحول الناسوت إلى لاهوت, ودون أن يمتزج أحدهما بالآخر؛ والسبب في تجسد الأقنوم الثاني يسوع المسيح, هو أن المسيح قد رضي أن يقدم نفسه وسيطاً أمام أبيه, لأجل خلاص البشر* , وليهدم أعمال الشيطان[3] .

"وأن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك: فبمحبته ورحمته قد صنع طريقاً للخلاص؛ لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم, وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته, إذ أن مقتضى العدل, أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم؛ ولكن باقتران العدل والرحمة وبتوسط الابن الوحيد, وقبوله التكفير عن خطايا الخلق, قرب الناس من الرب بعد الابتعاد"[4] .

وجاء قوله: "أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به, بل تكون له الحياة الأبدية؛ لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم, بل ليخلص به العالم"[5] .

ويحدثنا بولس عن حادثة الصلب, مع أن الأناجيل تروى لنا القصة وتصورها بصورة حزينة وهى خيانة يهوذا الأسخريوطي, وليس بطلاً فدائياً، كما يصورها بولس على النحو التالي: "محبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم؛ لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه إلى الدنيا مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد، فأرسل لهذه الغاية

---

(1) محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص155.

(2) المصدر السابق، ص159.

*** ومعني خلاص البشر هو تخليص الإنسان من الخطيئة الأصلية التي سببها آدم أبو البشر, ليطهر الإنسان, وليصالحه مع الله تعالى, ويعيد إليه الحياة الأبدية، المصدر السابق، منير خوام، ص329.**

(3) منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، ص317.

(4) حمدي عبد العال، الملة والنحلة في اليهودية، المسيحية، الإسلام، ص121.

(5) إنجيل يوحنا 3: 16-18.

ابنه الوحيد إلى العالم, ليخلص العالم ... وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصليب, ولهذا صلب ... ورضي الله عن صلبه وهو ابنه ودفن بعد الصلب، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره"[1] .

"كأنما إنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت, وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس؛ إذ أخطأ الجميع ... لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون بالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح"[2] .

"ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح بالنعمة، أنتم مخلصون، وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع"[3] .

وهكذا نجد بولس يؤكد لنا الصلب والفداء للسيد المسيح يسوع, ابن الله, الفادي, المخلص, والمطهر من الذنوب والخطيئة الأولى التي يتوارثها الإنسان, وهذا دليل على محبة الله.

ونتساءل هل يصلح غير المسيح لهذا العمل؟

لا يصلح غير المسيح لهذه المهمة لعدة أسباب:

الأول: لأن الذبيحة يجب أن تكون طاهرة لا عيب فيها.
الثاني: يجب أن تكون الذبيحة ثمينة بهذا المقدار حتى تساوي الأنفس المطلوب افتداؤها.
الثالث: أن تكون من نوع الإنسان.
الرابع: أن تكون لها وجاهة عند الله لتصلح أن تكون حلقة الاتصال بين الله والإنسان.

هناك سؤال آخر: هل قبل المسيح الصلب اختياراً؟
نعم, لأن المسيح نفسه قال صراحةً إن القصد من مجيئه إتمام عمل الفداء, أي لكي يقدم نفسه ضحية على الصليب، ولما قال له أحد حوارييه وهو بطرس: "حاشاك يا رب لا يكون لك هذا" فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس"[4] .

ولما أراد أحد تلاميذه أن يدفع عنه عندما جاء اليهود ليمسكوه قال له: "رد سيفك إلى مكانه ... أتظن أني لا أستطيع الآن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة؟ فكيف تكمل الكتب؟ أنه هكذا ينبغي أن يكون"[5] .

والمسيح صلب ليس لأن فيه علة أو أنه ارتكب خطيئة, بل صلب ليقدم نفسه عنا ضحية، وناب عنا في القصاص وأقام ذاته مقامنا[6] .

---

[1] أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دعوة التقريب بين الأديان، ص120.
[2] رسالة بولس إلى أهل رومية 5: 12-18.
[3] رسالة بولس إلى أهل أفسس 2: 5-8.
[4] متى 16: 22-23.
[5] متى 26: 52-54.
[6] سعيد مراد، المدخل في تاريخ الأديان، ص290.

وأصبحت هذه العقيدة بحسب مضمونها إلزامية لمعتنقي المسيحية منذ عام 325م إثر قيام مجمع نيقية, واعتماده لقانون الإيمان, وخاصة الجزء المتعلق بالفداء وهو: "... الذي من أجلنا نحن البشر, ومن أجل خلاصنا نزل - أي المسيح - وتجسد وتأنس وتألم ومات, وقام أيضاً في اليوم الثالث, وصعد إلى السماء, وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات بالروح القدس ..."[1] .

تبين مما سبق قول النصارى بالفداء، فالسبيل الوحيد عندهم للخلاص هو الإيمان بالفادي الذي بذل دمه فداء للإنسانية من حمل الخطيئة الأولى, وفى العهد الجديد يقول: "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن"[2]. يؤكد هذا النص على أن عقيدة الخلاص تتحقق بالإيمان. "فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار هو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم"[3] . "إن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا"[4] .

فيسوع المسيح υ مخلص لكل البشر والكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) رسالة موجهة لكل البشر على السواء.

يحدثنا بولس عن الفداء في رسائله إلى أهل رومية, كما جعل بولس غفران الخطايا الأساس في العقيدة، كما أكد أن من لم يؤمن بالفادي وهو يعمل البر لن ينال من بره شيئاً وإلى الجحيم مصيره.

"الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل النعمة بل على سبيل دين؛ وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر بإيمانه يحسب له براً"[5] .

3- الصلب:

الأساس الثالث لعقيدة المسيحية: هل قتل يسوع على الصليب؟ أم رفعه الله إليه وشبه لهم أنهم قتلوه؟

الصليب* هو رمز الإيمان المسيحي, ويسمى التعليم المسيحي عن الصليب (عقيدة الكفارة)؛ فكأن موت المسيح على الصليب أقام (قنطرة) على الفجوة التي كانت قائمة بين الله والناس[6] .

ويزعم اليهود أن المسيح كفر بالله؛ لهذا حملوا عليه وطالبوا بدمه وزعموا أنه مات مصلوباً، والموت على الصليب يستلزم اللعنة عندهم، فقد ورد "وإذا كان على

---

(1) أميمة بنت أحمد بن شاهين الجلاهمه، الخطيئة الأولى، ص136.
(2) إنجيل مرقس 16: 16.
(3) رسالة يوحنا الرسول الأولى 2: 2.
(4) أعمال الرسل 10: 43.
(5) رسالة بولس إلى أهل رومية 4: 5.
*** الصلب: هو التعليق على خشبة الصليب: واليهود والنصارى يعتقدون أن المسيح υ مات مصلوباً.**
(6) محمد عبد الحليم عبد الفتاح، موسوعة الأديان، ص335.

إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم؛ لأن المعلق ملعون من الله"[1] .

في المسيحية يقولون إن الله من صفاته المحبة، ومن هذه المحبة يدبر الله طريق الخلاص للعالم الذي ابتعد عنه بسبب وقوع آدم في الخطيئة وطرده من الجنة وهبوطه إلى الأرض، ولهذا أرسل الله ابنه الوحيد ليقوم بدور الوساطة بين المحبة والعدل بأن يظهر بشكل إنسان ويعيش ويأكل ويشرب مثل الناس، ثم يصلب ظلماً وعدواناً ليكفر عن خطيئة البشر، وكأنه كبش فداء للخطيئة الأزلية[2] .

وينبغي أن نفكر في موت المسيح, لا كموضوع قائم بذاته, بل مرتبط بما سبقه وما لحق به بدعوة المسيح وحياته على الأرض, حيث كان الله يتكلم في ابنه (كلمته) داعياً الناس إلى الخلاص. وقد بانت محبة الله ورحمته وقوته على الخطيئة والموت في غلبة يسوع على الموت, وفى القيامة التي زكت هذه الحياة الطاهرة, وأيدت غلبة الخير على الشر, والحق على الباطل.

وتركيز السيد المسيح على الصليب وذلك منذ بدء خدمته, وفى أثناء تعلمه, قبل أن يصلب, فقد قال: "ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني, فلا يستحقني"[3] ، كما ذكر: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي, فلينكر نفسه, ويحمل صليبه ويتبعني"[4] ، وفى حديثه مع الشاب الغني قال له: "اذهب بع كل مالك وأعطه للفقراء ... وتعال اتبعني حاملاً الصليب". وقال أيضاً :"من لا يحمل صليبه ويأتي ورائي, لا يقدر أن يكون لي تلميذاً"[5] .

وقد كان الصليب موضع كرامة الملاك والرسل؛ فقد قال الملاك المبشر بالقيامة للمريمتين: "إنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو هنا, لكنه قد قام كما قال"[6] . وهكذا سماه يسوع المصلوب، وظل لقب المصلوب لاصقاً به، وقد استخدمه الرسل، وركزوا على صلبه في كرازتهم. وهكذا كان الصليب موضع فخر الرسل؛ يقول بولس الرسول: "وأما من جهتي, فحاشا لي أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح"[7] .

وفى رشم الصليب يعلنوا التبعية لهذا المصلوب: والذين يأخذون الصليب بمجرد معناه الروحي داخل القلب دون أي علامة ظاهرة التي يعلنها برشم الصليب وبحمله على صدورهم وتقبيله أمام الكل ورفعه على أماكن عبادتهم؛ وبذلك يفتخر به ويتسمى به ويعيد له أعياداً، وهكذا يعبدون الله روحاً وعقلاً وجسداً.

---

[1] سفر التثنية 21: 22.
[2] سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص256.
[3] متى 10: 38-39.
[4] متى 16: 24-25.
[5] لوقا 14: 27-28.
[6] متى 28: 5-6.
[7] رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 6: 14.

وفى الصليب تعلن عقيدتا التجسد والفداء: فعندما يرشم الصليب من فوق إلى تحت، ومن الشمال إلى اليمين, إنما نتذكر أن الله نزل من السماء إلى تحت إلى أرضنا, ونقل الناس من الشمال إلى اليمين من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة.

ويعبر الصليب عن مجيئه الثاني: كما ورد في الإنجيل عن نهاية العالم ومجيء الرب "وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء؛ (أي الصليب) ... ويبصرون ابن الإنسان أتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير"[1] . فلنكرم علامة ابن الإنسان على الأرض, ما دمنا نتوقع علامته هذه في السماء في مجيئه العظيم[2].

نهاية يسوع ومكائد بني إسرائيل له:

وقد صارح يسوع تلاميذه بهذه النهاية في رحلته معهم إلى أورشليم قبل عيد الفصح؛ إذ قال لهم: "ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه, لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم, يا أورشليم, يا أورشليم, يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين"[3] .

كان لدخول عيسى أورشليم بداية النهاية, نهاية النضال الحر, لأنه كان في الحق جريئاً, وكان مع الكهنة ومن في طبقتهم قاسياً صريحاً, يناقشهم ويجادلهم بالبينة التي لا يأتيها الباطل حتى خافوه وخشوا عظم أمره, وعلموا بما كان منه مع تلاميذه ورأيه فيهم ... فقد جمعهم وراح يقول لهم: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون, فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا, لأنهم يقولون ولا يفعلون!! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون, لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس, فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون !! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون, لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم, لذلك تأخذون دينونة أعظم! ... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون, لأنكم تنقون الكأس والصحفة وهما من داخل مملوأن اختطافاً ودعارة"[4].

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أقواله أرادوا القبض عليه؛ ولكنهم خافوا الجموع والحواريين, ففكروا في طريقة أفضل يوقعونه بها, فهداهم تفكيرهم إلى توريطه مع السلطة الحاكمة!!

"حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة, فأرسلوا إليه تلاميذهم من الهيرودسيين قائلين:

- يا معلم, نعلم أنك صادق, وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد, لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس, فقل لنا: ماذا تظن؟ أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا؟!
- فعلم يسوع خبثهم وقال: "لماذا تجربونني يا مراؤون؟! أروني معاملة الجزية ... فقدموا له ديناراً ...

---

[1] متى 24: 30.
[2] البابا شنودة الثالث، اللاهوت المقارن، القاهرة، الأوفست، ط1، 1991م، ج1، ص ص149-156.
[3] لوقا 13: 33-35.
[4] متى 23: 2-26.

- فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة ..؟!
- قالوا له: لقيصر !
- فقال لهم: أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر, وما لله !!
- فلما سمعوه ...تعجبوا وتركوه ومضوا "[1] .

ولما سأله الفريسيون:
- متى يأتي ملكوت الله؟

- "أجابهم: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة, ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك, لأن ملكوت الله ... داخلكم"!![2] . ولم يطيقوا سماعه وقوة حجته وبدأوا يتربصون به ليشوهوا أعماله ...

وبينما هو متكئ في البيت, إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكاؤا مع يسوع وتلاميذه, فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه:

- لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين والخطاة ؟ فأجاب يسوع وقال لهم:
- لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ... بل المرضى !! "لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة"!![3] .

فلما جاءوا يسوقونه إلى حيث أبى أن يساق, كان همهم الأكبر أن يثبتوا عليه أنه يبطل شريعة أو يتصدى لتنفيذ أحكام مغايرة !!

وتعمدوا وهو في الهيكل أن يضطروه إلى موقف الحكم أو إنكار الشريعة, فاقتحم عليه الكتبة والفريسيون درسه ومعهم امرأة يدفعونها إلى وسط الحلقة وراحوا يتصايحون: "أيها المعلم: هذه امرأة أخذت وهى تزني, وقد أوصاني موسى أن نرجم الزانية, فماذا تقول أنت ؟!"

ماذا يقول لهم؟ "إن قال ارجموها, فذلك حق الولاية يدعيه؛ وإن قال أطلقوها, فتلك شريعة موسى ينكرها في قلب الهيكل!!

فوقف قائماً, ورد عليهم رياءهم في وجوههم, وكسر الشرك بقدميه من كلا طرفيه وهو يقول لهم: "من كان منكم بلا خطيئة, فليرمها أولاً بحجر"!![4] .

فكادوا له ودبروا لقتله بأن شكوا أمره إلى الوالي، وادعوا بأنه يقول عن نفسه: "إنه ملك اليهود" ليثيروه عليه مدعين ولاءهم له وعدم إقرارهم وموافقتهم على ملك سوى قيصر رومية!! وقرر الكهنة اليهود إعدام عيسى υ لادعائه الملك والنبوة وأن ينفذ فيه حكم الإعدام صلباً[5] .

حادثة الصلب في الأناجيل:

---

[1] متى 22: 15-22.- انظر: لوقا 20: 20-26.
[2] لوقا 17: 20-21.
[3] لوقا 5: 30-32.
[4] يوحنا 8: 3-7.
[5] سنية قراعه، الرسالات الكبرى، ص ص293-298 (بتصرف).

ونجد عدة روايات تتحدث عن صلب المسيح في الأناجيل الأربعة، فيها بعض الاختلاف سنعرضها لتبيين حادثة الصلب التي وقعت على المسيح كما يعتقد المسيحيون, إن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك فبمحبته ورحمته قد وضع طريقاً للخلاص, لهذا المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب خطيئة آدم, ولكن باقتران العدل بالرحمة وبتوسط الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد, وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصلب, لهذا صلب ورضي الله عن صلبه وهو ابنه ودفن بعد الصلب, ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره[1] .

"وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضاً تلاميذه, ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة, وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلّى قائلاً: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويه، وإذ كان في جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض؛ ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن، فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة"[2] "ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر, وفيما هم متكئون يأكلون، قال يسوع الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني، الآكل معي فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً هل أنا ؟ فأجاب وقال لهم هو واحد من الاثنى عشر الذي يغمس معي في الصفحة. إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه, ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد"[3] .

وهناك اختلاف في الرواية ولكن نفس المعنى أي اختلاف كلمات فقط. "وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحداً من الاثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وكان مسلمه يهوذا قد أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبله هو, امسكوه وامضوا به بحرص ..."[4] .

واتفق معه متى ولوقا في نفس الرواية أما يوحنا فكان يروي: "أخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين, وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح, فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال من تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري. فقال لهم يسوع أنا هو. وكان يهوذا مسلمه واقفاً معهم. فلما قال لهم أني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض, فسألهم من تطلبون؟ فقالوا يسوع الناصري، أجاب يسوع قد قلت لكم أني أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون"[5] .

---

(1) إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص109.
(2) لوقا 22: 39-46.
(3) مرقس 14: 17-21.
(4) مرقس 14: 43-45.
(5) يوحنا 18: 3-9.

"وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس:

- فسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟ فأجاب أنت تقول؟ وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً.
- فسأله بيلاطس أيضاً قائلاً: أما تجيب بشيء؟ أنظركم يشهدون عليك. فلم يجب يسوع أيضاً بشيء حتى تعجب بيلاطس, وكان يطلق لهم في كل عيد أسيراً واحداً. وكان المسمى باراباس موثوقاً مع رفقائه في الفتنة, الذين فعلوا قتلاً؛ فصرخ الجميع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائماً يفعل لهم فأجابهم بيلاطس قائلاً أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً. فهيج رؤساء الكهنة الجميع لكي يطلق لهم باراباس.
- فأجاب بيلاطس أيضاً، وقال لهم فماذا تريدون أن نفعل بالذي تدعونه ملك اليهود؟ فصرخوا أيضاً أصلبه, فقال لهم بيلاطس: وأي شر عمل؟ فازدادوا صراخاً أصلبه".[1]
.

"فمضى به العسكر إلى داخل الدار التي هي دار الولاية وجمعوا كل الكتبة, وألبسوه أرجوانا وظفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه وابتدأوا يسلمون عليه قائلين السلام يا ملك اليهود, وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه, ثم يسجدون له جاثين على ركبهم, وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه"[2] .

لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصلب بحمل صلبانهم بأنفسهم ويقرر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلاً في حالة صلب يسوع, ولكن العكس نجد حسب رواية (مرقس ومتى ولوقا) أن شخصاً مجهولاً يدعى سمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلاً من يسوع إلى الموضع الذي يقال له الجمجمة[3] . "أعطوه خمرا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل"[4] . "والجند أيضاً استهزؤوا به وهم يأتون ويقدمون له خلاً"[5] . أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد أن يشرب"[6] .

"بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل فلكي يتم الكتاب قال: أنا عطشان وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلٌّ فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا* وقدموها إلى فمه فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أُكْمِل ونكس رأسه وأسلم الروح"[7] .

ولم يرد يسوع أن يشرب كما روى مرقس ومتى, أما عن علته التي كتبت على

---

[1] مرقس 15: 1-15.
[2] مرقس 15: 16-20.
[3] محمد جابر عبد العال الحينى، دراسات إسلامية في العقائد والأديان، ص244.
[4] مرقس 15: 22-23.
[5] لوقا 23: 36.
[6] متى 27: 34.
*** زوفا: هي الصوفة التي وضعوها على عصا ووضعوا فيها خلاً وقدموها للمسيح وهو على الصليب.**
[7] يوحنا 19: 28-30.

الصليب "وكان عنوان علته مكتوبة: ملك اليهود"[1] . "وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: هذا هو يسوع ملك اليهود"[2] . "وكتب بيلاطس عنواناً ووضعه على الصليب ... يسوع الناصري ملك اليهود"[3] .

وفى وقت الصلب كان معه لصان, واحد على اليمين وآخر على اليسار. وكان وقت الصلب "وكانت الساعة الثالثة فصلبوه"[4] . "وكان استعداد الفصح نحو الساعة السادسة"[5] . "ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة, صلبوه هناك مع المذنبين واحداً عن يمينه والآخر عن يساره"[6] . "ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إلهي إلهي لماذا تركتني؟"[7] . "نادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودع روحي"[8] . بعد الصلب "انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل ولما رأى قائد المائة الواقف مقابلة أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله"[9] . "وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامة ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين"[10] . "أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه ..., فلما رأى قائد المائة ما كان, مجد الله قائلاً: بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً"[11] .

شهود الصلب هي أهم عناصر قضية الصلب, ونجد في أغلب الروايات كانت الشهود من النساء, كما سنذكر في رواياتهم:

"وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد, بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومة، اللواتي أيضاً تبعنه وخدمنه حين كان في الجليل"[12] . "وكان جميع معارفه, ونساء كن تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك"[13] . "وكانت واقفات عند صلب يسوع أمه، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية"[14] . أما عن قصة الدفن "ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. أي ما قبل السبت. جاء يوسف ... فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع, فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات. ولما عرف من قائد المائة وهب الجسد ليوسف فاشترى كتاناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتاً في صخرة ودحرج حجراً على باب القبر وكانت مريم المجدلية ومريم أم

---

[1] مرقس 15: 26.
[2] متى 27: 37.
[3] يوحنا 19: 19-20.
[4] مرقس 15: 25.
[5] يوحنا 19: 14.
[6] لوقا 23: 33-34.
[7] مرقس 15: 33-35.
[8] لوقا 23: 46.
[9] مرقس 15: 38-39.
[10] متى 27: 51-53.
[11] لوقا 23: 45-47.
[12] مرقس 15: 40-41، وكذلك يقول متى 27: 55-56.
[13] لوقا 23: 49.
[14] يوحنا 19: 25-26.

يوسي تنظران أين وضع؟"[1] .

ومهما يكن من أمر فالاتفاق على أنه صلب وقتل ودفن وخرج من القبر مرتفعاً إلى السماء "... إذ ارتفع بيمين الله, وأخذ موعد الروح القدس من الأب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه, لأن داود لم يصعد إلى السماوات وهو نفسه يقول قال الرب لربى اجلس عن يميني, حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربا ومسيحاً"[2] .

تحدى يسوع اليهود في مواضع ثلاثة وهى:

1- "ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا"[3] .
2- "قال لهم يسوع أيضاً: أن أمضى وستطلبونني وتموتون في خطيتكم حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا"[4] .
3- "يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد. ستطلبوني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا"[5] .

أما قضية الصلب والآلام التي لحقت بالمسيح ـ الابن الإله والأقنوم الثاني ـ فداء لخطايا البشرية, فلقد قبل المسيح الموت ليخلص البشر وتعود الحميمة بين الله والإنسان بهذا الفداء, ولأجل أن ينال الإنسان الخلاص يجب عليه أن يؤمن بالمسيح إلهاً وابناً للإله, ومخلصاً, وفادياً[6] .

"أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون, هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه, الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه"[7] .

شك التلاميذ نجده في أغلب الروايات لا يختلف كثيراً, "وقال لهم يسوع أن كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة"[8] . "إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات"[9] . "يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكرني ثلاث مرات إنك تعرفني"[10] .

نهاية يهوذا:

لقد انفرد إنجيل متى ـ دون بقية الأناجيل بالحديث عن نهاية يهوذا فقال: "حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة

---

[1] مرقس 15: 42-47.
[2] أعمال الرسل 2: 33-36.
[3] يوحنا 7: 34.
[4] يوحنا 8: 21.
[5] يوحنا 13: 33.
[6] إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص110.
[7] أعمال الرسل 2: 22-24.
[8] مرقس 14: 27.
[9] متى 26: 75.
[10] لوقا 22: 34.

والشيوخ. قائلاً قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً. فقالوا ماذا علينا أنت أبصر فطرح الفضة في الهيكل وانصرف؛ ثم مضى وخنق نفسه فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء، لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم"[1] .

"في تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين، فقال: "أيها الرجال الأخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس، فقال بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع؛ إذ كان معدوداً بيننا وصار له نصيب في هذه الخدمة، فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دماً أي حقل دم؛ لأنه مكتوب في سفر المزامير لتصير داره خراباً ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر"[2] .

هناك روايات أربعة متوفرة بشأن محاكمة يسوع، لا اختلاف بينها إلا في بعض التفاصيل إذ تتفق كلها على أن الحكم على يسوع بالموت على الصليب جاء من رئيس كهنة اليهود, وأنه هو وجماعته من الكهنة ذاتهم عمدوا إلى تحريض الشعب على مطالبة الوالي الروماني بيلاطس بصلبه، هؤلاء الكهنة من السلالة الصادوقية ذاتها التي جهدت منذ زمن زربابل إلى طمس قضية بيت داود وحقه في المطالبة بعرش إسرائيل فقرروا القضاء عليه بشكل يجعله عبرة لغيره من السلالة الداودية[3] .

اختلاف المعلومات الواردة في الأناجيل عن الصلب:

إذا نظرنا إلى قصة الصلب في الأناجيل نجدها مختلفة في أكثر نقاطها, وإليك بيان الاختلافات الموجودة في رواية هذه القصة.

ذكر لوقا أن ملكا من الملائكة تراءى للمسيح يقوي عزيمته في آخر صلاة صلاها. ولم يذكر الآخرون ذلك. ذكر لوقا أن المسيح صلّى مرة واحدة, ولم يوقظ تلاميذه إلا مرة واحدة, أما متى ومرقس, فذكر أن ذلك تكرر ثلاث مرات ويوحنا لم يذكر من ذلك شيئاً.

إن الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ورد فيها: أن العلامة بين يهوذا الذي دل اليهود على مكان المسيح واليهود الذين جاءوا للقبض على المسيح هي أن من يقبله فهو المسيح, ويوحنا ذكر أن المسيح خرج إليهم وسألهم عمن يطلبون، فقالوا: يسوع، فقال لهم: أنا هو.

يوحنا ذكر: أن اليهود لما قبضوا على المسيح ساقوه إلى حنانيا الذي كان حما لرئيس الكهنة قيافا, أما الأناجيل الأخرى فلم تذكر ذلك, بل ذكرت أنهم ذهبوا مباشرة إلى قيافا رئيس كهنة اليهود.

---

[1] متى 27: 3-9.

[2] أعمال الرسل 1: 15-20.

[3] أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1978م، ص ص181-182.

ذكر يوحنا: أن بطرس وتلميذ آخر تبعا المسيح إلى رئيس الكهنة بعد أن قبض عليه, أما الآخرون فلم يذكروا سوى بطرس الذي خرج بعد ذلك ولم يشاهد المحاكمة.

سؤال رئيس الكهنة للمسيح وقت المحاكمة حسب مرقس "أأنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع بلى أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وأتيا في سحاب السماء" وفى لوقا ويوحنا ومتى اختلاف في الصياغة فقط.

الأناجيل الثلاثة ذكرت: أن المسيح لما ذهب به اليهود إلى بيلاطس الوالي الروماني فسأله عما يتهمونه به من أنه ملك اليهود, لم يجبه المسيح بشيء حتى تعجب منه بيلاطس. أما إنجيل يوحنا فيذكر كلاماً بين المسيح وبيلاطس.

الأناجيل الثلاثة ذكرت أن الصليب الذي صلب عليه المسيح سخر له رجل اسمه سمعان القيرواني (لحمله). أما إنجيل يوحنا فيذكر أن المسيح هو الذي حمل صليبه.

ذكر لوقا: أن المسيح التفت إلى الجموع وهو في طريقه إلى الصليب وحذرهم مما سيقع لهم في الأيام القريبة من الأمور الخطيرة العظيمة. ولم يذكر ذلك أي من الأناجيل الأخرى.
إن علة صلب المسيح حسب لوقا مكتوبة على الصليب (هذا هو ملك اليهود) باليونانية واللاتينية والعبرانية. وفى مرقس (ملك اليهود) ولم يذكر اللغات التي كتبت بها. وفى متى (هذا هو يسوع ملك اليهود) ولم يذكر اللغات.

وفى يوحنا: (يسوع النصارى ملك اليهود) باليونانية واللاتينية والعبرانية. ذكر يوحنا: أنه كان يقف عند الصليب أم المسيح وأخت أمه ومريم المجدلية وتلميذه ويعنى نفسه. أما لوقا ومرقس ومتى فقد ذكروا: أن نساء كن ينظرن من بعيد ولم يحضر أي تلميذ الصلب. في متى ومرقس: أن المسيح صرخ في الساعة التاسعة وقال: "إلهي إلهي لم تركتني؟". وفى لوقا قال: "ونادى يسوع بصوت عظيم قائلاً يا أبت في يديك أستودع روحي". وفى يوحنا أنه لم يصرخ وإنما قال: "قد أكمل, ونكس رأسه وأسلم الروح".

هذه الاختلافات العديدة بينهم في رواية أعظم حادث في حياة المسيح حسب معتقد النصارى وهو الصلب إنما يدل على أنه ليس لديهم مرجع مؤكد[1] .

وبعد يومين من الدفن زارت مريم المجدلية ومعها نساء أخر قبر المسيح, فوجدته فارغاً والأكفان موضوعة بترتيب.

وتقول الأناجيل إن المسيح ظهر مراراً بعد قيامته، وفى أماكن متعددة، فقد ظهر لمريم المجدلية عند القبر, وظهر لتلميذه عمواس وللحواريين وهم مجتمعون في مخبئهم على جبل الزيتون ... والأبواب مغلقة مرتين، كما ظهر على شاطئ بحر طبرية لحواريه أيضاً وهم في سفينتهم يصطادون, وعندما خرجوا وجدوا سمكاً مشوياً وعسلاً. ويقولون إنه بعد أربعين يوماً من قيامته, اجتمع بالرسل على جبل الزيتون، وبينما هو يباركهم أخذته سحابة وصعد إلى السماء, وفيما هم يتأملون مندهشين إذ

---

[1] أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص183 (بتصرف).

بملاك يقف بهم ويقول: "يسوع الذي رأيتموه صاعداً سيأتي أيضاً كما رأيتموه نازلاً من السماء"[1] .

4- في الإدانة (محاسبة المسيح للناس):

إدانة المسيح للناس ومحاسبتهم, يرى النصارى أن المسيح يمكث في قبره ـ بعد الصلب ـ ثلاثة أيام ثم يقوم من قبره ويمكث أربعين يوماً يرتفع بعدها مباشرة إلى السماء, ويجلس بجوار أبيه ثم يأتي يوم القيامة فيحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه, وعقيدة النصارى أن الله لا يحاسب الناس بل قد تخلى للمسيح ليقوم بهذا الأمر لأنه ابن الإنسان وهو قريب من الناس "... وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً, لا تعجبوا من هذا, فإنه تأتى ساعة يسمع جميع الذين في القبور صوته, فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة ..."[2] .

"كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته, وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان"[3] ؛ "لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع أخيراً كان أم شراً؟"[4] .

كما ورد "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة قديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ... ثم يقول للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته ..."[5] .

وللدلالة على الأهمية التي شملتها هذه العقيدة يكفينا النظر إلى قرار مجمع نيقية المعتمد عام 325م والذي تحدث عن المسيح، فقد قال: "وسيأتي من هناك ـ أي السماء ـ ليدين العالم".

كما أن الحساب سيكون شاملاً للإنسانية كلها "والذين سيقفون أمام المسيح للدينونة هم كل البشر ابتداء من آدم وبلا استثناء". كما قررت المجامع أن التفرقة بين السعيد والشقي في يوم الدينونة تكون على أساس الإيمان بالمسيح[6] .

5- في الآخرة والبعث عند النصارى:

جاء ذكر يوم الدينونة كثيراً في العهد الجديد, وفى هذا اليوم يدان فيه من كفر بالتثليث وبالمسيح الابن, فالكافر بهما يذهب إلى النار, أما المؤمن فيذهب إلى الجنة, إلا

---

(1) سليمان مظهر، قصة الديانات، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 2002م، ص406.
(2) إنجيل يوحنا 5: 27-29.
(3) إنجيل يوحنا 5: 26-27.
(4) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 5: 10.
(5) متى 25: 31-41.
(6) أميمة بنت أحمد، الخطيئة الأولى، ص160.

أن تفصيلات الجنة والنار غير موجودة وغير واضحة لديهم, فالجنة يدخلها كل مسيحي يؤمن بالمسيح الذي هو ابن الله, الأقنوم الثاني رغم كل المساوئ التي يأتي بها النصراني, إذ يكفيه أن يعترف بها أمام قس الكنيسة الذي يغفر له ذنوبه؛ ومن ثم يدخل الجنة بعد مماته[1] .

ويرى المسيحيون أن الأب أعطى سلطان الحساب للابن, لأن الابن بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته ابن الإنسان أيضاً, فهو أولى بمحاسبة الإنسان, ويعتقدون أنه بعد أن ارتفع إلى السماء, جلس بجوار الأب على كرسي استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا[2] .

يعتقد النصارى بالبعث الجسدي، ورد في قاموس الكتاب المقدس "تتضمن القيامة بحسب تعليم الكتاب المقدس قيامة الأجساد وتغيير هذه الأجساد وبقائها إلى الأبد ...". كما قال: "ولقد علم المسيح بوضوح بأن الموتى سيقومون". كما أن النصارى يؤمنون بالنعيم الأبدي في الجنة والعذاب الأبدي في النار، "ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته ... فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية"[3] .

إلا أنهم يزعمون أن الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح ولا شيء من المتع الحسية, وإنما يعتقدون أن المتعة تكون برؤية الله فقط. وإنكارهم هذا يعود إلى أنهم يرون أن الأجساد يوم القيامة ستكون أجساداً روحانية لا تحتاج إلى الطعام والشراب, وليس فيها شهوة الجماع ولا فرق بين جسد الرجل وجسد المرأة وفيه يقول المسيح: "لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء"[4] .

ويقول بولس: "يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً"[5] . نجد أن النص المنسوب إلى المسيح ينفي الزواج فقط في الآخرة وليس فيه نفي الطعام والشراب. عكس ما ذكره بولس من تحريم الطعام والشراب أيضاً؛ ويبدو أن بولس أخذ هذه العقيدة من اليهود وذلك لأن اليهود قالوا: لا مطعم في العالم الآتي, ولا مشرب, ولا عشق, ولا عمل, ولا حسد, ولا شحناء, أهل الحق سيجلسون وعلى رؤوسهم التيجان وهم يمجدون في بهاء وجلال الله.

وقد ثبت في نصوص الأناجيل إثبات الطعام والشراب في الآخرة فقد ذكر أن المسيح قال لتلاميذه: "وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر"[6] .

---

[1] سعدون محمود الساموك، مقارنة الأديان، ص201 (بتصرف).
[2] المصدر السابق، ص139.
[3] إنجيل متى 25: 34.
[4] إنجيل متى 22: 30.
[5] رسالة كورنثوس الأولى 15: 44.
[6] لوقا 22: 29-30.

المسيح قال لتلاميذه بعد آخر شراب شربه معهم "وأقول لكم: أني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي"[1] .

عقيدة المسيحيين في مريم العذراء عليها السلام ـ دخلت هذه النقطة في قانون الإيمان المسيحي في مجمع القسطنطينية عام 431م, كما سبق عرضه في الفصل الثاني. واعتقد المسيحيون بتمجيد مريم أنها آلهة, وجاء في تصريح للكنيسة الكاثوليكية, ما يلي: "كما أن المسيح لم يبق بشراً, كذلك أمه لم تبق من البشر بل انقلبت إلى (وينوسة) أي: إلهة"[2] .

أما عقيدتهم في غفران الكنيسة للخطايا والذنوب هو ما عبر عنه قانون الإيمان المسيحي في عباراته "نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا". أي يجب على كل مسيحي أن يعتقد أنه لا سبيل إلى دخول الحياة الأبدية إلا إذا غفرت ذنوبه, ولمغفرة الذنوب والخطايا الاعتراف بها أمام القسيس وما يعلوه من أصحاب الرتب الكنسية هم وحدهم يملكون قبول التوبة, ومسح السيئات والعفو عن الإنسان إذا اعترف لهم بها[3] .

6- في يسوع (الكلمة، الألوهية، التجسد، الاتحاد):

والعقيدة المسيحية تذهب إلى أن الألوهية تكونت فيه على الوجه الآتي: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"[4] "الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً"[5] , ونجمل الآراء المختلفة في التجسد: "فإنهم قضوا بتجسد الكلمة ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام, فمنهم من قال أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشفى، ومنهم من قال انطبع فيه انطباع النقش في الشمع, ومنه من قال ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني, ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت, ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء للبن, وأثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة, قالوا: البارئ تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز والحجمية، فهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية, ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم وسموها الأب والابن وروح القدس, وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم)[6].

والآراء كثيرة متضاربة حول تصوير جسده, فقيل إن المسيح لم يكن إلهاً بل إنسان ولد بالطبيعة من يوسف النجار ومريم, نادى بذلك (أبيون) في القرن الأول, و(كيرنثوس) في القرن الثالث, وأضاف (بولس الشمشاطى) أن المسيح حلت فيه الحكمة الإلهية, أما (فالنتينوس) فقال إن المسيح نزل من السماء بجسد واجتاز من مريم العذراء كما يجتاز الماء من القناة, و(مانى) قال إن المسيح لبس جسداً خيالياً, وعندما

---

(1) إنجيل متى 26: 29.
(2) محمد الصادقي، عقائدنا، ص100.
(3) حسن خالد، موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، ص610.
(4) إنجيل يوحنا 1: 1.
(5) انجيل يوحنا 1: 14.
(6) محمد جابر عبد العال الحيني، دراسات إسلامية في العقائد والأديان، ص243.

صلبه اليهود صلبوا الجسد الخيال, وقال (أبوليناريوس) في القرن الرابع: إن اللاهوت مارس وظيفة الروح وامتزج بالناسوت واحتمل معه الصلب والموت, وهناك رأى النسطورية وهو فصل طبيعة اللاهوت عن الناسوت, الذي نادى به نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس, وقد ترتب على ذلك عدم تسمية العذراء بوالدة الإله باعتبارها والدة الناسوت وتسميتها أم يسوع فقط. وقد قال نسطور: "إني اعترف موقناً أن كلمة الله هو قبل الدهور, إلا أنى أنكر على القائل بأن مريم والدة الإله فذلك عين البطلان, لأنها كانت امرأة. ولا أنكر أنها أم المسيح, إلا أن الأمومة من حيث الناسوت فقط, لأن مريم لم تلد إلهاً بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً ... إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنساناً تحول إلى اللاهوت"[1] .

وهناك رأي الكاثوليك في روما وهو اتحاد الطبيعتين لفظاً إله تام وإنسان تام وفصلهما فعلاً, وأخذته عنهم الكنائس اليونانية والبروتستانتية, ويظهر ذلك مما قاله الأسقف ليو الأكبر في رسالته التي أرسلها إلى مجمع أفسس الثاني في القرن الخامس: "حقا يأتي المسيح الاثنان ... الإله والإنسان، وإن الأول يبهر بالمعجزات والآخر ملقى للاهانات"[2] .

كما يظهر من قرار مجمع خلقدونية الذي جاء فيه: "أن المسيح هو إله تام وإنسان تام, ومولود بحسب اللاهوت من الأب وبحسب الناسوت من مريم البتول والدة الإله ومعروف واحداً بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا ابتدال ولا انقسام ولا انفصال"[3] .

ورأى الأرثوذكس باتحاد طبيعتي المسيح لفظاً وفعلاً وتنادي بهذا الرأي الكنيسة القبطية والسريانية والأرمينية وجميع أتباعها من الكنائس الأرثوذكس.

7- في الأسرار السبعة للكنيسة:

وهى علامات ظاهرة تقول الكنيسة إنها وضعت من قبل السيد المسيح υ, واستعاض النصارى من أتباع بولس طقوساً وثنية وكهنوتية لأجل الحصول على العناية الإلهية والرحمة, وهذه الأسرار سبعة, ثلاثة أصلية وأربعة ملحقة وهى:

1- التعميد: وهو سكب الماء المقدس على الشخص الذي يود الدخول إلى المسيحية أو الطفل, وهي علامة على تطهره من الخطايا.
2- التثبيت: أي حلول روح القدس في الشخص الذي دخل المسيحية.
3- التوبة: وهي نيل المغفرة من الخطايا التي يرتكبها المسيحي بعد التعميد, ولكي تكون التوبة صحيحة يزور المسيحي الكنيسة ويؤدى بعض الأدعية ويدفع فدية أو صدقة يوافق عليها القسيس.

---

[1] سليمان مظهر، قصة الديانات، ص409.
[2] سعدون محمود الساموك، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، ص194.
[3] سليمان مظهر، قصة الديانات، ص410.

4- التناول: أي تناول الخبز والنبيذ تشبهاً بالعشاء الرباني الأخير والخبز يرمز إلى لحم السيد المسيح والنبيذ إلى دمه.
5- مسحة المرضى: وهى مسح المريض عندما يشرف على الموت لتقوية الإيمان.
6- الكهنوت: أي تبريك الأسقف لرجال الدين الذي يدخلون هذا السلك أي منحهم البركة والرحمة والعزيمة في أداء واجبهم الديني المقدس.
7- سر الزواج: لأن الزواج صلة مقدسة يجب ألا تنفصم بالوسائل البشرية[1] .

[1] سعدون محمود الساموك، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، ص201 (بتصرف).- انظر: سعدون محمود الساموك، مقارنة الأديان، ص136.- وعرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ص ص114-130.

تعليق ختامي على الفصل الرابع

ذهب الذين يعارضون المسيحية أن العقيدة بوضعها الحالي لم تكن بكل تفاصيلها الحالية من تعاليم المسيح υ, ذلك لأنها في رأيهم تأثرت بعقائد أخرى قوية كانت سائدة زمن ظهور عيسى υ أضف إلى ذلك أن كلمة مسيحي أو نصرانيchristian لم تكن شائعة للدلالة على معتنق هذا الدين, حتى اجتمع المجمع المقدس في نيقية في القرن الثالث الميلادي, واتخذ قراراته في العقيدة ومنها وصف معتنق المسيحية بأنه مسيحي, وقال المعارضون ومنهم رجال الدين أن المسيح υ لم ينشئ كنيسة أو نظاماً له أوضاع ومظاهر دينية معينة, وأسرف منهم من أسرف حتى أنكر العقيدة جملة وتفصيلاً وشكّك فيها إلى حد يبعث على الدهشة, واعتدل منهم من اعتدل فقصر دراساته على الحقائق العلمية والتاريخية.

بهذا نكون قد انتهينا من عرضنا لعقيدة المسيحية كما وردت لدى كتابها والمؤمنين بعقائدها خصوصاً في مجال العقيدة.

الخاتمة

لما كانت الديانة اليهودية قد تركت اليهود تغلب عليهم الماديات، كان لابد من دين يخاطب الضمير ويناجى الوجدان؛ لذا كانت المسيحية متجهة إلى الله I خالية من المادة، حيث تجد النفس السعادة الكبرى والراحة، وذلك حسب قول المسيح υ: "لا يجوز لرجل أن يخدم سيدين إما أن يخدم الله أو يخدم المال"، ولذا كانت المسيحية لا تدعو إلى التوحيد والتنزيه عن الشرك فحسب، بل صورت الله I على أنه المعشوق الأسمى.

والمسيحية هي النصوص التي جاء بها السيد المسيح υ، وبذلك تكون المسيحية هي دين الروح وخطاب القلب، ونداء الحس، جاءت خالية من المراسم والطقوس ومن علائق التجسيم والمادة التي تولد الرين على القلوب.

دعا المسيح إلى توحيد الله وتنزيهه عن الشرك، وتبرأ من الذين قالوا عنه: إنه الله أو ابن الله، ويتضح لنا أن المسيح لم يكن إلهاً أو لم يدع يوماً أنه إله.

وبعد وفاة السيد المسيح υ بحوالي سبعين عاماً، وهو تاريخ كتابة أول الأناجيل الأربعة "مرقس" انبثقت عدة آراء خالف بعضها البعض، وكان محور الخلاف شخصية السيد المسيح υ.

والنصارى ابتدعوا عقيدة التثليث في وقت متأخر، والواقع أنهم استوردوها من الأديان الوثنية التي كانت تحيط بهم أو التي كانوا عليها قبل أن يدخلوا في النصرانية، وتغلب عليهم ديانة السيد المسيح υ وصبغتها بصبغتها، وبولس من رواد الديانة إلى الوثنيين، فقد عبرت إليهم عن طريق هؤلاء المتشبعين بالفلسفات والوثنيات، حيث صبغوها بفهمهم ومعارفهم وعقائدهم السابقة، وقدموها للناس ديانة مخلوطة بالفلسفة الوثنية في ثوب ديانة سماوية.

وقد تكرر اجتماع المجالس والمجامع الكنسية تكراراً متزايداً في القرن الثاني واقتصرت في القرن الثالث على الأساقفة، وقبل أن يختتم ذلك القرن اعترف بأن هذه المجامع هي الفيصل الأخير في العقيدة المسيحية، وبذلك أصبحت المسيحية تقوي سلطان الكنيسة على حساب الدين، وتغلّب عليهم الطابع السياسي على الجانب الروحي الذي هو الهدف الحقيقي في مسيحية المسيح υ.

وأتباع المسيح قد انقسموا في الثلاثة القرون الأولى من ظهوره إلى مائة عقيدة وعقيدة، وحاولت الكنيسة الناشئة أن تصدها واحدة بعد الأخرى بأنها كفر وسعي إلى الانشقاق والتفريق، ولكنها عجزت بسبب تدخل الإمبراطور والسياسة والقوة على الدين، فرأي يناقش شخصية السيد المسيح على أساس طبيعة واحدة بمشيئتين، وآخر يرى تلك الشخصية على إنها طبيعة واحدة بمشيئة واحدة، ورأى ثالث يناقش تلك الشخصية على أنها طبيعتان ومشيئتان، ومن تلك الآراء المتباينة ظهرت في عالم المسيحية طوائف متباينة الآراء كل طائفة آمنت برأي مختلف عن الأخرى، والطوائف الثلاث تزعم قيادتها ثلاثة قادة لكل منهم طائفة آمنت برأيه؛ الأول أريوس

وسميت طائفته بالأريوسيين، والثاني نسطور وسميت طائفته بالنسطوريين، والثالث هو يعقوب الإسحاقي وسمى أتباعه باليعاقبة، ولكن تلك الطوائف أصبحت فيما بعد طائفتين لانقراض الطائفة الثالثة وذوبانها في الطائفتين؛ وهما طائفة الأرثوذكس والكاثوليك اللذان لايزالان حتى وقتنا الحاضر، وجدير بالإشارة أنه لم يظهر البروتستانت إلا في عام 1529م على يد "مارتن لوثر"، وقد كان الخلاف في بادي الأمر خلافاً في الرأي ثم تحوّل فيما بعد إلى خلاف طائفي تعد حدود الجدل إلى المكائد كل طائفة للأخرى.

ثم انقسمت المسيحية في العالم إلى شرقية وغربية إلى طائفتين كبيرتين ثم إلى ثلاثة طوائف كبرى ثم تفرع من الطوائف حوالي سبعين طائفة منتشرين في العالم، فالأرثوذكسية اتخذت لها من الشرق ركيزة، والكاثوليكية تأصّلت في الغرب حيث خرجت البروتستانتية.

من خلال الاستعراض يتبين لنا أن النصارى لا يملكون أدلة صحيحة في أكثر دعاويهم لهذا اختلفوا تلك الاختلافات الخطيرة التي تمس جميع نواحي العقيدة لديهم.

إن ما يستند إليه النصارى فهم خاص يسعى أصحابه لتثبيته عن طريق تلك المجامع ولا يخلو الأمر من الأهواء والأغراض الخاصة من حب الرئاسة وفرض السيطرة، والمجامع لم تكن هيئات شورية بل كانت في الأغلب تعقد لفرض رأى أو تصور عن طريق تلك المجامع وبقوة السلطان أو الكنيسة، وتلك المجامع كانت أداة بيد الأباطرة الرومان يسخرونها لرغباتهم في التوسع والسيطرة، أو لتحقيق أغراض سياسية.

إن تلك المجامع كانت من أعظم أسباب الفرقة في العالم النصراني، بحيث أنهم لم يخرجوا في واحد منها متفقين، بل كلما اجتمعوا في مجمع من تلك المجامع يزداد اختلافهم وبالتالي انقسامهم.

إن المجامع صاغت العقيدة وقررتها بعد خلاف طويل، وهذا يدل على أن العقيدة النصرانية في الإله وفى السيد المسيح υ ليست مسلمات وكل تفاصيله صنعة بشرية لم ينزلها الله Y على المسيح υ، وأن المجامع النصرانية هي المصدر الحقيقي للديانة النصرانية المحرفة.

قائمة المصادر والمراجع

- الكتاب المقدس.
1- إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، القاهرة، دار المنار، ط2، 1992م.
2- إبراهيم خليل أحمد، محمد ε في التوراة والإنجيل والقرآن، القاهرة، مكتبة الوعي العربي، ط3، ب.ت.
3- إبراهيم سليمان الجبهان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، عالم الكتب، ط4، 1976م.
4- ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، ب.ط، 2003م، ج7.
5- أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1975م.
6- أحمد أيبش، إنجيل برنابا، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، 2007م.
7- أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دعوة التقريب بين الأديان، السعودية، دار ابن الجوزي، ط1422،1هـ، مجلد أول.
8- أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1986م.
9- أحمد شلبي، المسيحية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1984م، ج2.
10- أحمد شلبي، محاضرات في النصرانية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1986م.
11- أحمد طاهر، الأناجيل دراسة مقارنة، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1991م.
12- أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1978م.
13- أحمد علي عجيبة، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 2004م.
14- أميمة بنت أحمد بن شاهين الجلاهمه، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، القاهرة، دار زهراء الشرق، ط1، 1997م.
15- الأنبا ديوسقورس، موجز تاريخ المسيحية، الإسكندرية، مكتبة المحبة، ط1، 2007م.
16- أنطونيوس الأنطوني، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، القاهرة، شركة الطباعة المصرية، ط2، 2004م.
17- إيزيس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الإسكندرية، ط7، 2000م.
18- البابا شنودة الثالث، اللاهوت المقارن، ج1، القاهرة، الأوفست، ط17، 2009م.

19- بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، دمشق، ط1، 1998م.
20- تادرس عطية الله، احكي يا تاريخ، مريوط، مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا، 2002م.
21- حبيب سعيد، أديان العالم، القاهرة، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، ط1، ب. ت.
22- حربي عباس عطيتو، اتجاهات التفكير الفلسفي عند اليونان، القاهرة، أورينتال، ط1، 2008م.
23- حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة، تقديم: علي عبد المعطي، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1992م.
24- حسن خالد، موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط1، 1986م.
25- حسين الشيخ، ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1996.
26- حمدي عبد العال، الملة والنحلة في اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام، الكويت، دار القلم، ط1، 1989م.
27- خزعل الماجدي, أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ, عمان, دار الشروق, ط1, 1997م.
28- داود علي الفاضل، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، الأردن، كلية الشريعة، ب.ط، ب.ت.
29- راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، الكويت، ط2، 1985م.
30- رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج2، القاهرة، دار قباء، ط1، 1999.
31- مؤلف مجهول، الكنائس الشرقية وأوطانها، القاهرة، مكتبة المنار، ط1، 2000م، ج1.
32- سعدون محمود الساموك، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، الأردن، دار وائل للنشر، ط1، 2006م.
33- سعدون محمود الساموك، مقارنة الأديان، الأردن، دار وائل للنشر، ط1، 2004م.
34- سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الرياض, أضواء السلف، ط3، ب. ت.
35- سعيد مراد، المدخل في تاريخ الأديان، بيروت، دار روتابرينت للطباعة، ب. ط، 1999م.
36- سليم نجيب، الأقباط عبر التاريخ، مصر، دار الخيال، ط1، 2001م.

37- سليمان مظهر، قصة الديانات، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 2002م.
38- سنية قراعة، الرسالات الكبرى، القاهرة، دار مطابع الشعب، ط1، 1966م.
39- شنودة الثالث، موجز تاريخ المسيحية، ب.ط، ب.ت.
40- شنودة ماهر اسحق، وملاك إبراهيم يوسف، دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي، القاهرة، الأوفست، ط1، 1999م، ج2.
41- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز الحضارات السابقة، دمشق، دار الفكر، ط1، 1996م.
42- صابر طعيمة، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، بيروت، عالم الكتاب، ط1، 1985.
43- عباس محمود العقاد، حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1969م.
44- عبد الرزاق رحيم صلال الموحى, العبادات في الأديان السماوية, دمشق, الأوائل, ط1, 2001م.
45- عبد العظيم الجطيني، الإسلام في مواجهة الأيديولجيات المعاصرة، مصر، مطبعة السعادة، ط1، 1987م.
46- عبد الفتاح حسن الزيات، ماذا تعرف عن المسيحية، طرابلس، مركز الراية للنشر والإعلام، ط2، 2000م.
47- عدد من المؤلفين، موسوعة الأديان، لبنان، دار النفائس، ط2، 2002م.
48- عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، عمان، دار عمار للنشر، ط1، 2000م.
49- عطا الله أرسانيوس المحرقي، الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، القاهرة، ب.ط، ب.ت، ج1.
50- علاء أبو بكر, بولس يقول: دمروا المسيح وأبيدوا أهله, القاهرة, مكتبة وهبة, ط1, 2006م.
51- علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، مصر، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط1، 1964م.
52- فراس السواح، لغز عشتار، قبرص، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1985م.
53- فوزي محمد حميد, عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة, طرابلس, جمعية الدعوة الإسلامية العالمية, ط2, 1999م.
54- كمال الصليبي، البحث عن يسوع، عمان، دار الشروق، ط1، 1999م.

55- كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، القاهرة، الكلية الإكليريكية بالإسكندرية، ط1، ب. ت.

56- كيرلس سليم بسترس وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، بيروت، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، 2001م.

57- لينة الحمصي، المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتي، دمشق، ط1، 1996م.

58- مؤلف مجهول، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ط1، 1980م.

59- محمد أبو زهرة, مقارنات الأديان ـ الديانات القديمة, القاهرة, دار الفكر العربي, 1974م.

60- محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، مطبعة يوسف، مصر، ط3، 1966.

61- محمد أحمد الخطيب، الفكر الإغريقي، دمشق، دار علاء الدين، ط1، 1999م.

62- محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.

63- محمد الحسيني إسماعيل، الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان، القاهرة، مطابع الأهرام، ب. ط، 1996م.

64- محمد الصادقي، عقائدنا، بيروت، دار العالم الإسلامي، ط1، 1972م.

65- محمد جابر عبد العال الحينى، دراسات إسلامية في العقائد والأديان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط1، 1971م.

66- محمد جمال الكيلانى، الفلسفة اليونانية أصولها ومصادرها، الإسكندرية، دار الوفاء، ط1، 2008م.

67- محمد جميل غازي وآخرون، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، القاهرة، دار نهر النيل، ط1، 1972م.

68- محمد طاهر التنير, العقائد الوثنية في الديانة النصرانية, بيروت، ط2، 1933.

69- محمد عبد الحليم عبد الفتاح، موسوعة الأديان، القاهرة، كنوز، ب.ط، 2006م.

70- محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، دمشق، دار القلم، ط2، 2002م.

71- محمد علي البار، المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، جدة، دار السعودية، ط1، 1987م.

72- محمد غلاب، الفكر الإغريقي ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، د.ت،، ج2.
73- محمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان، القاهرة، مطابع الكتاب العربي، ط1.
74- محمد فاروق فارس الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق دمشق، دار الفكر، ط1، 2000م.
75- محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية طنطا، دار الحضارة للطباعة والنشر، ط1، 2003م.
76- محمد مجد مرجان، الله واحد أم ثالوث، الإمارات، دار النهضة العربية، ط1، ب. ت.
77- محمد وصفى، المسيح بين الحقائق والأوهام, القاهرة, دار الفضيلة، ب. ط، ب. ت.
78- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ط3، 1979م.
79- مصطفى حسن النشار، فكرة الألوهية عند أفلاطون، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2.
80- مصطفي حلمي، الإسلام والأديان، الإسكندرية، دار الدعوة، ط3، 2002م.
81- منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، شبرا، مكتبة المحبة، ط1، ب. ت.
82- منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفى المسيحية، بيروت، مؤسسة خليفة للطباعة، ط1، 1983م.
83- منير شكري، قراءات في تاريخ الكنيسة المصرية، الإسكندرية، مطبوعات جمعية مارمينا، ط1، 1993م.
84- نهاد خياطة، الديانة الفرعونية، دمشق، دار علاء الدين، ط1، 1993م.
85- نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دمشق، دار الأوائل، ط1، 2002م.
86- نوفل نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي، وسوسنة سليمان، أصول العقائد والأديان، بيروت، دار لحد خاطر، ط2، 1987م.
87- يحيى خليفة حسين، قبس من التراث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1990م.
88- يوسف حامد الشين، الأديان السماوية بين العقل والنقل، بنغازي، جامعة قاريونس، ط1، 2002م.

مراجع مترجمة:

89- إنجيل برنابا، ترجمة: خليل سعادة، القاهرة، مكتبة كنوز.

90- ج. قنواتي, ولويس غرديه، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1979م.

91- ر. ك. سيرول، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، القاهرة، مكتبة المنار، ط1، 2000م.

92- ول ديورانت، قصة الحضارة، مصر، جامعة الدول العربية، ط3، 1983م، ج11.

93- ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، بيروت، مكتبة المعارف، ط4، 1979م، ج4.

94- أبو عبيدة الخزرجى، بين الإسلام والمسيحية، ترجمة: محمد عبد الغني شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 2006م.

95- ليون جونيه، مقدمة (أو المدخل لدراسة) الفلسفة الإسلامية، ترجمة محمد يوسف، طبعة باريس، 1923م.

96- محمد عطاء الرحيم، عيسى يبشر بالإسلام، ترجمة: فهمي شما، عمان، جمعية عمال المطابع القانونية، ط1، 1986م.

97- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1936م.